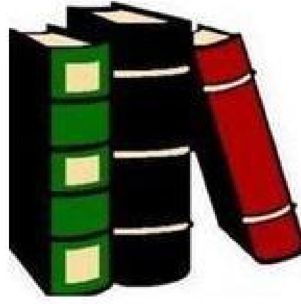


سوابق

العقود الدرية

في تاريخ البلاد النجدية

نسخة من كتاب خزانة التواريخ النجدية

مجلد ٤ جزء ٧

تأليف

مقبل بن عبد العزيز الذكير النجدي

جمع وترتيب

سماحة

الشيخ عبدالله العبدالرحمن البسام

رحمه الله

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وهو رب العرش العظيم

(1)وفي سنة ١٠٥٩هـ: توفي الشيخ الإمام العالم، محمد بن أحمد بن إسماعيل في بلد أشيقر، وهو من البكر من سبيع رحمه الله تعالى، أخذ الفقه عن عدة مشائخ، من أجلهم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرّف، العالم المعروف في أشيقر. وأخذ عنه جماعة منهم أحمد بن محمد القصيّر، والشيخ أحمد بن محمد بن بسّام، والشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان وغيرهم.

وفي سنة ١٠٩٧هـ: ظهر الشريف أحمد بن زيد بن محسن إلى نجد، ونزل بلد عنيزة العقيلية المحلّة المعروفة بعنيزة، وفعل بأهلها من القبح والفساد ما لا يفعله غيره.

وفي سنة ١١١٠هـ: سطر(1) آل بو غنام والبكر على فوزان بن حميدان بن حسن، الملقّب ابن معمر، من النفل الجرّاح أهل عنيزة من سبيع، سطو عليه في المليحة واستنقذوا منه منزلتهم (1) سطو

وفي سنة ١١١٥هـ: قتل الأمير فوزان بن حميدان بن حسن، الملقّب

(1) سوابق للمؤلف.

ابن معمّر، من الفضل الجرّاح من سبيع، واستولوا الجناح على عنيزة كلّها. وآل جناح من الجبور من بني خالد.

وفي سنة ١١١٦هـ: في ١١ ذي القعدة غرقة عنيزة، وتسمى غرقة السليمي ـ وهو رجل أعمى غرق في بيته. وفي هذه السنة هدم قصر عنيزة، هدموه الجناح أهل بلد الجناح من بني خالد.

وفي سنة ١١٤٢هـ: هدمت الجادة المحلّة المعروفة في عنيزة.

وفي سنة ١١٥٣هـ: قتل حمود الدريبي رفاقه آل بو عليّان في مسجد بريدة، قتل منهم ثمانية رجال. وفي السنة التي بعدها قتل حمود الدريبي المذكور وآل أبو عليان من العناقرة من بني سعد بن زيد مناة ابن تميم.

وفي سنة ١١٥٥هـ: قتل حسن بن مشعاب أمير بلد عنيزة، وجلوا الجرّاح، واستولوا آل جناح من بني خالد هم والشختة المعروفون من المشاعيب من آل جراح من سبيع على عنيزة كلها، والشختة منزلتهم الجادة المعروفة في عنيزة. وفي هذه السنة غرس نخل الجادة في عنيزة.

وفي سنة ١١٥٦هـ: سطا رشيد بن محمد بن حسن في المليحة وملكها.

وفي سنة ١١٦٠هـ: ركدة عنيزة وغرس فيها أملاك الخنة وأملاك آل زامل وآل أبا الخيل، والطعيمي في الصبرية، والبيقاء، وذلك في مدة عشر سنين، وفي هذه السنة توفي الشيخ عبد الله بن أحمد بن عضيب الناصري التميمي، ودفن في مقبرة الضبط في عنيزة، رحمه الله تعالى، ومات بعده تلميذه الشيخ علي بن زامل بشهرين رحمه الله تعالى.

وفي سنة ١١٧٤هـ: قتل رشيد بن محمد بن حسن رئيس بلد عنيزة من المشاعيب من آل جراح من سبيع، هو وفراج رئيس الجناح من بني خالد، ورشيد هذا هو ابن عم فوزان بن حميدان بن حسن، المقتول سنة ١١١٥هـ، كما تقدم، قتلوهما عيال الأعرج من آل أبو غنام هم وآل زامل، قتلوهما في مجلس عنيزة، وسبب ذلك أن أهل عنيزة وآل جناح كانت بينهم حروب وفتن كثيرة يطول ذكرها، فلما استولى رشيد المذكور على عنيزة وتولّى فراج على الجناح اتفقوا، رشيد ورؤساء بلده، وفراج، ورؤساء بلده، واصطلحوا على وضع الحرب بينهم، وأقاموا على ذلك نحو ثلاثين سنة، حتى امتدّ أهل عنيزة وأهل الجناح في الفلاحة وغرسوا نخلاً كثيرًا، وكثرت أموالهم ثم إن الشيطان وأعوانه حرّشوا على أهل عنيزة وأهل الجناح، فاتفق رجال من عشيرة رشيد ورجال من عشيرة فراج على قتلهما فقتلوهما، فثارت الفتن بين الفريقين بعد ذلك.

وفي سنة ١١٩٢هـ: في ٢٢ ذي القعدة جاء عنيزة سيل عظيم، أغرق البلد ومحى بعض منازلها، فخرج أهل عنيزة وابتنوا بيوت الشعر وسكنوها حتى عمروا منازلهم.

وفي سنة ١١٩٥هـ: سطوا آل بو غنام وآل جناح في العقيلية المعروفة في عنيزة، واستولوا عليها.

وفي سنة ١٢٠١هـ: هدم الجناح المعروف في عنيزة، هدمه عبد الله بن رشيد بن محمد بن حسن أمراء عنيزة.

وفي سنة ١٢٢٥هـ: في ذي الحجة توفّي الشيخ العالم العلامة

محمد بن ناصر بن عثمان بن معمّر[1]، وكانت وفاته في مكة المشرّفة رحمه الله تعالى، والعامرة من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

وفي سنة ١٢٣٧هـ: بني مسجد الجوز في عنيزة ومحلته.

وفي سنة ١٢٥٧هـ: الوقعة المشهورة بين أهل القصيم ومن معهم من عنزة، وبين عبد الله بن علي بن رشيد في بقعاء، صارت الهزيمة على أهل القصيم وقتل في هذه الوقعة يحيى بن سليمان بن زامل أمير بلد عنيزة وأخوه محمد.

وفي سنة ١٢٥٨هـ: قتل محمد العلي بن عرفج قتله صالح المرشد من بني عمه في دم بينهم.

وفي سنة ١٢٦١هـ: أغار عبيد بن رشيد على غنم أهل عنيزة ففزعوا عليه فجعل بينه وبينهم قتال، قتل فيه الأمير عبد الله بن سليمان بن زامل وأخوه عبد الرحمن ومحمد الشعيبي، ومجور الخنيني، وصار بعد الأمير عبد الله المذكور في عنيزة أخاه إبراهيم بن سليمان. وفيها في ذي الحجة توفي الشيخ عبد الرحمن المحمد قاضي في عنيزة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ١٢٦٢هـ: توفي الشيخ قرناس في بلد الرسّ، رحمه الله تعالى، وفاته في رجب من السنة المذكورة.

وفي سنة ١٢٦٣هـ: عمرت بلد الشيحة من بلدان السر، بناها فاهد بن نوفل، وبطي الصانع، وابراهيم بن عبيد. ثم انتقل النوافلة إليها من الريشيّة القرية المعروفة من قرى السر وسكنوها، وهم رؤسائها اليوم، وهم من بني حسين، وفي هذه السنة تو خ آل حهيدي ابن فيصل ابن وطبان الدويش حاج القصيم على الذات وأخذ منهم أموالاً كثيرة.

وفي سنة ١٢٧٠هـ: قام أهل عنيزة على جلوي بن تركي، وكان قد جعله أخوه الإمام فيصل بن تركي أميرًا في عنيزة، فأخرجوه من القصر فخرج إلى بريدة، وذلك في شعبان من السنة المذكورة، فلما كان في ذي الحجة منها تجهزَ عبد الله بن فيصل يغزو الرياض، والخرج، والجنوب، والمحمل، فلما كان منتصف ذي الحجة أغار على الوادي، فخرج أهل عنيزة لقتاله، فحصل بينهم قتال شديد، فقتل سعد بن محمد بن سويلم أمير ثادق، فرحل عبد الله ونزل العوشزية، ثم رحل منها ونزل روضة الربيعي. ثم إن عبد الله آل يحيى ركب إلى الإمام فيصل في الرياض، فوقع الصلح بينهم، فكتب الإمام فيصل إلى ابنه عبد الله فأمره أن يرجع إلى الرياض، وكان إذ ذلك في بريدة، فقفل راجعًا إلى الرياض ومعه عمه جلوي، وأذن لأهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفي سنة ١٢٧٣هـ: نوّخ ابن مهيلب رئيس الوساما من مطير حاجّ أهل عنيزة ومن معهم من أهل القصيم على الذّات، وطلب أشياء منهم يدعي أن له عليهم حقًا فامتنعوا من إعطائه، فأخذهم ولم يحجّ منهم أحد تلك السنة.

وفي سنة ١٢٧٥هـ: قتل ناصر بن عبد الرحمن السحيمي في الهلالية، قتله عبد الله اليحيى السليم وزامل العبد الله السليم. وسبب ذلك أن ناصر بن عبد الرحمن المذكور في إمارته في عنيزة قام هو وأخوه مطلق الضرير على إبراهيم السليم فقتلوه ذلك سنة ١٢٦٥هـ.

وفي سنة ١٢٧٥هـ: أصر الإمام فيصل بن تركي علي عبد العزيز المحمد أمير بلد بريدة أن تقدم عليه في الرياض، فقدم عليه ومعه ابناء

علي وعبد الله، فأمرهم بالمقام عنده. وجعل في بريدة عبد الله بن عبد العزيز بن عدوان أميرًا، وهو من آل أبو عليّان.

وفي سنة ١٢٧٦هـ: في صفر قتل عبد الله بن عدوان أمير بريدة، قتله جماعة من بني عمه آل أبو عليان وهم: عبد الله الغانم، وأخوه محمد، وحسن العبد المحسن المحمد، وأخوه عبد الله. فلما بلغ الإمام فيصل بن تركي الخبر جعل في بريدة محمد الغانم أميرًا، فلما كان في جمادى الأول من السنة المذكورة أطلق الإمام فيصل عبد العزيز المحمد من الحبس واستعمله أميرًا في بريدة وعزل محمد الغانم عن إمارة بريدة، وأمر الإمام فيصل على عبد الله بن عبد العزيز المحمد أن يقيم عنده في الرياض، وفي رمضان من هذه السنة أخذ عبد الله الفيصل العجمان على الصبحية، وقتل منهم نحو سبعمائة رجلًا، وأخذ منهم من الأموال ما لا يحصى.

وفي سنة ١٢٧٧هـ: أخذ عبد الله بن فيصل العجمان قريبًا من الجهراء، وقتل منهم خلقًا كثيرًا في البحر خلائق كثيرة، وهذه الوقعة يسمونها أهل نجد الطبعة، لأن العجمان انهزموا إلى البحر جازر فمد عليهم فهلك منهم خلق كثير وذلك في ١٥ من رمضان من السنة المذكورة، ثم قفل عبد الله بن فيصل، لما وصل إلى الدهناء بلغه، أن ابن سقيان ومن معه من بوادي ابن عبد الله على المشف، فأغار عليهم وأخذهم وقتل حمدي بن سقيان، ثم قصد بريدة وكان أميرها عبد العزيز المحمد قد نقض العهد، فلما بلغه الخبر خرج من بريدة منهزمًا هو وأولاده حجيلان، وتركي، وعلي، وأناس من خدامه، فأرسل عبد الله بن فيصل خلفهم سرية مع أخيه محمد بن فيصل، فلحقوهم بالشقيقة

وقتلوهم، وذلك في شوال من السنة المذكورة، وأقام عبد الله بن فيصل في بريدة، وكتب إلى أبيه الإمام فيصل يخبره بمقتل عبد العزيز المحمد وأولاده، ويطلبه أن يجعل في بريدة، أمير على نظره فأرسل الإمام فيصل عبد الرحمن بن إبراهيم، وجعله أميرًا في بريدة، وهدم عبد الله الفيصل بيوت عبد العزيز المحمد وأولادهم وأعوانهم.

ثم ارتحل عبد الله من بريدة وأخذ الرّوسان من عتيبة على الدوادمي، ثم قفل إلى الرياض وأذن لأهل النواحي أن يرجعوا لأوطانهم. وكان عبد الله العبد العزيز المحمد قد أمر عليه الإمام فيصل بالمقام عنده في الرياض لكن أذن لأبيه عبد العزيز المحمد بالمسير إلى بريدة ويكون فيها أميرًا كما تقدم. فخرج مع عبد الله الفيصل في هذه الفترة وعليه عيون مخافة أن يهرب. فلما كانوا بالقرب من الرياض هرب واختفى في غار هناك، فوجدوه فقبضوا عليه وأرسلوه إلى القطيف، فمات هناك.

وفي سنة ١٢٧٨هـ: وقع الحرب بين الإمام فيصل وبين أهل عنيزة، وأرسل سرية مع صالح بن شلهوب وأمره بالقدوم على عبد الرحمن البراهيم في بريدة، فقدم عليه، ثم أمر على غزو الرشم وسدير أن يسيروا إلى بريدة واستعمل عليهم أميرًا عبد الله بن دغيثر، فساروا إلى بريدة، واجتمع عند عبد الرحمن البراهيم خلائق كثيرة، وكثرت الغارات على أهل عنيزة، ثم أنه حصل وقعة بين ابن إبراهيم وبين أهل عنيزة في رواق، وصارت الهزيمة على ابن إبراهيم ومن معه، وقتل منهم نحو عشرين رجلًا، منهم: عبد الله بن دغيثر.

وفي سنة ١٢٧٩هـ: أمر الإمام فيصل على ابنه محمد أن يسير بغزو

أهل الرياض والجنوب إلى بريدة، ويسير بمن في بريدة من غزو أهل الوشم وسدير لقتال أهل عنيزة. فلما وصل إلى بريدة أمر على من فيها من أهل الوشم وسدير أن يسيروا معه إلى عنيزة، فساروا، فلما وصل الوادي خرج عليه أهل عنيزة وحصل بينهم قتال، فرجع أهل عنيزة إلى البلد.

ثم نزل محمد الفيصل بقطاع الوادي من الشمال فلما كان في ١٥ جمادى آخر من السنة المذكورة خرج إليه أهل عنيزة فحصل بينهم وقعة شديدة، فانهزم أصحاب محمد بن فيصل، ووصل أهل عنيزة إلى خيام محمد، فأمر الله تعالى السماء بالمطر، وكان غالب سلاحهم الفتيل فبطل عمل البندق من المطر، فكرّ عليهم محمد وأصحابه فانهزم أهل عنيزة وقتل منهم قتلاً كثيرًا، ويسمونها وقعة المطر وفي شعبان من هذه السنة أمر الإمام فيصل على ابنه عبد الله أن يسير بنفسه عزماً من الرياض والجنوب إلى قتال أهل عنيزة، فسار بهم عبد الله واجتمع بأخيه محمد بن فيصل ومن معه، وحاصروا عنيزة، ثم أنه وقع الصلح بين أهل عنيزة وبين الإمام فيصل، وقفل عبد الله بن فيصل هو وأخوه محمد إلى الرياض، ورجع أهل النواحي إلى أوطانهم.

وفي سنة ١٢٨١هـ: في آخر ليلة تسع الحجة توفي الشيخ إبراهيم بن حمد بن محمد بن عيسى، قاضي بلدان الوشم توفي في بلدة شقراء رحمه الله، كان له معرفة في الفقه، أخذ العلم عن الشيخ العالم عبد الرحمن بن حسن والعالم عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين.

وفي سنة ١٢٨٢هـ: في ٢١ رجب توفي الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن

موسى بن ربيعة بن مانع الريدي رحمه الله تعالى في بلد الرياض، والمردة من بني حنبقة[١].

وفي سنة ١٢٨٥هـ: في ربيع أول توفي الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مانع بالأحساء رحمه الله. وفي رمضان من هذه السنة الوقعة[٢] المعروفة بين سعود بن فيصل وبين أخيه محمد بن فيصل في حوادث صارت الهزيمة على محمد ومن معه، وقتل منهم عدد كثير، واستولى سعود بن فيصل على الأحساء والقطيف وقبض سعود على أخيه محمد وحبسه بالقطيف.

وفي سنة ١٢٨٨هـ: الوقعة المعروفة في البره بين الإمام عبد الله ابن فيصل وبين أخيه سعود بن فيصل، صار الهزيمة على عبد الله، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة.

وفي سنة ١٢٨٩هـ: حصل بين أهل شقراء وبين أهل أثيفية، قتال في وسط بلد أثيفية، قتل فيها من أهل أثيفية عبد الله ابن الأمير سعد بن عبد الكريم بن زامل، وعبد الله بن عبد العزيز العبد الله بن زامل، وآل زامل أهل أثيفية المذكورين من عائذ.

وفي سنة ١٢٩٠هـ: في ربيع آخر، سار سعود بن فيصل من بلد الرياض ومعه غزو أهل نجد، ومعه العجمان والدوشان مطير، وبرية، ومعه الدواسر وسبيع، والسهول، فأغار على الروقة من عتيبة، على طلال، ورئيسهم إذ ذاك مسلطا وفي ربيع آخر من هذه السنة توفي الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر في جلاجل، وهو صاحب عنوان المجد في تاريخ نجد وهو من بني زيد.

(١) بني حنيفة
(٢) جوده

وفي سنة ١٢٩١هـ: توفي الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن محمد بن مانع بن شبرمة الوهيبي التميمي، كانت وفاته في بلد عنيزة رحمه الله وفي ١٨ من ذي الحجة توفي سعود بن فيصل في بلد الرياض.

وفي سنة ١٢٩٢هـ: قتل مهنا الصالح في بريدة قتل وهو خارج لصلاة الجمعة، قتلوه آل أبو عليان رؤساء بلد بريدة في الماضي، وهم من بني سعد بن زيد مناة تميم، وأما آل أبا الخيل فهم من عنزة اجتمع لقتله أحد عشر رجلاً وقصدوا قصر مهنا المعروف فتحصنوا فقام عليهم آل أبا الخيل وأهل بريدة وحاصروهم في القصر، فحصل بينهم رمي بالبنادق، فأخذ علي المحمد الصالح أبا الخيل حزمة حطب وقصد بها باب القصر وأخذ معه نارًا يريد أن يحرق باب القصر فضربوه برصاصة فوقع ميتًا، ثم ضربوا حسن العودة آل أبا الخيل برصاصة فوقع ميتًا ثم إن أبا الخيل وأهل بريدة حفروا حفرًا تحت المقصورة الذي فيها آل بو عليان المذكورين، فوطنوا فيه بارودًا وأغلقوا فيه النار فثار البارود، فسقطت المقصورة بمن فيها فمات بعضهم تحت الهدم وبعضهم أمسكوه فقتلوه.

ولم يسلم منهم إلاّ إبراهيم بن غانم(١)، وزيد الحائك، وتولّى إمارة بريدة حسن المهنّا الصالح.

وفي سنة ١٢٩٥هـ: أخذوا أهل عنيزة آل عاصم من قحطان وقتلوا رئيسهم حزام بن حشر.

وفي سنة ١٣٠٠هـ: شرعوا في حفر قلبان البدائع التابعة إلى عنيزة

وحفر في[1] ذلك الموضع القليب المسماة العميرية.

وفي سنة ١٣٠١هـ: الوقعة المعروفة بين محمد بن رشيد وبين الإمام عبد الله الفيصل في أم العصافير، وصارت الهزيمة على عبد الله الفيصل في هذه الوقعة، وقتل في هذه الوقعة قتلاً كثيرة منهم: عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطين وعقاب بن حميد من عتيبة.

وفي سنة ١٣٠٣هـ: توفي الشيخ علي بن محمد قاضي بلد عنيزة رحمه الله تعالى في ٥ رمضان.

وفي سنة ١٣٠٥هـ: قتلوا عيال سعود بن فيصل وهم: محمد بن عبد الله وسعد قتلهم سالم بن علي السبهان، وكان عبد العزيز بن سعود قد ركب قبل ذلك لابن رشيد في الجبل فلما بلغ ابن رشيد قتل عيال سعود حبس عبد العزيز عنده في الرياض.

وفي سنة ١٣٠٧هـ: توفي فيصل في الرياض.

وفي سنة ١٣٠٨هـ: في ١٣ جمادي الأول وقعة المليدا بين ابن رشيد وأهل القصيم كانت الهزيمة على أهل القصيم، وقتل منهم قتلاً كثيرة، منهم: زامل العبد الله السليم أمير عنيزة، وابنه علي، واستولى عليها وربط حسن المهنا وأرسله إلى حائل فحبس هناك إلى أن مات.

وفي سنة ١٣١١هـ: توفي الإمام محمد بن فيصل في الرياض.

---

(١) أول من حفر في البدايع سليمان الصالح بن [...]، حفر القليب المعروفة الرمث بالعميرية.

وفي سنة ١٣١٠هـ : توفي عبد العزيز الزامل السليم في مكة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ١٣١٣هـ : قتل محمد الصباح وأخوه جراح، قتلهما أخوهما مبارك بن صباح، واستقل بولاية الكويت.

وفي سنة ١٣١٥هـ : توفي محمد بن رشيد في حائل، توفي في ٣ رجب واستولى الإمارة بعده ابن أخيه عبد العزيز بن متعب بن رشيد في حائل، (وفي آخر رمضان سار الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل من الزرنوقة ماء من مياه الأحسا وتوجه إلى الرياض وسطا على عجلان بن محمد نائب ابن رشيد ومن معه في قصر الرياض، وقتل عجلان المذكور، وقتل معه اثنا عشر من أصحابه، وأخرج الباقين وتوجهوا إلى حائل، وذلك صبيحة الأربعاء رابع شوال، واستولى عبد العزيز بن سعود على الرياض.) (١)

وفي سنة ١٣٢٠هـ : في ذي القعدة قام أهل شقراء على عبد الله الصويغ ومن معه من خدام ابن رشيد وأخرجوهم من البلد، فتوجهوا إلى المجمعة. فلما علم بذلك مشاري بن عبد العزيز العنقري أمير ثرمداء أرسل خلفهم من ردّهم وأمرهم بالقدوم عليه في ثرمداء فرجعوا إلى ثرمداء، وكان ذلك سببًا لهلاكهم وهلاك أهل شقراء طلبوا من الإمام سرية تكون عندهم فأرسل إليهم مساعد بن عبد المحسن، ومنه عدة رجال موطأة من بعض أهلها فقتلوا الصويغ وأصحابه، وهم ثلاث عشر رجلاً وقبضوا على مشاري العنقري فحبسوه هناك إلى أن مات في حبسه ذلك وأقام ابن سويلم ومن معه في شقراء.

وفي سنة ١٣٢١هـ: [...] خرج ابن رشيد لمحاربة أهل شقراء، فنزل على قصور شقراء المعروفة وذلك في يوم الصغر أقام هناك ثلاث أيام ـ لم يدرك منهم شيئًا، فقفل راجعًا إلى بريدة. وفي هذه السنة قدم على الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن من سدير آل سليم وآل بالخيل ومن معهم من أهل القصيم من الكويت، فسار الإمام من سدير إلى الزلفي سرية مع عثمان المحمد إلى الزلفي فدخلوه، وقتل الأمير محمد بن راشد السلمان، واستولوا على [...] من السنة المذكورة ولما علم بذلك أهل عنيزة طلبوا سرية من ابن رشيد تكون عندهم، فأرسل إليهم فهيد السبهان سبعون رجلاً وكان ابن رشيد إذ ذاك في بريدة. ثم كتب أهل عنيزة إلى الإمام وإلى السليم أن لا تقدموا علينا وإلاّ فنحن مستعدّون لحربكم. فلمّا وصلت خطوطهم إلى الإمام وإلى السليم ارتحل الإمام من الزلفي وذلك في السنة المذكورة، وأمر من معه من أهل عنيزة وأهل بريدة أن يقيموا في شقراء، وتوجه إلى الرياض (ابن رشيد من بريدة، وتوجه إلى بوادر على حسين بن جراد، ومعه نحو مائتين رجلاً أن حرب في أرض القصيم (١) وأبو علي ماجد بن حمود العبيد بن رشيد ومعه رجالاً أن [...] ثم وجه من جراب إلى السماوة، وأخذ يكاتب الدولة ويطلب منهم النصرة فأعطوه سنة ٢٧٠٠هـ) (١) واجتمع معه خلائق كثيرة من بادية شمر وغيرهم، وأخذ يجهّز المسير بتلك الجنود إلى نجد، وكان عليه بوادي حرب وبني عبد الله، فتوجه بهم إلى السر وكان الإمام عبد العزيز قد بلغه ذلك فخرج واستجرد عتيبة وأهل القصيم الذي في شقراء، وخرج معه عدة رجال من أهل شقراء، وتوجه إلى السر فلما نزل ابن جراد فيضة السر صبّحه الإمام بتلك الجنود فقتله وأكثر من معه، ولم يسلم منهم إلاّ القليل، واحتوى

الإمام عن جراد وأخذ ما معه من الركاب والأمتعة والسلاح والفرس، ذلك في ٢٨ القعدة من السنة المذكورة، ثم قفل الإمام إلى الرياض وأمر على أهل القصيم أن يقيموا في شقراء، وكان إذ ذاك ماجد: أن حمود على البر(١) يريد أن يلحق ابن جراد، فلمّا بلغه مقتل ابن جراد ارتحل من البريك ونزل الملقاء النخل المعروف خارج عنيزة وصارت الرسل تردد بينه وبين ابن رشيد، وهو إذ ذاك فيفقة أرض السماوة بستحثه ويقول أدرك بلدان القصيم قبل أن تؤخذ من بين أيدينا.

وفي سنة ١٣٢٢هـ: في ٥ محرم ليلة الأربعاء وصل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، ومعه أهل القصيم، وخلائق كثيرة من البادية والحاضرة إلى عنيزة ونوّخوا في الجهمية، وكان الخبر قد جاء أهل عنيزة بأنّ الإمام قد توجه إليهم بمن معه من الجنود فارتحل ماجد بن حمود العبيد ومن معه من الملقاء ونزل باب السافيه، وخرج أهل عنيزة بسلاحهم خارج البلد فدخل السليم ومن معهم من أصحابهم البلد بمواطات من بعض أهلها، وقتلوا عدّة رجال منهم فيد السبهان واستولوا على البلد، وأغار الإمام بخيله على ماجد بن حمود ومن معه، فانهزم ماجد وقتل من أصحابه عدة رجال منهم أخوه عبيد بن حمود، وتولى إمارة عنيزة عبد العزيز بن عبد الله السليم.

ولما كان بعد الوقعة بيومين ذهب آل أبا الخيل وأتباعهم إلى بريدة فدخلوها، وتولّى إمارة بريدة صالح الحسن بن مهناء أبا الخيل، فتحصن عبد الرحمن بن ضبعان ومن معه من أهل الجبل في القصر وامتنعوا فتوجه الإمام ومن معه من الجنود من عنيزة إلى بريدة، وحاصروهم واستمر الحصار إلى سلخ ربيع الأول من السنة المذكورة ثم إنهم طلبوا الصلح

والأمان فأعطاهم الإمام الأمان، فخرجوا وتوجهوا إلى الجبل، واتفق خروجهم في اليوم الذي وصل فيه ابن رشيد ومن معه من العساكر والريان إلى قصيباء فقدم عليه ابن ضبعان ومن معه في قصيباء، ثم ارتحل ابن رشيد من قصيباء ونزل الشيحيّات فلما بلغ الإمام ذلك ارتحل من بريدة ونزل البكيرية، فحصل بينهم وقعة شديدة وقتل من الفريقين خلق كثير فصارت الهزيمة على ابن رشيد وعلى الإمام ووصل الإمام إلى المذنب فبلغه هزيمة ابن رشيد، واستلحقوه أهل عنيزة، فرجع من المذنب إلى عنيزة وأما ابن رشيد فأتاه الخبر بهزيمة ابن سعود فرجع إلى البكيرية.

وكانت هذه الوقعة بعد الظهر من يوم الخميس في ٢٩ ربيع آخر من السنة المذكورة، وقتل في هذه الوقعة ماجد بن حمود العبيد، ورمضان باشا. ومن العساكر نحو خمسمائة رجل. ثم إن الإمام خرج من عنيزة ومعه أهل القصيم البادية والحاضرة، وتوجه إلى البكيرية، وكان ابن رشيد إذ ذاك محاصرًا بلد الخبراء، فلما نزل الإمام البكيرية بمن معه ونزل الرّبن، فلما كان في يوم ٨ رجب من السنة المذكورة حصل بينهم وقعة شديدة، وصارت الهزيمة على ابن رشيد وأتباعه، وغنم منهم الإمام أموالًا كثيرة، ثم إن الإمام رجع إلى الرياض وأذن لأهل القصيم بالرجوع إلى بلدانهم.

وفي سنة ١٣٢٤هـ: في ١٧ صفر الوقعة المشهورة بين الإمام عبد العزيز الفيصل وبين عبد العزيز بن متعب بن رشيد في روضة مهنا قتل فيها عبد العزيز بن متعب بن رشيد المذكور وعدّة رجال من أهل الجبل، منهم عبد الرحمن بن ضبعان وفي ذي القعدة من هذه السنة توفي الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم قاضي بلدة بريدة رحمه الله تعالى.

وفـي سنـة ١٣٢١هـ: فـي ٢٨ جمـاد أول اسـتـولـى الإمـام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل على الأحساء والقطيف وأخرج عسكر الترك الذي في الكوت، وفي خزام وفي صاهود، والعقير، والقطيف، وأعطاهم الأمان، وجهزهم إلى البصرة، وبذل العدل والإحسان للرعيّة، وأقام فيه عدة أيام، وجعل فيه أميرًا عبد الله بن جلوي. ثم قفل إلى الرياض.

وفـي سنـة ١٣٢٢هـ: فـي سابـع ربيـع أول الـوقعة المشهـورة بين الإمام عبد العزيز الرحمن(١) الفيصل وبين ابن رشيد في جراب، صارت الهـزيمة على الإمام، وتـوجه الإمـام بعدهـا إلى بريـدة وأقام بها، وقتل في هـذه الـوقعة عـدّة رجـال، منهم: صـالـح الزامل السليم، ومحمد بن شريدء.

وفي هذه السنة وقعت جراب بين ابن رشيد وبين الإمام فتوجه الإمام إلى الحساء، وكان في نفسه شيء على العجمان لأمور بدرت منهم، فحصل بينه وبينهم وقعة قتل فيها أخوه سعد بن عبد الرحمن بن فيصل، وذلك في شعبان من السنة المذكورة، ولما كان في آخر رمضان من هذه السنة نقض ابن رشيد العهد وأغار على شوايا أهل القصيم على الدويحرة، وأخذ منهم إبلًا، ونزل الطرفية، وأخذ يكاتب أهل القصيم فلم يلتفتوا له، وحصل بينه وبينهم قتال فهزموه، وقتلوا منه عدة رجال وركابًا، فلما أعياه أمرهم ارتحل من الطرفيّة، وقفل راجعًا إلى حائل، والإمام عبد العزيز إذ ذاك في الحساء ولم يزل مشمّرًا في حربهم(٢) إلى أن مزّقهم الله شذرًا مذرًا وأجلاهم الإمام من الأحساء، فتوجهوا إلى جهة الشمال مخذولون، وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آل وصحبه أجمعين.

إمارة عبد العزيز بن متعب الرشيد

تولى الإمارة بعد وفاة محمد وأرسل إلى أمراء عمه في البلدان ـ وأقرهم على أعمالهم، وأمرهم أن يأخذوا له البيعة على من قبلهم فبايعوا ولم يختلف عليه أحد. وكانت ولايته مفتاح المصائب والنكبات والفتن والقلاقل والحروب، وكان طالعه نحس على نفسه وعلى أهل نجد عمومًا، فقد كان غشومًا ظالمًا وجبارًا لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً فكان في خلقه وأخلاقه وسياسته على النقيض من عمه على خط مستقيم. تولى الإمارة وحالة نجد أشبه ما تكون في حالتها وقت وفاة الإمام فيصل آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، هادئة ساكنة حاضرتها وباديتها كل منصرف إلى عمله من تجارة أو زراعة أو صناعة، فما كاد يتربع على كرسي الإمارة حتى أخذ سوء سياسته يفتح على نفسه أبواب الشر والفتنة.

سنة ١٣١٦هـ وسنة ١٣١٧هـ

في هذه السنتين لم يحصل حوادث توجب الذكر إلاّ غزوات على البوادي ليس من كبيرها فائدة.

وفي هذه السنة قلّت الأمطار وضعفت المواشي وحصل قحط غلت أسعار الأطعمة وكثر الجرب بالإبل وهو داء يكثر في سني الجفاف وقلة الأمطار وغالبًا يصاحب ضعف المواشي، وفي هذه السنة توفي عبد الله الناصر البتيلي في ١٧ رمضان، وأحمد عبد الرحمن الذكير ٢٠ رمضان وعائد المحمد التميمي ٢٣ شوال سنة ١٣١٨هـ.

وفي هذه السنة تمكن أولاد آل أبا الخيل المسجونين عند ابن رشيد

من الهرب، وكان حسن المهنا قد توفي وهو بالحبس وعمل الأولاد الأسباب ونقبوا جدار السجن وخرجوا، فأطلبهم ابن رشيد فلم يجد لهم أثرًا منهم فركتوا في بعض الجبال حتى خف الطلب فوصلوا إلى الكويت.

وفي شهر صفر من هذه السنة وصل يوسف بن إبراهيم إلى حايل قاصدًا ابن رشيد يستنجده على ابن صباح خصوصًا بعد أن فشلت مساعيه لدى التركي، وقاسم ابن ثاني أمير قطر فرأى ابن رشيد أن الفرصة سانحة له في ابن صباح خصوصًا بعد أن قدم عليه ابن مهنا الذي شرد من الحبس. أما ابن صباح فقد اضطرب لما علم أن ابن رشيد استقبل يوسف بن إبراهيم وأنه يوشك أن يساعده، فكتب إلى ابن رشيد يبين له أعمال يوسف وأنه لا يريد إلاّ تكدير العلاقات بيننا وبينكم ويرجوه أن ينفاه لأنه لا يسكن عن حركاته وإفساده.

فجاوبه ابن رشيد أن أعدائي عندك وتحت حمايتك فمنذ نحو عشر سنين لم أفي من طرفهم ولا طلبت منك أن نتفاهم، فلما وصل عندي هذا الرجل تطلب مني أن أنفاه، نعم إذا لقيت من عندك من جلوية أهل نجد وأخرجتهم من بلادك، فأنا أخرج هذا الرجل من عندي.

علم ابن صباح أن ابن رشيد مصمم على مساعدة ابن إبراهيم فأراد أن يعمل ليضطر ابن رشيد إلى الصلح، فجهز جيشًا من أهل الكويت يقوده حمود الصباح والتحق به بوادي الكويت وبعض بوادي نجد، فأغار على شمر وأخذهم على الرخمية الماء المعروف، ثم جهز جيشًا يقوده عبد الرحمن الفيصل ومعه أمراء القصيم آل سليم وآل مهنا فأغاروا على

قحطان وأخذوهم على روضة سدير، وقد بدا له بعد خروج عبد الرحمن الفيصل ومن معه أن يكتب لابن رشيد فكتب له يقول طلبت مني أن أنفي من عندي من الجلوية وتنفي أنت ابن إبراهيم فقد رجحت رأيك وفضلت صحبتهم ونفيت من عندي وأخرجتهم من الكويت وأمرتهم أن لا يعودوا إليها وفعلاً نفذ هذا الأمر وكانت حقيقة فكتب إلى عبد الرحمن الفيصل يقول إني اتفقت وابن رشيد فلا ترجعوا إلى الكويت ولا تقربوا حولها، وصل إليهم الكتاب بعد إغارتهم على قحطان، نضاقت عليهم الأرض لا يعلمون أي جهة يسلكون فبلدان نجد وبواديها كلها تحت أمر ابن رشيد فاقتضى رأيهم أن يتعلقوا مع العجمان إلى أن يدبروا أمرهم فرجعوا معتمدين على ذلك بعد أن أغلق عنهم ابن صباح أبواب الكويت فبينما هم في طريقهم إذا برسول آخر من ابن صباح يستدعيهم للرجوع إلى الكويت، ويستحثهم على ذلك لأن ابن رشيد بلغه وقعة عبد الرحمن الفيصل على قحطان، فغضب ابن رشيد غضبًا شديدًا، وقال: إن ابن صباح يهزأ بي، فكتب إلى مبارك كتابًا شديد اللهجة يقول فيه: بينما أنت تراجعني بالصلح وتقول إنك أخرجت من عندك من الجلوية وإذا أنت من الجهة الثانية تجهزهم بمعدات الحرب وتأمرهم أن يغيروا على رعايانا. نعم ثبت لدينا إنك أخرجتهم ولكن بعد أن جهزتهم فلم يبقى بعد هذا العمل محل للمراجعة، وليس بيني وبينك إلاَّ السيف.

هذا الكتاب هو الذي دعى مباركًا لاستدعاء عبد الرحمن الفيصل، إذ علم أن ليس سبيل للصلح بعد هذا التهديد من ابن رشيد. رجع عبد الرحمن الفيصل ومن معه إلى الكويت، وأخذ ابن صباح يكاتب القبائل التي حوله، ويستدعيهم، وأخذ يجهز ويجند من الكويت، وجعل

موضع معسكره بالجهرى خوفًا من مهاجمة ابن رشيد للكويت وحماية لقبائله.

أما ابن رشيد فقد خرج من حائل بشهر ربيع الثاني فبلغه أن ابن صباح بجند وأن معسكره على الجهرى، فأقبل قاصدًا الهجوم على ابن صباح، فلما وصل الحسن موضع في الباطن قريب من الحفر نزل فيه واستدعى شمر فنزلوا عنده، وكتب إلى أمراء البلدان يأمرهم بإرسال غزوهم، فأقام بموضعه إلى أن تكامل عنده جنوده، وأخذ ينتظر الفرصة بابن صباح، وكانت سبور ابن رشيد عند ابن صباح تمده بالمعلومات عن جميع حركاته، فلما أجمعت قوات ابن صباح بالجهرى عزم على أن يغزو أحد القبائل الموالية لابن رشيد فجاء الخبر ابن رشيد عن حركة ابن صباح فظن أنه يريده، فاستعد ولكن باليوم التالي جاءه الخبر أن ابن صباح أرخص للقبائل يرجعون إلى أهلهم، وذلك لأن ابن صباح تكفى عن عزمه ولكنه استأنف العزم واسترجع القبائل، وسار من الجهرى قاصدًا شمر ورؤساء جيشه حمود الصباح وعبد الرحمن الفيصل، أما ابن رشيد لما تحقق أن ابن صباح أرخص لغزو سار قاصدًا سعدون لسابق عداوة بينهما ولحلفه مع ابن صباح.

أما جيش الكويت فقد أغار على عرب ابن رشيد الذين غزوا معه ولم يلقوا مقاومة إلاَّ أنهم قبل هجومهم رأوا نيران قد أوقدها ابن رشيد ليهتدي بها من تخلف عنه من قومه فسألوا عنها فبلغهم أنها نيران ابن رشيد فاستخفوا واستكفوا بما وصل إليهم من الحلال خوفًا أن يدركهم ابن رشيد، فرجعوا سراعًا وبلغوا الجهرى، أما ابن رشيد فلم يعلم بما جرى وسار بقصده وأغار على سعدون وأخذه، ورجع. وكان سعدون قد

استصرخ ابن صباح لما علم أن ابن رشيد يقصده فبادر ابن صباح لنجدة سعدون، ولكن بعد فوات الوقت، رجع ابن رشيد بعدما أخذه سعدون ونزل رجم الهبازع، وأرسل إلى أمرائه في بلدان نجد يأمرهم بإرسال زيادة غزو فجاؤه وهو بمنزله. أما ابن صباح فقد كتب إلى سعدون يستنجده على عدوهما المشترك فأجابه ولبى دعوته، ثم استنفر القبائل وأخذ بعد العدة للغزوة الكبرى، فانضمت إليه مطير بأجمعها وقسم كبير من العجمان وآل مرة وجاء سعدون ومعه قوة غير قليلة، فاجتمع عند مبارك جيش كبير لا يقل عدده عن عشرة آلاف، زحف هذا الجيش الجرار في شهر شوال من هذه السنة يقوده مبارك بن صباح بنفسه ومعه عبد الرحمن الفيصل وابنيه عبد العزيز ومحمد وأمراء القصيم، آل سليم، وآل مهنا، وعندما وصل خبري الدويش (خبري الفضم) جاءه رؤساء البوادي يستأذنونه بتخلف أهلهم وأموالهم التي كانت معهم بحجة بعد المسافة المقصودة، وعدم وجود مراعي لإبليهم في البلاد التي هم قارين عليها.

وأما الجيش والخيل تمشي مع البيرق فأذن لهم فتخلف نصف المقاتلة بحجة المحافظة على الأموال والعائلات، وكان ابن صباح يرى أنه لا حاجة به إليهم لما معه من العدد والعدد، فرحل وما زال يتنقل من موضع إلى موضع إلى أن نزل الشوكي وهو ماء غير بعيد عن الرياض، فأقام عليه أياماً فاستأذنه عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل أن يسير بقسم من هذا الجيش إلى الرياض، فأذن له فأخذ معه ألف ذلول من البادية وقليل من الحضر، فزحف عبد العزيز إلى الرياض واستولى عليها إلا القصر، فإن الأمير من قبل ابن رشيد عبد الرحمن بن ضبعان قد تحصن فيه هو والسدير التي معه، وحاصرها عبد العزيز مدة أيام ولم يدرك نتيجة

فابتدأ يحضر نفق على القصر لينسفه على من فيه، وباشر العمل، فلما كاد ينتهي فاجأه خبر هزيمة ابن صباح أمام قوات ابن رشيد فانسحب ولم يتم عمله.

أما ابن صباح فقد وصل من الشوكي وقصد القصيم فلما قاربه استأذن آل سليم وآل مهنا ابن صباح بالمسير إلى بلدانهم فأذن لهم، فساروا معهم ورحل بعدهم ابن صباح ونزل قريب بلد بريدة، فدخل آل سليم عنيزة وآل مهنا بريدة بدون مقاومة، وفتر أمراء ابن رشيد سعد لمحاربي(١) أمير بريدة وصالح اليحيى الصالح أمير عنيزة ورحب أهل القصيم بأمرائهم، ثم إن ابن صباح استدعى الأمراء وأعيان جماعتهم الموالين والمخالفين فخطب فيهم، وقال: إني لم آتي فاتحًا ولا مطمع لي ببلادكم، وإنما جئت مساعدة لحكامكم وأمراءكم لإرجاعهم إلى أوطانهم التي أخذها منهم هذا الظالم وشتت شملهم، وصادر أموالهم وأملاكهم، وبعد قضاء مهمتي سأرجع إلى بلادي تاركًا شأنكم لكم ولحكامكم وأمراءكم.

فشكروه على عمله فطلب منهم أن يبايعوا أمراءهم على السمع والطاعة، فبايعوهم على ذلك فرجعت الوفود إلى بلدانهم ثم أذعن أهل القصيم أن يغزو مع أمراءهم ليسيروا معه إلى مطاردة ابن رشيد فعرفه عليه غزو بريدة وتوابعها من القصيم، وجاءه قسم من قبيلة عتيبة فانضم إلى ابن صباح فأخذ في منزله نحو عشرة أيام بتجهيز للمسير إلى ابن رشيد.

أما ابن رشيد فقد انسحب بأول الأمر وترك الميدان لخصمه، بينما يلم شعثه، لأنه لا يريد أن ينازل مثل هذا الجيش اللجب قبل أن يستكمل

(١) سعد الحازمي

استعداده، وثانيًا أراد أن يجر خصمه إلى قلب البلاد ويبعده عن بلاده، ولأن المطاولة في الأمر تفيده وتضر بخصمه، لأن أكثر جنود ابن صباح بوادي ولا صبر لهم بالابتعاد عن أهلهم وأموالهم، فأرسل يستجيش شمر وحرب وهتيم، فأقبل إليه منهم خلق كثير، وإن قد بلغه استيلاء أهل القصيم على بلدانهم، ورحل إليه أمراءه الذين هو بدا منها، فأقبل قاصدًا ابن صباح، فلما قارب القصيم شديد ابن صباح ونزل النبقية قرية من قرى بريدة فما راعهم إلاَّ ابن رشيد ينزل قبالتهم في الطرفية وهي قرية من قرى بريدة أيضًا، وكان الوقت ظهرًا ولم يظن ابن صباح أن ابن رشيد سيهاجمه بذلك اليوم، ولكن ابن رشيد أخلف ظنه فإنه لم ينزل إلاَّ وقد عبىء جيشه وقرّن الإبل وجعلها صفًا واحدًا تتقدم الجنود، وساقها عليهم ومشت الجنود من خلفها وكانت جنود ابن صباح مشتتة هنا وهناك، ولم يستعد استخفافًا بابن رشيد فداهمهم وهم على هذه الحال فتلاحقوا على غير تعبئة والتحم القتال إلى آخر نهار ذلك اليوم ٢٦ القعدة، فانهزم ابن صباح وجنوده، فانتحى بنفسه ومعه عبد الرحمن الفيصل وشرذمة قليلة، وخرج آل مهنا من بريدة وتبعوه، وكان غزو عنيزة قد خرج بتلك اليوم ورجعوا من عرض الطريق لما بلغهم الخبر، وبقي آل سليم تلك الليلة في عنيزة يحاولون جماعتهم على الحرب والامتناع في بلدهم فخذلوهم، فدخلوا صباح اليوم الثاني والتحقوا بابن صباح وأدركوه قبل أن يصل الكويت، وأرسل عبد الرحمن الفيصل لابنه عبد العزيز في الرياض يخبره بالأمر ويأمره بالاقبال إليه، فخرج من الرياض وقد كاد أن يستولي على القصر فلم يسعه إلاَّ أن يفك الحصار، وينهزم بمن يتعد من قومه إلى الكويت.

أما فلول جيش ابن صباح فقد تفرقوا بالبلدان القريبة منهم واختفوا

بها، ولكن ابن رشيد أرسل السرايا تتبع فلول المنهزمين فمن وجدوا قتلوه حتى وصلوا الزلفى، ثم رجعوا وأخذوا يتبعون الذين في البلدان فأخرجوهم من البيوت والمساجد وقتلوهم، بقوا على ذلك نحو ثلاثة أشهر وقد اشتهر بيوت في عنيزة آوت إليها عدد غير قليل من هؤلاء التعساء، وأخذوا يقومون بحاجاتهم، فلما أمنوا الطلب جهزوهم بما يحتاجون إليه وأرسلوهم إلى أوطانهم.

أما عدد القتلى فقد اختلف فيه، ولكن القول المتوسط الخالي من المبالغة ألف ومائتين من الطرفين منهم ثمانمائة من جند ابن صباح، والباقي من قوم ابن رشيد، المشهور من قوم ابن صباح حمود الصباح، وعبد الله المنصور أخي سعدون وابنه حمود. ومن قوم ابن رشيد سالم بن حمود العبيد الرشيد وأخاه.

وبعد هذه الوقعة تجلت نفسية بن رشيد فبدلاً من أن يستميل رعيته بالعقل أخذهم بالشدة العنيفة، رحل من موضعه ونزل بريدة ونكل بأهلها تنكيلاً شديدًا قاسيًا، فقد أخذ من الدبيري(١) أحد تجار بريدة خمسين ألف ريال وقتله، وأخذ من سليمان الشبيلي أحد تجار عنيزة عشرة آلاف ريال، وفرض على عموم بلدات القصيم ضرائب فادحة، ونزع السلاح من أهلها وعمل غير ذلك أعمال بغاية القوة والشدة، وهذا مثال قليل من الواقع. ثم أرسل سالمًا ابن السبهان إلى الرياض ونواحيها، وعمل بهم مثل عمله بالقصيم وأعظم، فلما بلغ ما أراد من التنكيل وشفى ما بنفسه من الانتقام من أهل نجد عمومًا، رحل ونزل البطانيات ثم رجع ودخل بلاده في أول سنة ١٣١٩هـ وكان يوسف بن إبراهيم مع كاظم باشا قبل الوقعة بأيام قليلة، وكان كاظم باشا قد خرج لمواجهة ابن رشيد.

الدريبي

رجع يوسف إلى العراق بعد أن بلغه كاظم باشا عفو الدولة عنه التهمة التي ألقاها عليه ابن صباح. فاستأنف عمله مع الدولة ضد ابن صباح، وأخذ يشحذ عزم مناصيب الدولة واغتنم أولاد محمد الصباح الفرصة بعد خذلان عمهم فرفعوا شكواهم إلى الآستانة التي أخذت تصغي إلى دعواهم وتعطف عليهم، وقد رأت الفرصة سانحة بعد خذلان مبارك أمام ابن رشيد فأخذت تمهد الأمور لاحتلال الكويت، فأصدرت أمرها إلى المشير في بغداد أن يجهز جيشًا لا يقل عن عشرة طوابير بكون على أتم الأهبة والاستعداد، فجهز ذلك بقيادة محمد باشا الاغستاني، ولكن المشير أراد أن يستنير برأي والي ولاية البصرة محسن باشا، فذهب إلى البصرة وقابل محسن باشا فأظهر له هذا عدم الارتياح من هذا التدبير خوفًا من أن يشطر ابن صباح إلى الالتجاء للدولة الانكليزية، ورأى محسن باشا مفاوضة مبارك قبل الإقدام على إجراء عمل ضده، فاستحسن المشير رأيه وكلفه بمقابلة مبارك ومفاوضاته وإقناعه بوجوب انقياده لأمر الدولة العثمانية.

ذهب محسن باشا إلى الكويت واجتمع بمبارك وأقنعه بوجوب الذهاب معه إلى الفاو ومخابرة الدولة فذهبا إلى الفاو، وعمل مبارك بنصيحة محسن باشا، لأنه يثق به ورفع إلى الدولة خضوعه وانقياده. عملت الدولة هذا العمل خوفًا من تدخل الانكليز، ولم تعلم أن مباركًا قد اتفق ورئيس الخليج في معاهدة سرية تخولهم حق الحماية بعد أن أرسل مبارك التلغراف للحكومة العثمانية عدلت عن إرسال العسكر الذي قد أعدته ولكنها طلبت تحقيق ما يدعيه [...] مبارك من التبعية للدولة

فأرسلت تلغرافًا من ربيع الثاني سنة ١٣١٩هـ من باشكاتب المابين إلى مشير بغداد يقول: «بلغوا الشيخ مبارك أنه بموجب المعاهدة الدولية إذا وجد في إحدى المواضع سنجف[١] (عثماني أو مركز عسكري أو مأمور للحكومة فلا لجميع الدول تدخل فيلزم بأي صورة مشيسة تبلغون مباركًا باشا الأمر».

ولكن مبارك تغافل عن هذا ويقال إن حكومة الانكليز. نصحت للحكومة العثمانية أن لا تفتح بابًا من الشر لا يستطاع إقفاله فعدلت عن رأيها لما تعلمه من مطامع الانكليز.

وفي شهر ربيع الثاني خرج ابن رشيد من بلاده وهو يقصد الزحف إلى أطراف الكويت، فلما قارب حدود الكويت، وهم بالهجوم على مخيم ابن صباح بالجهرى بلغه التجاء مبارك للانكليز وأنهم أمدوه بمركب حربي أقام في مياه الكويت، فعدل ابن رشيد عن عزمه ورجع ونزل حفر الباطن، وشرع يفاوض الترك بشأن مبارك الصباح، ويطلب منها نجدة تساعده على احتلال الكويت وتداركت رسله وشكاواته ضد مبارك وساعده على ذلك يوسف بن إبراهيم، فقطعت الحكومة عليه ولم تقرب ولم تبعد فدافعته بالأمل.

أما مبارك الصباح فقد كان جيشه مستعدًا في الجهرى فاغتنم الفرصة وأغار على قبيلة سالم بن طوالة من شمر بأطراف الخميسية وأخذهم ورجع إلى الجهرى، وذلك بشهر جمادى الأول، فلما بلغ ابن رشيد خبر ابن صباح سار من الحفر وتعد أطراف الكويت، وأغار على الصبيحية الماء المعروف قرب الكويت، وكان أهلها قد انتذروا به وهجو فتابع مسيرة جهة

١) سنجقة

الكويت، فلما وصل (داره) صادفته قافلة كبيرة من مطير خارجة من الكويت وحصل بينه وبينهم قتال قتل فيه كاتب ابن رشيد الخاص (جار الله ابن يوسف بن عتيق) ولكنه بالأخير تغلب عليهم، واستولى على جميع ما معهم، ورجع إلى الحفر وهكذا الرعايا دائمًا تكون هي الضحايا لمطامع الحكام، فابن صباح أخذ ابن طوالة انتقامًا من ابن رشيد وهذا أخذ مطير انتقامًا من ابن صباح والنقص على رعايا الطرفين فلا ابن رشيد عوض على ابن طوالة ما أخذ منه بسبعين ولا ابن صباح عوض مطير لكونهم أخذوا بجنايته. وفي شهر رجب سار ابن صباح وأغار على الظفير وأخذهم ورجع إلى الجهرى.

وهنا حادث جرى قبل الحوادث التي سردناها وهو أهمها لأنه محور لما سيحدث بعد هذا من الحوادث الجسام، أخرناه لأننا كرهنا قطعها ذلك أنه في ربيع الثاني من هذه السنة بالوقت الذي خرج فيه ابن رشيد من بلاده خرج رجلاً آخر من الكويت ولكنه كان مجهولاً بتلك الوقت فلم يكن لخروجه أهمية، ذلك هو عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل فإنه بعد وقعة الطرفية لم يشأ الركون والخمول ونازعته نفسه أن يقذف بنفسه في لجة هذا المحيط المضطرب فأما أن يدرك ما تتوق إليه نفسه أو يموت، ولكن أبوه دافعه ومنعه فامتثل، لكن النفس الجياشة لا تركن إلى الخمول فقد أعاد الكره على أبيه بصورة جازمة فوافقه أبوه على ذلك وأبلغ مباركًا بما عزم عليه، فشجعه على ذلك وأمده بثلاثين بندقية وأربعين ذلولاً ومائتي ريال فقط. وشيء من الزاد فساروا معه من إخوته وأبناء عمه وأتباعهم أربعون رجلاً فقصد العجمان فردد رؤساءهم بقبوله ولكن كثير من عامتهم انضموا إليه، وكذلك انضم إليه جماعة من آل مرة وبيع[1] والسهول فتكون عنده

جيش لا يقل عن ألفي ذلولاً ومن الخيل نحو أربعماية نمشي من عوينة كنهر المعروفة بالعطف طف بني خالد وبعد خمسة أيام ورد حفر العتش (١) والماء المعروف بأطراف العارض على حافة الدهناء من الغرب، وصدر منه وورد الشمسين ماء معروف ثم صدر منه وجعل العرض عن يمينه وورد الحفاير، ومنها أرسل كشافته ورجعوا يخبرونه بمنازل القبيلة التي هو قاصد ولما أصبح عبىء جموعه وأغار على عتيبة وأخذهم على الرفائع ورجع بيومه، وقصد قحطان وأغار عليهم وأخذهم قريب من التيه جنوبًا، ورجع ونزل قريب من الحسا وأقام أربعة أيام والقوم يجلبون غنائمهم ويبيعونها في الأحساء ويمتارون منه ويأخذون ما ينقصهم من اللوازم والحكومة التركية تعلم ذلك، ولم تحاول منعهم لأنها لا ترغب فتح أبواب قد تؤدي إلى مشاكل بينهم وبين البادية، ولا بينهم وبين ابن سعود.

وبعد هذه الغزوات الموفقة انضم إليه كثير من البادية الذين يميلون إلى الكسب من هذا الطريق فاجتمع لديه قوة لا يستهان بها وبما أن جميع بوادي نجد تابعة لابن رشيد فقد أخذ يشن عليهم الغارات ليضمهم إلى جانبه، وهي الوسيلة الوحيدة لإذعان البادية، ومن حيث ليس عنده قوة لمقابلة ابن رشيد وجهًا لوجه أخذ يشن الغارة على أتباعه من البوادي ليكسب نفوذًا في البادية وليستميلهم لجانبه، فكل من انضم إليه من قبيلة زادت في قوته ونقصت من قوات خصمه، وهذه هي المرحلة الأولى لطريقة الفتح في نجد، ثم زحف من موضعه وسار قاصدًا ما يليه من بوادي ابن رشيد فعلم وهو بطريقه أن أقرب من يليه بُرَيْه من مطير ومعهم آل عاصم من قحطان فجد السير نحوهم، وأغار عليهم في مُجَذّلْ موقع شمالي بريدة وأخذ منهم حلالاً كثيرًا إبل وغنم، ورجع ونزل الحسين

(١) حفر العتش (العك)

مجمع الغنائم وعزل خمسة منها، ثم سار من موضعه وقصد الجنوب وأغار على الدواسر وملأ يديه من الغنائم ورجع إلى الحساء، وأقام قريبًا منه، فجلبوا غنائمهم وباعوها واشتروا ما يحتاجون إليه ثم القيق وسار جنوبًا وأقام على حفاف الربع الخالي.

كل هذه الوقعات جرت وابن رشيد قابع في موضعه على حفر الباطن ينتظر مساعدة الدولة ويعلل نفسه بالآمال، فلما طال عليه الأمر ورأى أن ابن صباح يغير في الشمال وابن سعود يغير من الجنوب وهو لا يحرك ساكنًا رأى أن يخابر الحكومة التركية بنفسه فرحل من موضعه ونزل قرب بلد الزبير وخابر الحكومة بشأن ابن صباح وابن سعود وحركاتهما على رعاياه وطلب منهما منعه من الإيثار من بلدانها أو تسمح له أن يجعل في المراكز معتمدين من رجاله يراقبون منعهم فأجابته إلى ذلك. وجعل في بغداد والسماوة والزبير... معتمدين من قبله وأرسل سعد الحازمي معتمدًا من قبله في الأحساء لأجل مقاومة نفوذ ابن سعود وتثبيط بادية النقرة عن مساعدته، وحمل حكومة الحساء على منع طوارف ابن سعود عن التموين من الأحساء يقصد بذلك حصره في الصحراء وجعلت الحكومة التركية مراكز عسكرية في سفوان والغبيشية والخميسية وفي بوبيان دام قصر(1)، وذلك موجب طلب ابن رشيد إلاَّ المركزين الآخرين، فقد وضعتهما الحكومة بحجة من حدود العراق، وكان صاحب الكويت يدعيهما فاحتج على حكومة التركي في احتلاليهما وعلى وضعها مركز في سفوان الذي يعتبرها من حدود الكويت، فلم تضع الحكومة لاحتجاجه وأهملته واستعان برئيس الوكلاء السياسي في الخليج فتعامت عنه.

أما بقية المراكز فقد صارت السلطة فيها لرجال ابن رشيد، ولكن

(1) أم قصر

هذه التدابير جاءت متأخرة، وصل سعدًا الحازمي بشهر رمضان إلى البحرين ونزل بضيافة مقبل الذكير، وسار إلى قطر لمواجهة أميرها الشيخ قاسم بن ثاني ليسلم له كتب من ابن رشيد يطلب منه منع ابن سعود عن التموين من بلاده، ورجع إلى البحرين ليسير منها إلى مقر عمله في الأحساء، حيث لم يستطع السفر إليها من قطر لعدم وجود الآنية، فما كاد يصل إلى البحرين حتى فاجأه خبر استيلاء ابن سعود على الرياض، فأسقط في يده وبينما هو يتجهز للسفر إلى الأحساء إذ بلغه أن بعض أهل الرياض وأهل الخرج المقيمين في البحرين جهزوا لهم سفينة يريدون أن يتعقبوه في البحر ويقتلوه حينما يبتعد عن حدود البحرين، فاضطرب، وكان الأمر حقيقة فاستعد بالسلاح وأخذ معه زيادة جند للمحافظة، فتوجه إلى العقير ومنها إلى الأحساء.

فتح الرياض

ذكرنا أن ابن سعود أقام على حفاف رمال الربع الخالي طيلة أيام شهر رمضان وبلغه ترتيبات ابن رشيد وأنه يريد أن يحصره في الصحراء، صمم على أن يشق لنفسه طريقًا، فمشى من يبرين في أواخر شهر رمضان فلما كان بمنتصف الطريق أخبر جنوده بأنه يقصد الرياض، فمن أراد أن يمضي معه أو يرجع عنه فهو بالخيار فرجع جميع من كان معه من البادية إلاّ عشرون رجلاً ولم يبق معه إلاّ الذين خرجوا معه من الكويت وعشرون رجلاً غيرهم، فوصلوا في ٤ شوال إلى حدود الرياض ونزلوا في الساعة الثانية من الليل جبل يبعد عن الرياض ساعتين فترك عند الجيش عشرين من قومه وتقدم بالأربعين الآخرين وفيهم أخوه محمد وعبد الله بن جلوى،

فلما وصل النخيل التي خارج السور أقام أخاه محمدًا ومعه ثلاثون رجلاً كاحتياطي ومشى بالعشرة الباقين إلى غرضه ولم يتمكن من الدخول إلى السور الخارجي إلاّ من بيت محاذ له وهو لفلاح يتجر بالبقر، قرع عبد العزيز الباب ففتح له صاحب البيت وقبض عليه وتهدده إذا هو تكلم، فعرفه أهل البيت فركنوا إلى السكوت فأغلق عليهم الباب ثم تسلق الجدار إلى البيت الذي يليه عند الحصن، فإذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد وإذا هما امرأة عجلان الأمير وأختها امرأة أخيه فأيقظهما فاستوتا جالستين دون أن يراهما شيء من الخوف فعرفته زوجة عجلان، وسألته من يريد قال: أريد زوجك قالت إنه بالقصر قال: متى يخرج قالت: إنه لا يخرج إلاّ بعد طلوع الشمس فاكتفى بهذه المعلومة، وأقفل عليهما واستدعى رجاله، فاجتمعوا في بيت عجلان وكانت الساعة قد بلغت الثامنة ليلاً فاستراحوا وعند طلوع الفجر أخذوا يدبرون طريقة الهجوم على الحصن الداخلي، فلما طلعت الشمس فتح ذاك الحصن، فأخرج بعض العبيد الخيل إلى الشمس فلما رأى عبد العزيز البوابة مفتوحة خرج عاديًا فتبعه من رجاله خمسة عشر رجلاً فقط واتفق أن الأمير عجلان بن محمد كان قد خرج من الحصن عند هجومهم عليه وهو قادم إلى بيته، فلما رأى عبد العزيز وبيده السيف سلت عراه الدهش والرعب، فنكص ورجاله على أعقابهم، وهم يريدون الرجوع إلى القصر ولكن بعدما خرج عجلان أغلق باب القصر، ولم يبق إلاّ الخوخة (الباب الصغير فيها) وبين كان ورجاله يدخلون مع خوخة الباب أطلق عبد العزيز البندقية عليه فأصابه ولم يقتله ثم أدركه وقد صار نصفه داخل الباب، فأمسكه وسحبه إلى الخارج فتصارع الإثنان برهة فرفس عبد العزيز على كبده رفسة قوية فأغمي عليه

وأفلت منه، وبينما هو يحاول الدخول ثانية من تلك الخوخة أدركه عبد الله بن جلوى فضربه بالسيف فرده الباب وبقي أثر السيف بالباب فأفلت منه، فأطلق عليه ابن جلوى مسدسه وأصابه فدخل عليه وقتله، وكان عبد العزيز قد أخافه وكان رجال عجلان الذين قد دخلوا الحصن [. . .] رمدوا إلى أحد الأبراج المشرفة على السوق وأخذوا يطلقون النار من المصاليث على رجال ابن سعود فقتلوا اثنين وصوبوا أربعة فتراجع قوم ابن سعود إلاّ عبد الله بن جلوى فإنه دخل وراء عجلان فنادى عبد العزيز برجاله واستنفرهم فامتنعوا أثر عبد الله بن جلوى فهجموا على الحصن هجمة رجل واحد فقتلوا أكثر من فيه، وكان بعضهم قد تحصن في أحد جوانب القصر وأرادوا المدافعة إلاّ أن عبد العزيز دعاهم بالأمان فسلموا، واستولى على القصر يوم الرابع من شوال أو بالأحرى استولى على الرياض فجاءه أهل البلاد مستبشرين فبايعوه على السمع والطاعة، بل على الموت، ذلك لأن ابن رشيد قد هيأ الأمور لابن سعود بأعماله فزرع بذور البغضاء في قلوب أهل نجد عمومًا فلا عجب إذا استقبلوا ابن سعود هذا الاستقبال، فلما طهر ابن سعود البلاد من العدو أخذ يباشر بناء السور الخارجي فأحكمه وحصنه فتم بناءه لمدة لا تزيد عن الشهر، وإلى هذا يشير العوني بقصيدة طويلة منها:

وادلج عليها بالمسير وبالسورى	لما غدت مثل الحنى ارقابها
وصلّه على العارض بليل دامس	ولا حد من اوباش الأمير درى بها
عجلان بامر بالرياض وينتهى	طير العشا وكر المحرار اربابها
مْقَيوش رأسه بدبرة فيصل	وطيور شلوى خما حسب بحسابها
خمسين شغموم نديبهم ضاري	حدر الدجى ذيب الظلام سرابها

دخـل بليـل واسكـن بخفيـة لما جلت شمس النهار حجابها
قـام الفـريـر فـك بـابـه وانتشـر عمى البصر والنفس محى كتابها
طلـع والـي عبـد العـزيـز بعينـه مثل ارنب شافت خيال عقابها
وانكـف الـى قصـره شيخ هـارب وادبح يبى الفتحة بخش ببابها
وضمه خمي الوفدات قبل ادخوله تعيـش بمنـا جـوده مخـلابهـا
يعيش ابـو تـركـي شظـاه بعـارم من ناش بدوروحه يحل ذهابها
يتلـونـه المقـرن واخـو محمـد شندرة صقيل باليمين اقضا بتا
عند ابـو تـركـي ما يفـاخـت رايه هـو وآل مقـرن كلمته يمضـي بها
هنـادي يضـرب بهـا روس العـدا مثل امس عند المعضلات صطابها
ستيـن مـا فيهـم بعـد لمسـالـم قبل ارتفاع الشمس جذ ارقابها
كلـه لعينـي نجـد هـي واطـرافهـا يـوم ان سكـان الجبـل مـاشـا بهـا
إلا ينهـب ضعـوفهـا وتجـارهـا مـن ستهـا جنـابهـا نهـا بهـا
الى ورى الجدران تاخذه العدى وهـو آخـذ مـا كـان داخـل بـابهـا
يا نجد طيبي وابشري جاك الفرج باسـباب ابو تركي عريب انسابها
ان سـاعـف المعبـود دور الليلـة خيلـه تـركـز فـي سمـاح حـرابهـا

رجوع ابن رشيد إلى بلاده

وكان ابن رشيد لم يزل في منزله على الحفر فبلغه استيلاء ابن سعود على الرياض فجمع كبار قومه ورؤساء شمر فأخبرهم بأمر ابن سعود واستشارهم فيما يجب عمله وكانوا قد سئموا طول الإقامة، وخشوا أن يجرهم إلى الرياض، فأشاروا عليه أن يرجع إلى بلاده، ويستعد استعدادًا لحصار الرياض، فرجع ودخل بلاده.

أما ابن سعود فقد أخذ يعزز مركزه وقد وصله نجدة من ابن صباح مع أخيه سعد من الرياض وقصد الخرج واستولى عليها، ثم سار إلى الحوطة والحريق والافلاج.

فاستولى عليهن وإذا قلنا استولى معناه أنه فتح هذه الأماكن بقوة جنده بل إنهم هم الذين أدوا له السمع والطاعة عن حب وإخلاص لميلهم إليه ومحبتهم لهذا البيت وإخلاصهم لهم قديمًا وحديثًا. وهذا الميل والمحبة هما اللتان ساعدتا عبد العزيز، على فتح نجد، لأنه إذا توجه لبلد فليس له فيها خصم إلاّ أمير بن رشيد ورجاله القليلين فيخذلونه أهل البلد ويساعدون عبد العزيز بتسهيل مهمته للقضاء على خصمه كراهة منهم لابن الرشيد وعماله وأعمالهم ومحبة لآل سعود.

وكان صالح ابن حسن آل مينا قد سار إلى الشام بعد حوادث الطرفية وكان فيها جالية كبيرة من أهل القصيم، فأخذ يستنجدهم لمساعدته وأرسل لهم محمد العبد الله العوني الشاعر المعروف قصيدة حماسية يستنفر بها جماعته أهل بريدة وأهل القصيم عمومًا، فأخذتهم الحمية والشيامة فأقبل منهم نحو مائتين وخمسين من أهل بريدة مع صالح الحسن، ونحو خمسين من أهل عنيزة كبيرهم على الصقيري وأخاه عايد، فوصلوا الكويت في شعبان ١٣١٩هـ، والتحقوا بجيش ابن صباح الذين بالجهر تبع أمراءهم آل مهنا وصالح العلي آل سليم، وهذه قصيدة العوني نقتطف منها ما يناسب الموضوع:

مطلعها:

خلوج تجذ القلب بأتلا عوالها تكسر بصيرات بحطم سلالها

إلى أن قال:

وابكـي علـى دار ربينـا بـربعهـا معلومها خشم الرعن من شمالها
ومن شرق لهين الأراضم تحدها بين اللوى والسر ما طيب اسيالها
دار بنجـد جنـة كسان قبـل ذا ومن صكته غير الليالي عنالهـا
وصفه من الخضرات بيضا عفيفة يفـوق كـل البيض بـاهر جمالها
حصودها يغض إلى مرّ حولها مـن خـوف عيـال تـربوا بجـالهـا
هـن امنـا وآحلـو مطعـوم درهـا غـذتنـا وربتنـا وحنـا عيـالهـا
بـدور بنـا مـا مثلهـا يكـرم الظنـا وصـول بنا لكـن نسينـا وصـالهـا
تلقى علينا الجوخ والشال فوقنا ومن عارية تبكى ولا احد بكى لها
ولا احد جزع من صحة يوم سلبت ولا أحد تشد من ذا ويش جالها
قلـت الا واويـلاه وآخيـة الـربـى كيـف امنـا تهفهـم ومنـا قبـالهـا
يا طاوش من فوق سراقة الوطى هيـم الـى صـارت غيرهـا ظلالهـا

إلى أن قال:

أوصيك بامرسال بالـسر والـدى واحدرك نوم الليل عينك ينالها
إلى سرتها عشر وخمس مغرب مـرواحـك الميـدان منهـا منـالهـا
الى جيت سوق العصر بأتيك غلمه تخنع بـزنبـات البـرسيـم نعـالهـا
يقولون لك يا صح عطنا علومك بلـدان نجـد عتيـاوش جـرالهـا
كـل بلـدات النصيـم وغيـرهـا عن الخوف زاموا دون جاله رجالها
حذا داركم من عقبكم تندب الثرى تبكى على الماضين واعترتا لها
لعبوبها الاجناب لا رحم حكيم والبيـض بـالبلـدان شـت لحـالهـا
شيبانم تضرب على غير موجب من عقب كبر الجاه تنتف سبالها

أولاد على اليوم ذا وقت نفعكم — لا رحم ابد نفس تتاجر بماليا
اولاد علـى فـالليـالـي قصيـره — ولا اللفتـي غيـدا الثنـا مـن نـوالهـا
اولاد على اليوم مـا هـوب بـاكـر — قوموا بعزم الليث ماضي فعاليا
لا تتبعون الهوى والفجر والعسا — أو ربمـا اوليـت يتعـب سـوالهـا
جود اورجا يا ناس ما هيب عندكم — هذيل ما لحقوا هل القول جالها
وذى قـالـة مـا يعظمـه كـودنـادر — اولاد علـى مـن بكـم قـال انـا ليـا
ترى مركب الاخطار هو مصعد العلى — ولا يدرك المقصود غير احتمالها
ترى بالسيوف المال والعزو البقا — والجنة الخضراء بخضرة ظلالها

ثم أخذ يمدح سعدون ويستفزه في بقية هذه القصيدة فقال:

أقسمت بالكرسي وبالنور والعمد — وأشهد بسكان المطر من اخيالها
فلا جابت الخضرات سعدون اومش — مثله على وجه الوطى من رجالها
من مثل ابو ثامر الى ضبضب القتر — والخيـل زاد مـن البنلتـرا جفـالـهـا
لـه هـذه مـا قيـل ابـا زيـد هـدهـا — ولا غتـر المشيـور مـا قيـل نـالـهـا
على سابق تعطى على ما يريدها — بيتيـم ضعـافيـن القبـائـل الميـالـهـا

ثم أخذ يستفز آل شبيب لعدم أخذهم بثأر عبد الله المنصور الذي قتل في كون العريف:

أبا الحق انا بعض الشبيب ملامه — وتكرم على مشين الملامه سيالها
قل كيف عبد الله تعدون وابنه[1] — ملحق قصيـرات السبـايـا طـوالهـا
خليّ مساعير العريف تزودهم — والضيعـة العـرمـا تنـادي عيـالهـا
وهم يؤرخون الحب مالي كارهم — وبـلاه يـا عيـن تـزايـد اهمـالهـا

(١) بن عبد الله المنصور هو حمود الذي قتل بها من الوتمة مع أبيه.

ثم استأنف مدح سعدون المنصور:

لـولا ابـو تـامـر يـرد بفعلـه ... فرض سنة المشئوم ميتم طفالها
سـنة مهلهـل عـن كليـب خليعـه ... فرضها ابو تامر وجدد شمالها
ذبـح بعبـد الله شيـوخ كثيـرة ... مصابيح ظلما بالدجى ينحتي لها
ومن عتيهم ما يد وسبعين لجة ... نفسه وعنه ما قضى عشر مالها
وان عاش ابو تامر وساعف له الهوى ... كم خفرة ترمى الغطى من اهباليا
يتكـن فصـايـرهـا فـرقـا حليلهـا ... ويتكـن مشـافيقـه وتـرمـى دلالهـا

ثم أرسل قصيدة يستفذها وله فالح السعدون ويعيب عليه استقالة بالزراعة وانصرافه عن عادة آباءه وأجداده، فلم يحصل بتأثير من ذلك، لأن آل منتفق لم يشتركوا في حوادث نجد بعد وقعة الصريف إلاّ ما كان ما شابههم مباشرة كبعض الحوادث التي ستقف عليها فيما يأتي، فيقف موقف الصديق أحيانًا وتارة موقف الخصم حسبما تقضيه مصلحة.

وفي هذه السنة وقع اختلاف بين العجمان وآل مرة في الرقيعة بالأحساء، فوقع بينهم قتال قتل فيه من الطرفين رجال، وكان عبد الله بن يحيى الذكير يومئذٍ بالأحساء يشتري إبل فخرج باليوم الذي حصلت فيه الوقعة، ومعه مائتان وخمسون ريالاً لأجل مشترى إبل كالعادة، وكان معه رفيق من آل مرة من أعيال أولاد أبا لنفوس، فلما ثار القتال بين العجمان ① المري وآل مرة قال أزبن الديرة وراح به من طريق جنوبي [. . .] بين النخيل والبلد خوفًا عليه بزعمه، فلما توسط في الطريق واختفيا عن أعين الناس قتله المربي① وأخذ الدراهم التي معه، وبقي ليومه ما يعلم عنه أحد، وباليوم الثاني وجدوه مقتولاً، فذهب دمه هدرًا لأن حكومة التركي عاجزة

عن تأديب المجرم سيما إذا كان من البدو. وكان ذلك في شهر [...] سنة ١٣١٩هـ.

دخلت هذه السنة وابن رشيد في بلاده وابن سعود في الرياض، فلما تحققت ابن سعود أن ابن رشيد في بلاده وليس عنده حركة قريبة خرج غازيًا وأغار على قحطان وأخذهم، وبعد شهر واحد أعاد الكرة على قحطان وغزاهم وأخذهم. وهم على حلبان ماء معروف بعالية نجد. ثم خرج أخوه محمد ومعه أهل الرياض وبوادي النقرة ابن وبلان وابن جمعة من العجمان وابن نقاد أن من آل مرة وقصد قبائل مجتمعة بالشعرى القرية المعروفة بعالية نجد وهم ابن بصيص رئيس بُرَيَّه من مطير، وفيصل ابن حشر رئيس آل عاصم من قحطان، وابن حميد رئيس برقا من عتيبة، وأغار عليهم وأخذ منهم حلالا، وانكفى إلى الرياض. وكان ابن سبهان ومعه غزو أهل القصيم وأهل الوشم وسدير قريب منهم وأراد أن يمدهم فسار بمن معه يقصدهم ولكنهم فاتوه.

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة خرج ابن رشيد من حائل عاصمة ملكه وقد آلى على نفسه أن لا يرجع إليها حتى يخرج ابن سعود من الرياض أو يقتل دون ذلك، وشاء ربك أن لا يخرج ابن سعود من الرياض وأن لا يرجع ابن رشيد إلى حائل فبر بيمينه، وجاهد جهاد الأبطال طيلة أربع سنوات قتل في أثنائها.

خرج من حائل ومعه أهل حائل وقراها وشمر وأهل القصيم وأهل الوشم وسدير وأهل المحمل والشعيب ونزل رغبة القرية المعروفة في المحمل، فأرسل عبد العزيز بن سعود إلى أبيه في الكويت يخبره بقدوم

ابن رشيد ويستحقه على المجيء، وأرسل أخاه محمدًا ليصحب والدهما، وكان ابن صباح قد أمر على معسكره الذين في الجهرى بالغزو فوصل محمد بن عبد الرحمن وهم على وشك المسير، فانضم إليهم من خف من هذا الجيش من الجهرى، وبعد ثمان ليال أغار على شمر وهم على قبة الماء المعروفة ترب الأسياح، وأخذوهم وقفلوا راجعين إلى الكويت، فبلغ ابن رشيد خبرهم وكان يومئذٍ على الحسي فرحل على أثرهم ليحول دونهم ودون الكويت، ولكنهم فاتوه، فرجع إلى منزله، وبعد رجوع غزو ابن صباح خرج عبد الرحمن الفيصل من الكويت ومعه ابنه محمدًا في مائة وسبعين ذلولاً، فخرج عبد العزيز لاستقبالهم مسافة ثلاثة أيام عن الرياض، فدخلوا الرياض وابن رشيد في منزله على رغبة، وكان قد تفشى المرض في جنده، فبلغت الوفيات فيهم نحو الخمسين يوميًا، أخبرني بذلك عبد العزيز بن دعيلج، وكان في معسكر ابن رشيد يومئذٍ مع غزو أهل بلده، ثم رحل من رغبة ونزل الحسي والمرض لم يزل يفتك في جنده، إلاَّ أنه تقاصر قليلاً، فكانت الوفيات يوميًا نحو عشرين، أقام بمرضعه نحو شهرين زال المرض في أثنائها. فأرسل سالمًا السبهان، ومعه أهل القصيم وبادية قحطان وأمره أن ينزل فرمي ضرما لعتيبة ليمتاروا من الوشم وسدير والقصيم، وكتب إلى معتمده بالأحساء سعد الحازمي بأن يستنهض قبيلتي العجمان وآل مرة، وطلب من حكومة التركي هناك موازرته، ولكن ابن سعود سبقه إلى مثل ذلك، فأرسل أخاه محمدًا وابن عمه عبد الله بن جلوي إلى الجنوب يستنهضان آل مرة والدواسر، ففشلت محاولات الحازمي وفازت مساعي ابن سعود. رحل ابن رشيد من الحسي ونزل حفر العتش ماء بين على حافة الدهناء من الغرب شمال الرياض ثلاث رحلات،

فلما بلغ ابن سعود نزول ابن رشيد بهذا المنزل خرج من الرياض، وقصد حائر سبيع جنوبي الرياض، فرحل ابن رشيد ونزل نبيان[1] الماء المعروف شمالي الرياض، وكان لابن سعود سرية في الدلم قاعدة الخرج بقيادة أحمد السديري، فأمره ابن سعود أن يتأهب للزحف معه إلى الرياض فيما لو هجم عليها ابن رشيد، أما إذا تجنبها ومشى إلى الخرج فأهل الرياض يتعقبونه من خلفه، وكان عبد العزيز بن سعود ننتظر هجوم ابن رشيد بعد أن نزل منزله الأخير، ولكن لا يعلم على أي جهة يكون هجومه، فخرج يؤلب من حوله. ترك عبد الله ابن جلوى بمن كان معه من الجنود، وأمرهم أن يقيموا في عليه ــ وهو جبل حصين بين الحريق والحوطة ــ ثم أرسل أخاه سعدًا إلى الحريق يستنجد أهلها، وراح هو إلى الحوطة للغاية نفسها.

أما ابن رشيد فقد رحل من نبيان ونزل أطراف الرياض، وأغار على ما كان خارج البلاد، واتلف بعض ثمار النخيل، ثم هجم على البلد، ولكنهم صدوه فرحل منها وقصد الخرج وهاجم الدلم قاعدة الخرج، فامتنعوا عليه، فبادر ابن سعود وجمع جيوشه من أهل الحوطة والحريق فانضم إليهم الجند الذين في علية مع عبد الله بن جلوى فكان مجموعهم نحو ألف وخمسمائة مقاتل، اجتمعوا في مادان ماء يبعد عن الدلم قدر عشر ساعات وأسروا في ليلتهم فوصلوا الدلم فدخلوها.

وقعة الدلم

قبل انبثاق الفجر ولم يشعر بهم ابن رشيد وكان نازلاً في نعجان قرية

(1) سَبْيان

تبعد عن الدلم نحو ساعتين شمالاً، فأرسل سرية تهاجم الدلم فخرجت لها خيل ابن سعود فتصادم الفريقان وحصل بينهما قتال شديد، فانهزمت سرية ابن رشيد وخيله فعلم بعدئذٍ أن ابن سعود في الدلم يظنه لم يرجع من الحوطة، وفي اليوم التالي خرج ابن رشيد إلى النخيل كعادته، فأحس ابن سعود بذلك فسار بقسم من جيشه، فكانت الوقعة الأولى التي قابل فيها ابن سعود ابن رشيد وجهًا لوجه فكانت الوقعة شديدة، تحمس فيها كل من الطرفين استمرت ستة ساعات إلى غروب الشمس، ولم تسفر عن نتيجة، وقد أسر ابن سعود جماعة من قوم ابن رشيد من أهل لبدة، ولكنهم تمكنوا من الفرار ليلاً.

وكان في اليوم التالي مناوشة خفيفة طارد فيها ابن سعود ابن رشيد فتقهقر إلى معسكره وكادت تنفد الذخيرة التي مع ابن سعود وجنوده فأرسل إلى الحوطة يطلب قسمًا منها، ولكن ابن رشيد عندما جاء الليل أشعل نيرانه ليوهم أنه في منزله، وسرى في ليلة وسار شمالاً فنزل المسلمية التي تبعد نصف نهار على الدلم ولم يتمكن ابن سعود أن يتعقبه لقلة الجيش والخيل عنده، ثم رحل ابن رشيد من السلمية وسار قاصدًا القصيم ونزل في أطراف بريدة.

غزو ابن سعود عتيبة

بعدما رجع ابن رشيد إلى القصيم كان بعض عتيبة الموالين لابن رشيد نازلين بين سدير والوشم، فخرج عبد العزيز بن سعود ومعه أهل الرياض ونواحيها وبعض القبائل، وسار قاصدًا عتيبة، فأغار عليهم وأخذهم، وهم نازلين في عرق رغبة بين الوشم وجبل طويق.

غزو ابن رشيد وعريب دار

ثم سار ونزل حفر الباطن، ثم سار منه قاصدًا بوادي الكويت، فأغار على عريب دار قرب الكويت، وأخذ الحلة والغنم وسلمت الإبل، ثم رجع ونزل العزبية والرحيل، ومنها شد ونزل رقبة الباطن، فتخوف ابن صباح من قرب ابن رشيد، وكان سلطان الدويش قد مال إلى ابن رشيد، فكتب ابن صباح إلى عبد العزيز بن سعود يستنجده فلبى طلبه، وأقبل ومعه من الجيش ما ينوف على خمسة آلاف مقاتل على أقل تقدير.

فتأمل في قدرة الله سبحانه فقد صار منجدًا من كان بالأمس مستنجدًا، وقد خرج قبل سنة واحدة بأربعين جنديًا وصل الكويت، وقد كان ابن صباح قد جهز ابنه جابرًا فاتحد جيشهما وسارا قاصدين ابن رشيد، وكان ابن رشيد قد بلغه مسير ابن سعود إلى ابن صباح فأراد أن يخالفه على عربانه فرحل من موضعه، وسار جنوبًا، فبلغ ابن سعود وابن صباح خبر ابن رشيد وأنه ارتحل من موضعه ولم يعلما إلى أي جهة قصد وكان سلطان الدويش رئيس مطير قريب منهم، فأغاروا عليه في موضع يسمى (جَوْلَبن) بالعمان[1]، فحصل بينهم قتال شديد أبلى فيه مطير بلاء حسنًا، ولكنهم في النهاية غلبوا على أمرهم فأخذهم القوم وحصل منهم حلال كثير وقتل من الطرفين عدد غير قليل لأن مطير بتلك الوقعة استبسلوا وقاوموا مقاومة عنيفة، وكان حلالهم يومئذٍ بين أيديهم فدافعوا عنه مدافعة شديدة، ولكنه القوة التي هاجمتهم تفوقهم عدد وعدة، فتغلبوا عليهم وقتل يومئذٍ عماش الدويش وابنه، وكانت هذه الوقعة في أواخر شهر شوال.

(١) بالصمان

أما ابن رشيد فقد قلنا إنه رحل من الباطن قاصدًا الجنوب، وأغار على سبيع والسهول وأخذهم وكانوا في الدهناء ثم رجع ونزل حفر القش ورحل منه عاديًا على عتيبة الموالين لابن سعود فصبحهم على البطانيات، وأخذ منهم بعض الحلال، وإليك تفصيل ذلك من كتاب ابن رشيد نفسه، وإن كان لا يدل على الحقيقة التامة والكتاب مؤرخ ٢٠ القعدة سنة ١٣٢٠هـ، يقول فيه بعد الاسم والسلام:

نخبركم أننا ثورنا على بركات الله من فوق حفر الباطن، وصار دربنا على الطوال وخلينا حسين ابن جراد وغزوة، وقيامنا فوق القرعا عنده شمر ومطير بأهلهم، وصار معدانًا مع الصمان على عربان الجنوب.

تابع كتاب ابن رشيد مؤرخ ٢٠ القعدة سنة ١٣٢٠هـ.

ويسركم أن الله أخذ على أيدينا سبيع أبو اثنين وبن بحخل والسهول أجمعين، ومعهم أخلاط آل شامر وغيرهم وصبحناهم بالدهناء من توالي حفر القش أخذهم الله نحمد الله ونشكره، وردنا حفر القش ومنه عدينا على عربان عتيبة (الموالين لبني سعود) وكنا عليهم بأطراف البطانيات وأخذهم الله وهم عربان واجد بن عقيل. وابن جامع والعصمة، ومعهم أخلاط من عتيبة كثير والجميع رزقنا الله بحلالهم جاء منهم كسب واجد خيل وطرش ودبش وحلة ولا صار بهل اكوان إلاَّ الخير لله المحمد ومنافعنا غزوات كثير شمر كلهم ومطير علوى وبريه وقحطان، وبعض الظفير وكلنا رزقه الله من حلال العدو ولا والله نقصوا لا برجال ولا بفرس، ووافقنا غزو لعتيبة الرغالبة مع المهدي أهل ثلاثين ذلولاً، وأخذهم الله وقضى الله عليهم يا الله العافية، هذا صفة ما أجر الله أرجوا أن

الله يعزنا وإياكم بالطاعة، ولا يذلنا بالمعصية ويخذل كل عدو اجينا اخياركم[1] بذلك لأن الذي يسرنا يسركم والسلام (مهر).

هذا كتاب ابن رشيد أما ما ذكر من كثر الغنيمة فلا تخلوا من المبالغة وهذه عادة اعتدنا سماعها في كتب الأمراء والحكام وأكثر ما تكون المبالغة حين يكون الفشل.

وبما أن هذه الوقائع جرت لوقعتنا وتحت سمعنا وبصرنا فلم نعتمد عليها في نقلنا إلاّ في تعيين الزمان والمكان، ويندر أن يكون وقعة إلاّ وعندنا فيها كتب من ابن سعود أو من ابن رشيد أو منهما معًا، وستطلع على مثال منه ذلك في وقائع سيأتي ذكرها، نعود إلى سياق الكلام.

بعدما رجع ابن سعود من غزوته مع ابن صباح بلغه أن ابن سبهان ومعه قحطان نازلين بأطراف الغاط، فخرج من الرياض، وقصدهم فانتذروا به ورحلوا من موضعهم ورجعوا إلى القصيم، فلم يشأ ابن سعود أن يرجع، فقسم جيشه قسمين سار هو على رأس قسم وأخوه محمد على القسم الثاني، فكانت وجهتهما مطير.

فأما عبد العزيز فقد أغار على ابن بصيص والقريعة وابن عشوان من بريه، وأخذهم ونزل المنحة بالصمان، وأرسل مائتي بعير للكويت للميرة عليها.

وأما محمد بن عبد الرحمن فقد أغار على ابن شقير من علوى وأخذه، وسار قاصدًا سلطان الدويش فانتذر به وهج وزبن الكويت وطاح على ابن صباح، وطلب منه أن يصلحه مع ابن سعود فأصلحه.

(١) صبينا اخياركم

مـلاحـظـة

فإننا إن نذكر أنه بعدما أغار ابن رشيد على عريب دار، ونزل وتبة الباطن قرب خليج الشمالي، جاءه رسول من حكومة التركي يحمل أمرًا رسميًا تحذره فيه من التعرض إلى ابن صباح وطوارف الكويت، فعلم غاية التركي ويئس من مساعدتها له، فأرسل ماجد بن حمود العبيد إلى الأسلم وعبده من شمر يستنفرهم، وأرسل طلال بن نايف الرشيد يستنفر شمر الجزيرة قصده أن يعيد الكره على الرياض، لعله يجد فيها فرصة أما ماجد فقد وجد الأسلم وعبده مشتبكين في حرب مع عنزة، وهم على الأجلال والشبكة، واعتذروا بما هم فيه. وأما طلال فلم يكن حظه أحسن من حظ ماجد، فرجعا دون فائدة.

حوادث خارجية

في شهر جمادى الأولى من هذه السنة، خرج مبارك بن عذبي الصباح بن الزبير(١)، ومعه شرذمة بدو وحضر، وأغار على غنم لأهل الصبية، وأخذها وظهر جابر المبارك الصباح ومعه غزو من الكويت والعسكر الذي في الجهر من أهل نجد، وطلبوا مبارك العذبي وانذر بهم ودخل الزبير ونزل جابر بوادي النسا، وأغارت خيله على أطراف بلد الزبير على أمل أن يظهر منهم أحد من البلاد، فلم يظهر أحد ورجع إلى الكويت.

(١) من الزبير

حركات يوسف بن إبراهيم وأولاد محمد الصباح

كانت حركة ابن عذبي بسعي يوسف بن إبراهيم وكان نجاحها نشطة على العمل فجهز من الدورة سفينتين فيها نحو مائة وخمسون رجلاً

يرشسهم أحد أولاد محمد الصباح وولد جراح وساروا قاصدين الهجوم على الكويت، وقبل أن يخرجوا من الشط علم فيهم جابر الصباح أخي الصباح مبارك وكان يومئذٍ في الفاو فرفع تلغرافًا إلى أحد البوارج الإنكليزية المقيمة في البصرة، يخبره بالأمر فسارت البارجة إلى الكويت، وكان جابر قد رفع الأمر إلى أبيه مبارك، فطلب رئيس البارجة من مبارك أن يرسل معه من يعرف هذه السفن، فأرسل معه عبد الله بن إبراهيم السمكة أحد النواخذة المشهورين فصادف السفن المذكورة عند خروجها من الشط فأحسوا بالأمر، فهربوا فطاردتهم البارجة وأدركتهم بعد أن دخلوا الشط، وكاد يقبض عليهم، ولكنهم تمكنوا من الالتجاء إلى شاطىء القصبة، فنزل ثلة من رجال البارجة الإنكليزية في أحد زوارق البارجة ليتمكنوا من القبض على من في السفن قبل فرارهم، فلما قاربوا الشاطىء عاجلهم أهل السفن بإطلاق الرصاص عليهم فقتلوا ضابطًا إنكليزيًا وجنديًا واحدًا، وانهزم أهل السفن وتركوها خالية فقبضوا على السفن ودخل بها البصرة، وخاطب والي البصرة فأنكر علمه بتجهيزها، وكذلك يوسف بن إبراهيم أنكر علمه بذلك، ولكن مباركًا اهتم لهذا الأمر وحاول أن يثبت الجريمة على يوسف وخابر رئيس الخليج، وأرسل شهود الاثبات إلى البصرة في شهر رجب، وأحرق الانكليز السفن المقبوض عليها، أما الحكومة التركية فقد علمت بسيرها وأن هذه الحركة من صنع يوسف بن إبراهيم، وأنه لا يركن إلى السكون، فأصدرت أمرها إلى ولاية البصرة، بأن إقامة يوسف بن إبراهيم بهذه الأطراف غير مرغوب فيه، وأنها تستحسن له سكنى الحجاز. فبلغته الولاية أمر الحكومة، فكتب إلى ابن رشيد يخبره، فأرسل له سرية فخرج

منها في ٢٨ رمضان من الزبير، وقصد ابن رشيد في الباطن ومعه أولاد الصباح الصغار ومبارك الغربي(١)، وأقام عند ابن رشيد.

(١) العنزي

ثورة أهل شقرا وإخراجهم منصوب ابن رشيد

وفي شهر الحج من هذه السنة كان في بلد شقرا كغيرها من البلدان حزبان مضادان فحزب يميل إلى آل السعود، وحزب يميل إلى آل الرشيد، ولكن أعمال ابن رشيد بعد وقعة الصريف وجوده وعسفه وحدت الكلمة وجمعت القلوب فصاروا كتلة واحدة، وقد صدق القائل بأن هذه الوقعة كان الظافر فيها مغلوبًا لأنها فريدة في نتائجها وعواملها، بل كانت هي السبب الأقوى لسقوط إمارة ابن رشيد وتقلص نفوذه. وقد رأينا مبادىء هذا الانقلاب حينما استولى ابن سعود على الرياض أطاعت له البلاد الجنوبية كلها دون أن يوجه إليهم جندي واحد، بل قدموا طاعتهم بطوعهم ورضاهم عنه حب وإخلاص. وكانت أعمال أمراء ابن رشيد في البلدان قد زاد الخرق اتساعًا، ومن هؤلاء الأمراء عبد الله الصويغ الأمير في شقرا من قبل ابن رشيد، فقد اشتدت وطأته على أهل البلد، وضيق عليهم الخناق، وأخذ يحاسبهم عن أقوالهم، فيزعم أن هذا يذم ابن رشيد وهذا يمدح ابن سعود حتى سئمت نفوسهم من هذه السخافات، فاجتمع رؤساءهم وأعيانهم تذاكروا، ما وصلة إليه الحالة وأنهم لا صبر لهم على ذلك، فقر رأيهم إجماعًا على إخراج أمير ابن رشيد وخدامه من البلد، فلما أصبحوا استعدوا وأرسلوا للأمير من يبلغه أن الجماعة قرروا خروجك من البلد، فأما أن تخرج وتحقن الدماء، وإلاّ فنحن مضطرون لاستعمال القوة ضدك، وبما أن ليس لديه قوة يدافع بها فقد خرج ورجاله وساروا إلى

المجمعة، وبلغ الخبر إلى مشاري بن عبد العزيز العنقري أمير ثرمداء فأرسل رسولاً إلى الصويغ يأمره بالرجوع إلى ثرمداء، فرفع إليه وأقام عنده.

أما أهل شقرا فقد أرسلوا إلى ابن سعود يخبرونه أنهم أخرجوا أمير ابن رشيد الذي عندهم، ويطلبون منه أن يرسل سرية تكون عندهم فأرسل الإمام عبد الرحمن مساعد بن عبد المحسن بن سويلم ومعه قوة فهاجم ثرمداء ودخلها بمواطأة من بعض أهلها، فقتل الصويغ ومن معه من خدام ابن رشيد، وهم ثلاثة عشر وقبض على مشاري العنقري وأرسله إلى الرياض فحبسوه هناك، ومات في سجنه. ودخل ابن سويلم شقراء وأقام فيها.

وبعد هذه الحوادث انضم أهل الوشم والمحمل والشعيب إلى ابن سعود، ودخلوا تحت الطاعة، ولم يبق تحت نفوذ ابن رشيد إلاّ أهل سدير الذين كانوا تحت نفوذ ابن عسكر أمير المجمعة.

بلغ ابن رشيد ثورة أهل شقراء وإخراجهم منصوبه، وانضمام أهل الوشم إليه فزحف من القصيم قاصدًا الهجوم على الرياض لعله يجد فيها فرصة لغياب عبد العزيز بن سعود عنها، لأنه لم يرجع بعد في غزوته على مطير التي تقدم ذكرها، فنزل على قصور شقراء في العاشر من شهر صفر وحاصرها ثلاثة عشر يومًا، فلم يدرك نتيجة، فراسلهم وأوعدهم وتوعدهم، فلم يدرك منهم مطلوبه، وكان قد أرسل أميرًا ومعه قوة، فأغار على فريق من سبيع وأخذ منهم خيل ورجع إلى ابن رشيد، ثم رحل ابن رشيد قاصدًا الرياض فعدل عنها، وأغار على الدواسر والقبابنة والقرينة وكان قد بلغهم خبره فاجتمعوا وزبنوا حلالهم، ولما أغار عليهم صدوه

ولم يدرك منهم إلاّ شيء قليل (على الرمحية)، ثم أراد مهاجمة الرياض على غرة فسار من الرمحية، ونزل الجنادرية وصار الساعة اثنين من الليل أسرى من الجنادرية ليس معه الأخيل وجيش كان يريد مهاجمة فريق بادية وترك حملته مع سالم السبهان على الجنادرية وقبل الفجر بساعة ونزل في أبو مرزوق ضلع على مسيرة ساعة من الرياض، وكان قد أرسل قبل مسيره خيل تكشف حالة البلاد، ولكن النذير قد سبقهم ونبه أهل الرياض، فلما وصل الرياض وجدهم مستعدين فخرجوا ونازلهم خارج السور فصدوه، ثم انفهق ونزل نخيل تبعد عن البلد قدر ساعة، وأقامة فيها ثلاثة أيام دون أن يأتي بحركة إلاّ أنه قطع بعض النخيل وهدم بعض الآبار، ثم رحل إلى الوشم من طريق الحائر وضرمي ونزل ثرمداء وبنى فيها قصرًا وجعل فيه قوة أميرهم حمد بن إبراهيم بن عسكر ووضع فيه طعام وذخيرة وزودهم بما يلزمهم[1]، ورجع إلى القصيم، وأرسل قوة مع ماجد بن حمود العبيد وقوة مع حسين ابن جراد.

أما ماجد فقد أغار على عتيبة في عالية نجد وأخذهم فيم حلال أما حسين بن جراد فقد أغار على عتيبة أيضًا وهزموه ورجعا إلى بريدة، وإليك ما يقوله ابن رشيد في هذه الحوادث.

كتاب ابن رشيد مؤرخ ٢٧ صفر

قال بعد الاسم والمقدمة:

صار منا عدة أكوان على أهل الفساد من برادي نجد والحاضرة

---

(١) الملاحظة: لما وعتب ابن رشيد قصر ثرمداء، جعل في روضة نذير سرية ورحل ونزل ماء شمالي الأسر طاوية.

بعداكوانا الذي عرفناكم عنها، وروحنا سرية مع جزاع ابن عجل وبيرق معه حضر وبوادي عتيبة على شيوخهم ابن ربيعات وابن حميد وقحطان وأخذ الله على أيديهم عربان بأطراف الرياض وبعد ذلك غزيت شمر وحرب وقحطان وعتيبة وأخذ الله على أيدينا الدواسر والقبانية والقرينية ناس واجد طالعوا سبورنا قبل الكون بيوم، واجتمعوا حسبوا أنها غزية بدو وصبحناهم وقطعهم الله هالكون وخذ الحلال وذبحوا الرجال صار عليهم الكون فوق الرعية وعقبه غزيت على بيات الرياض، توجهنا له عشينا بالجنادرية روضة تبعد عن الديرة ستة ساعات، ورفت الخيل تجد[1] البلاد هي متنبهة أم لا وجبت الخيل تخبرنا أن ما عندهم خبر وعند الساعة اثنتين من الليل سريت من الجنادرية بسلة خيل وجيش وخليت (القود)[2] عند سالم السبهان يصبح بالمراح ومشينا إلى أن جا قبل الفجر بساعة نوخنا (بابو مخروق)، وسرنا خيل ورجل وجعلت من القوم ثلاث عدوات لكل باب عدوه معهم سلاحهم وما يحتاجون ويوم أننا قربنا الديرة وياهم مستحسين بنا عند مناخنا ومنعت القوم عن قرب البلاد لأجل أن أكثر أهل الديرة طالع البلاد بفلايحهم ومنازله وأمرت القوم يوم أننا صبحنا إغارة عليهم وجميع ما ظاهر السور انعدم الرجال ذبحوا والحال وخذ أقمت بالرياض عدة أيام هدمنا به منازل وقلبان وأذهبت الثمرة وشربنا ووطينا الحائر وضرمى وليا[3] الوشم جاري به حوادث.

وصلنا ثرمداء وبينا بها قصر وحطينا به رتبة أميرهم حمد إبراهيم بن

---

(1) تجبر: أي تستكتن خبرهم.

(2) القود: الرحلة.

(3) وليا بمعنى إذا وليا معنا (وإذا أن).

عسكر وأهل الوشم حالهم من حاله كذلك ومليام. ذكرت لماجد يغزى وكان على عتيبة النوقين، وأخذهم الله وعقبتهم حسين بن جراد وكان عليهم وأخذهم. الله يعزنا بالطاعة ولا يذلنا بالمعاصي أحببت أخباركم، لأن الذي يسرنا يسركم هذا ما لزم وصلّى الله على محمد وآله وسلم.

هذا نص كتاب ابن ربد بلفظه ومعناه لم نغير فيه شيء بل كتبناه على أصله.

ابن سعود

أما ابن سعود فبعد مغزاه على مطير سار إلى الكويت، وبلغه أن ابن رشيد قصد الرياض فهمّ أن يرجع إليها ولكن جاءه رسول من والده يخبره بهجوم ابن رشيد على الرياض وطرده عنها، فاطمأن باله واهتم في نقل عائلتهم التي لم تزل في الكويت، فعاد بها ولم يكد يصل العاصمة حتى بلغه أن ابن رشيد رجع عن الوشم ونزل شمالي الارطاوية، خرج عبد العزيز من الرياض ونزل شقراء، وأرسل عبد الله بن جلوى لمهاجمة سرية ابن رشيد التي في ثرمداء فبذل الأمان لأهل البلد فأبوا القتال فقاتلهم وهزمهم وتحصنت السرية في القصر الذي بني ابن رشيد حديثًا فحاصرها ويدأ بضم عليهم فلما أحسوا به نقبوا الجدار وانهزموا منه ليلًا فاستولى عبد الله على ما فيه من طعام وذخيرة فلما تم استيلاء على البلد والقصر أرسل عبد العزيز سرية مع أحمد السديري لمهاجمة سرية ابن رشيد في (١) السديري
روضة سدير فهاجمتها وهزمتها، واستولى السدير(١) على الروضة، ثم مشت سرايا ابن سعود على بقية بلدات سدير، فسلمت له ما عدى المجمعة، فقد دافعت دفاعًا شديدًا، فتركها ابن سعود لفرصة أخرى، وقنع بما

أدرك، فترك سريتين أحدهما في روضة سدير، والثانية في جلاجل، وأقر أحمد السديري في شقرا، ورجع ابن سعود إلى الرياض بشهر ربيع الأول.

وكان ابن رشيد قد رحل من موضعه ونزل بريدة لأنه خشي على القصيم لما رأى سرعة تقدم ابن سعود وفي شهر جمادى الأولى خرج ابن رشيد غازيًا من بريدة فأغار على عتيبة الموالين لابن سعود فأخذهم وهم على المخامر بعالية نجد ثم رجع وجعل طريقه على سدير وحاصر قرية التقويم(١)، فأمر ابن سعود أحمد السديري وأهل الوشم أن ينجدوا أهل سدير، وخرج هو أيضًا من الرياض منجدًا لهم، ولكن ابن رشيد كان قد رجع عن القويم، ونزل بريدة، وسار ابن سعود ونزل جلاجل فأقام فيها عشرين يومًا.

خروج أمراء القصيم من الكويت وانضمامهم إلى سعود

وكتب ابن سعود إلى آل سليم وآل مهنا أمراء القصيم الذين لم يزالوا مع جيش ابن صباح المرابط في الجهري، يأمرهم بالقدوم إليه بمن عندهم من أهل نجد، فقدموا ومعهم أربعمائة مقاتل من أهل القصيم، وكان ابن سعود قد عزم على غزو القصيم، فأخذ يعد العدة واستلحق غزوان الجنوب والوشم وسدير والمحمل والشعيب وبعض البوادي، فاجتمع لديه خلق كثير حضر وبوادي، وكانت السنة شهباء والأرض مجدبة من قلة الأمطار، والبعير ضعيف والأطعمة غالية، بل يكاد يكون بحكم المعدوم. وليس هذا الوقت بالمناسب لجر مثل هذا الجيش اللجب، علاوة على ذلك أن هذا الجيش الكثيف لا يوجد فيه أكثر من أربعمائة ذلول لا تكاد تكفي لحمل أمتعتهم، وبقية الجند يمشون على أرجلهم، ولكن رغمًا عن

(١) التويم

هذه الموانع فقد زحف ابن سعود بهذا الجيش في القصيم ونزل المجمعة وحاصرها دون نتيجة، واتفق وأهلها على التسليم إذا هو استولى على القصيم، فأرسل من موضعه سرية يرأسها عثمان المحمد (عثمين) إلى الزلفى، فدخله وقتل أميره محمد بن راشد السلمان، واستولى على البلد، ثم رحل ابن سعود إلى الزلفى ونزله.

ابن رشيد يستشير أهل القصيم

وكان ابن رشيد قد نزل بريدة بعد رجوعه من سدير، ورأى أن ابن سعود قد خالفه واستولى على الوشم وسدير وجميع بلدان الجنوب، ولم يبق بيده إلاّ القصيم والمجمعة من سدير، فهاله سرعة تقدم ابن سعود، فعلم أنه ليس بإمكانه الاحتفاظ بما بقي في يده، واعتزم استنجاد حكومة الترك ولكن يخشى أنه إذا أبعد عن القصيم يستولي عليه ابن سعود، لما يعلم من ميلهم إليه، ولا يقدر على تنفيذ ما اعتزم عليه قبل أن يطمئن باله على القصيم، إذ أن بقاء نفوذه ورجحان كفته على ابن سعود ببقاء القصيم تحت سيطرته، فاحتار في أمره فاستدعى عبد الله العبدالرحمن البسام، وكان يتيمن برأيه وهو رجل القصيم دهاء وحنكه وروابطه قديمة مع آل الرشيد، وله ميل إليهم، فقدم عليه في بريدة فأبدى له ما اعتزم عليه من استنجاد الحكومة التركية، وأنه لم يمنعه من ذلك إلاّ تخوفه على القصيم من ابن سعود فيما لو ابتعد عنه، وأنا محتار في هذا الأمر، وأحببت آخذ رأيك، فما هو الرأي الذي تراه لي.

قال عبد الله: الذي أرى أن تحفظ البلدان بالسرايا اجعل في قصر بريدة أربعمائة رجل واجعل عليهم إحدى رجالك الذين تعتمد عليهم،

وجهزهم بما يحتاجون من طعام وذخيرة، وأما عنيزة فيبين قصر الصفار، ويجعل فيه قوة ثلاثمائة أو أربعمائة رجل بقيادة فهيدا السبهان أو غيره ممن تثق به، وتجعل عندهم الكفاية من الطعام والذخيرة، وبث السرايا بينك وبين ابن سعود، يكونوا رداً دون القصيم وابن سعود، فإذا رتبت هذا الترتيب فأنت وما تريد، وبغير هذا العمل لا يمكن أن تأمن جانب ابن سعود وأهل القصيم، قال ابن رشيد: ما رأيت هو الصواب ولكن لا يمكن تنفيذ هذا إلاّ في استعمال الشدة ولا ودنا نوحشهم خوفاً من تفاقم الأمور ومجاراتهم بالوقت الحاضر أوفق وقصدنا نراجعها، ونعرض عليهم الأمر لعل أنهم يوافقون على ذلك.

وهذه هي المرة الأولى التي أخذ يعرف فيها للرأي العام حقه، فكتب إلى وجهاء أهل عنيزة وأمراءهم يستدعيهم، فأتوا إليه وفي اليوم التالي جمعهم، وقال: من المحتمل أني أتوجه إلى الشمال، وأخشى أن ابن سعود والسليم يتغانمون الفرصة بابتعادي عنهم ويفتونهم والبلد مثلما تعلمون سورها بتهدم ونبي منكم المساعدة في بنيانه لأجل يساعدكم على صد العدو، ونبي نجعل عندكم سرية مساعدة لكم والعم عبد الله يشير علينا في بنيان قصر الصفا، وأن نجعل فيه قوة قدر أربعمائة رجل، لأجل راحة الجميع عن المفسدين في داخل البلاد وخارجها ولا نحب نمضي هذا الأمر دون مراجعتكم فما هو رأيكم بذلك. قالوا: إن كان الأمير يرى ذلك صالح ويرى تنفيذه فنحن سامعون ومطيعون، ولا عندنا معارضة، وإن كان القصد مراجعتنا وأخذ رأينا فنحن نبدي ما عندنا، قال نعم وأنا ما جمعتكم إلاّ لأخذ رأيكم. قالوا: نحن ما نرى في ذلك صلاح لنا ولا للأمير، لأن بنيان السور يقتضي له عمل كبير ونفقة باهظة

ترهق الناس في تكاليفها، وأما السرايا في وسط البلد فلا بد يحصل منها مضايقة لأهل البلد، وربما يحصل تقربات توغر خواطر الناس ويحدث ما لا نحمد عقباه، خصوصًا مثل هذا الوقت، فالمسألة بين وجهين وللأمير علو الرأي في اختيار أحدهما. قال: وما هو هذان الوجهان. قالوا: إما أن الأمير في شك من إخلاص أهل البلاد وطاعتهم، فلو أن يعمل من التدبير ما تقتضيه ومصلحته. وإما أن يكون واثقًا من إخلاصهم وطاعتهم فيكل إليهم أمر الدفاع عن أنفسهم. فلم يستحسن أن يجابههم بعدم الثقة فيهم، بل قال: إني أثق فيكم الثقة الثابتة وأكل إليكم أمر الدفاع عن البلاد ولا أعتقد إلاَّ أنتم خاصة لنا دون غيرنا، ولكن رغبة بزيادة تأكيد ذلك، أحب أن تبايعوني من جديد، فبايعوه على السمع والطاعة، وأنهم سلم لمن سالم، وحرب لمن حارب، ثم أذن لهم في الرجوع، ثم رحل من بريدة، ونزل البطانيات. وكان ابن سعود يومئذٍ في سدير ولما كان في أواخر شعبان، ونزل ابن سعود الزلفى كما ذكرنا أننا أراد أن يجس نبض أهل القصيم ليعلم قبولهم واستعدادهم، فاستدعى ابن سليم فسأله رأيه في جماعة أهل عنيزة، فقال: إني واثق منهم، ولكن أخشى أن يغلبوا على أمرهم.

مكاتبة ابن سعود لأهل عنيزة فهيد السبهان إلى عنيزة

كتب ابن سعود إلى جماعة أهل عنيزة وكتب آل سليم كتاب إلى عبد الله العبد الرحمن وجماعة أهل عنيزة يخبرونهم عن دخولهم الزلفى، وأنهم سيتقدمون إلى القصيم ويرجون منهم المساعدة لتخليصكم من حكم ابن رشيد وجوره الذي أرهقكم بأعماله، ونؤمل أن تكونوا عند ظننا فيكم.

وصلت الكتب إلى عبد الله العبد الرحمن فجمع أعيان أهل عنيزة، وعرض عليهم كتب ابن سعود والسليم، وقال: وش ترون في هذا الأمر

قالوا: الرأي مشترك، ونحب أن نستنير برأيك أولاً، قال: الذي أنا أرى أن هذه فتنة سيعم ضررها، فلا نحب أن نتعجلها ونحن الآن في عافية من الطرفين والخلاف هو بين الحكام، فهذا ابن سعود بالزلفى وابن رشيد قريب منه، فنحن في أرقابنا بيعة لابن رشيد، لا يمكن أن نحلها بدون نقض منه، فإذا كان ابن سعود راغب في القصيم فما عليه إلاّ أن يقضي على ابن رشيد وإذا تغلب عليه فنحن سامعين ومطيعين، فوافقوا على ذلك، وكتبوا إلى ابن سعود والسليم جواب كتبهما يقولون: إن بأرقابنا بيعة لابن رشيد ولا يمكن أن نحلها ما دام هو موجودًا ولم يأتي منه ما ينقضها، وهذا ابن رشيد قريب منهم إذا قضيتوا عليه فنحن بالسمع والطاعة. أما الآن فلا تقدمون إلينا.

لما وصلت كتب أهل عنيزة إلى ابن سعود وعرف مضمونها رحل من الزلفى ودخل الرياض، أما أهل القصيم فقد نزلوا بلد شقراء بلغ ابن رشيد كتب ابن سعود إلى أهل عنيزة وجوابهم له، أرسل لهم فهيد السبهان ومعه سبعون رجلاً فنزل فهيد في بيت ونزل جنده في القصر داخل الديرة، وأقبل ابن رشيد ونزل بريدة وأقام فيها شهر رمضان، وفي أول شوال خرج ابن رشيد من بريدة، ونزل جراب الماء المعروف، واعتزم المحدار لتنفيذ خطته التي أوضحنا فيما سبق، وجد من الحوادث ما جعله يزعج رأي عبد الله العبد الرحمن في ضبط البلدان بالسرايا، فأرسل حسين ابن جراد ومعه نحو مائتين وخمسين رجلاً وأمره أن ينزل في السر بين الوشم والقصيم وأمر بعض بوادي حرب أن ينضموا إليه، نزل ابن جراد فيضة السر إحدى قراه ليحول دون تقدم ابن سعود إلى القصيم، وأرسل ماجد ابن حمود العبيد ومعه سرية عددها نحو خمسمائة مقاتل، فنزل الشقة(١)

(١) الشقيقة

وأمد عبد الرحمن ضبعان في زيادة قوة، ونزل قصر مهنا في بريدة لما رتب أمور القصيم رحل من جراب، وقصد السماوة، ومعه شمر وحربه لأجل التموين، وأخذ يخابر الحكومة التركية، ويستنجدها فأقام هناك قدر خمسة أشهر فلنتركه في موضعه ليتم عمله ونعود إلى سياق الكلام لتتميم الحوادث التي جرت أثناء غيابه.

الهجوم على سرية ابن جراد وقتله ٢٨ القعدة

فلما علم ابن سعود بارتحال ابن رشيد إلى العراق خرج من الرياض في ١٢ القعدة ونزل الوشم فانضم إليه من فيها من أمراء القصيم، وأرسل طلائع تستكشف له، فنزل ابن جراد فرجعت الطلائع تخبره أنه مقيم في قبضة السر فترك حملة بالجريفا فأسرى تلك الليلة وصبح ابن جراد في منزله فقتله وانهزم قومه فاستولى ابن سعود على جميع بهائمهم ومخيماتهم بما فيه، ثم رجع إلى الرياض، وأهل القصيم نزلوا شقراء، وفي هذه الوقعة يقول علي الصغيري:

يا ذيب عيّد من فقار حسين | من كف شغموم ذبح عجيلات
فالى شبعت من الغفار الذين | فاقبل على ماجد وابن سبهات

أما فأول قدم ابن جراد فقد جنبوا بلدان القصيم وقصدوا ماجد بن حمود العبيد، وكان يومئذٍ نازلاً الشقيقة فأخبروه بالأمر فتخوف أن يكون هو الهدف الثاني فرحل من موضعه ونزل الغزيلية ماء يبعد عن عنيزة ساعة واحدة جنوبًا ثم رحل منه ونزل الملقى وهو نخل لعبد الله العبد الرحمن البسام يبعد عن الديرة قدر نصف ساعة شمالاً وحصل معه رهب ودخل

الديرة واجتمع بفهيد السبهان وعبد الله العبد الرحمن البسام وأبدى لهما تخوفه من هجوم ابن سعود والسبب عدم ثقته بأهل البلاد لأنه رأى منهم ما يؤخذ ظنه، وقال: لا يمكنني الإقامة في بلد هذه حالها، وسار نخل إلى بريدة وانضم السرية التي فيها جيش ليتمكن من المحافظة على القصيم، أما اجتماع القوة في عنيزة وترك بريدة خالية وهي مفتاح القصيم ما هو صلاح، فإذا كنا هناك نكون أقدر على الدفاع، فإن قدم ابن سعود على مهاجمة القصيم، فإن كان وجيهه على بريدة كفيناكم إياه وإن كان وجيهه على عنيزة نمدكم، فقال عبد الله: هذا رأي ما يوافق، فالأمير قد جعل في بريدة قوة كافية ولاهم في حاجة إلى زيادة والأمير لم يرسلك إلى بريدة بل أرسلك محافظًا لعنيزة، فإذا وقع أمر وأنت ببريدة فما هو عذرك عند الأمير، وساعده فهيد السبهان على هذا الرأي، فاقتنع ظاهرًا بصواب رأي عبد الله، ولكن أعاد الكرة في طلب بناء السور، أجابه عبد الله أن السور يحتاج إلى تكاليف باهظة، ولا نحب تشويش الناس، ولكن إذا كان لا بد من هذا الأمر فاجمع وجهاء أهل البلاد وراجعهم، فإن وافقوا فهو المطلوب وإلاَّ تركه أولى، لأن الوقت يتقضي ذلك[1].

أقام ماجد بموضعه وهو على أشد الحذر، وكان يرسل في كل يوم طلائع ويجعلهم قسمين أحدهما من الجنوب، والثاني من الشرق يتحسسون الأخبار عن ابن سعود لئلا يدهمهم على غرة هذا من جهة.

ومن جهة ثانية كان يرسل الرسول إلى ابن رشيد يخبره بحوادث القصيم، ويستحثه على سرعة المجيء، ويقول: أدرك بلدان القصيم قبل

(١) فراجع الجماعة ولم يوافقوا ولم يشأ أن يكرههم.

أن تؤخذ من أيدينا، ولكن ابن رشيد أصم أذنه عن إجابته، لأن حكومة التركي قد أصغت لكلامه وأوجست خوفًا من توسع سلطة ابن سعود في نجد، فأملته بالنجدة، فترك الميدان لابن سعود يعمل ما يشاء ثقة منه أنه بمساعدة الترك لن يستطيع أن يسترد القصيم فقط، بل يستطيع أن يخرج خصمه من نجد جميعها، وما النصر إلاّ من عند الله.

حوادث سنة ١٣٢١هـ

وفاة سبهان السلامة ٢٢ جمادى الثانية.

فتح عنيزة والقصيم

وفي أواخر شهر ذي الحجة خرج عبد العزيز بن عبد الرحمن من الرياض، ولما وصل ثادق أرسل يستدعي أهل القصيم أن يوافوه فيها فأتوه وأشاع أنه يريد الكويت، فترك حمله وثقيل ما معه في قصر الجريفا من قصور الوشم، واتجه شمالاً بشرق، ثم عطف إلى القصيم، فلما وصل الشريمية ماء بالنفود رجع عنه بعض البوادي الذين معه لما علموا أنه يقصد عنيزة ولا طمع لهم فيها، ثم أسرى تلك الليلة فضلوا الطريق طيلة ذاك الليل، ثم وجدوا الطريق بعد أن خرجوا من النفود، وكانت كشافة ماجد يخرجون كل يوم يتحسسون الأخبار عن ابن سعود، فصادفوه حين خرج من النفود، فرجعوا يخبرون ماجد أن ابن سعود نزل الحميدية ماء يبعد عن عنيزة ثلاث ساعات، فرحل ماجد من الملقى ونزل عند باب مربيدة[1] على حد السور من الغرب، فأخبر أهل عنيزة عن نزول ابن سعود الحميدية فقام ابن سبهان وأمراء عنيزة آل يحيى الصالح وأمروا على أهل الديرة بالعرضة

[1] قريبيره

وتوعد كل من يتخلف عن ذلك، فلما اجتمع أهل عنيزة واستعدوا بسلاحهم أمروا عليهم أن يتفرقوا على محيط السور فيجمعون الأربعين والخمسين ويجعلوهم في مكان، ويجعلوا عليهم أحد رجالهم الذين يثقون بهم، ويجعلون مثلهم على بعد قليل منهم، فرتبوا أهل البلاد الجنوبي على طول السور ومحيطه، وكان ظنهم أن ابن سعود سيأتي إما من باب شارع الشقة (1) الغربي أو من باب البابية الشرقي، أو من بينهما فجعلوا في هذه المراكز قوة أكثر مما سواها وعلى الخصوص الشقة جنوبًا لأنها هي التي تلي مناخ ابن سعود، وبقي فهيد مع بعض من الجماعة يدورون على القهاوي لأنهم أمروا خواص كل فريق أن يستعدوا ويجتمعوا في إحدى القهاوي ليكونوا رهن الأمر، وأما آل يحيى وأتباعهم فقد أخذوا به يدورون على المراكز الخارجية يشجعونهم خوفًا من تسللهم. بقوا على هذه الحال إلى أن مضى كثير من الليل فترجح في ظنهم أن ابن سعود أخر الهجوم في هذه الليلة وإن الكشافة لم يتأكدوا أن الذي رأوا، هو ابن سعود ففترت مراقبتهم وتسلل الناس من مراكزهم، ولم يبق في كل مركز إلاَّ قليل منهم، وكذلك الذي بالقهاوي قد تفرقوا أو راح كل منهم إلى بيته، فلما كانت الساعة السادسة ليلاً زحف ابن سعود من الحميدية ونزل الجهيمية النخل المعروف يبعد عن السور قدر ربع ساعة جنوبًا ولم يحس بهم أهل البلد فانتدب ابن سعود أمراء أهل القصيم أن يتقدموا إلى بلادهم، فتقدموا مشاة وليس معهم أحد من غير أهل القصيم، فلما قاربوا الشقة وفيها أكبر المراكز وأقواها وهو المركز الوحيد الذي لم يرجع من أهله أحد قبل المصادمة، وكانت الساعة نحو الثامنة والنصف من الليل، تقدم المهاجمون ولم يشعر بهم حتى أخذهم الرصاص فاضطرب أهل

(1) المتعقب

المركز وذعروا من هذه المهاجمة المفاجئة، ولم يكونوا على استعداد، فلم يقاوموا مقاومة تذكر، لأن المهاجمين قد داخلوهم والرمي لم يزل متواصلاً، فانهزم أهل المركز، وتفرقوا يمينًا وشمالاً، ودخل أكثرهم النخيل وتركوا الطريق مفتوحًا، وقتل لأول وهلة من أهل البلاد محمد بن عبد الله المحمد البسام، وتقدم آل سليم وآل مهنا ومن معهم من طريق البويطن[1] ولم يعترضهم أحد حتى وصلوا المجلس من تهم السرية التي كانت في القصر لأنهم افترقوا فرقتين فرقة من طريق البويطن صار طريقها على سوق المسوكف، والثانية صار طريقها من الجادة وكلا الطريقين. يعود رهن القصر فاجتاز منهم قسم وتمركز عند بيت علي السليم على طرق المجلس من الغرب، فقبضوا الطرق الثلاثة الغربي الذي يأتي من قبل العقيلية الجنوبي الذي يأتي من قبل الجادة والشرقي الذي يأتي من قبل سوق المسوكف وبقي الشمالي الذي يأتي من قبل المفرق مفتوحًا وهنا بدأ إطلاق الرصاص من بيت عبد الله العبد الرحمن البسام من الشرق. وبيت محمد العبد الله إبراهيم البسام من الشمالي مساعدة للسرية التي في القصر فصارت مراكز المهاجمين مكشوفة لا يستطيعون التقدم فتقدم قسم من الذين عند بيت علي السليم ودخلوا مسجد الجامع وتحصنوا فيه وصعد منهم رجال إلى منارة المسجد وكانت مسلطة على القصر فأخذوا يرمون منها أهل القصر فتمكنوا من إسكاتهم فنزلوا من أماكنهم وتحصنوا بأسفل القصر، ولكنهم لا يتمكنون من صد المهاجمين فتقدم أهل المراكز الجنوبي الشرقي، وكان فهيد السبهان يبيت في البلد عند زوجته، فلما

(١) آل سليم دخلوا من باب ساير والتقوا باللذين دخلوا في البويطن في المجلس الساحة التي أمام القصر.

سمع الرمي خرج على فرسه يريد أن يخرج إلى ماجد، ولكنه أراد أن يعلم حقيقة الأمر فجاء قاصدًا السرية التي في القصر وعندما وصل عند بيت علي السليم وإذا فيه جماعة مسلحون، كان يظنهم من حزبه فسألهم عن الأمر، فأجابته البنادق التي صوبت إلى صدره فخر قتيلاً، فأخذوا فرسه وسلاحه وتركوه مجندلاً.

أما بيوت البسام فقد سكتت لسكوت أهل القصر، خرج الأمير حمد بن عبد الله اليحيى الصالح إلى ماجد يطلب منه أن يمدهم فأبى وسلم القصر بالأمان فخرجوا منه واستولوا على جميع ما كان لآل الرشيد وأعوانهم ولم يبق في البلاد معارضة فأرسل آل سليم إلى ابن سعود يخبرونه أنهم استولوا على البلاد، وأخرجوا من في القصر، وقتلوا فهيد السبهان، ولم يبق إلاّ ماجدًا بطرف الدبرة وكان ابن سعود قد تأهب لذلك فأغار على ماجد مع طلوع الشمس فوجدوه قد تأهب للهزيمة وهو على وشك المشي فعاجلوه، فأخذ يداخلهم وهو ينهزم حتى أثخنوه وقتل من قومه نحو خمسين رجلاً، فيهم أخاه عبيد [. . .] هو وانهزم قومه على غير طريقه، فالتحق بعضهم بعبد الرحمن بن ضبعان في بريدة أما ماجد فلم يقف دون حائل، وكان آل سعود المسجونين في حائل كلهم مع ماجد فأسرهم الإمام عبد العزيز واستبقاهم معه، فأطلق عليهم يومئذٍ اسم العرائف.

رجع ابن سعود ودخل عنيزة وجاءه وجهاء البلاد وسلموا عليه وبايعوه وبايعوا السليم، ولم يتخلف أحد ممن يشار إليه إلاّ البسام، فإنهم استوحشوا أولاً أحبوا مجابهة الأمور بتلك الساعة إلى أن تركز هذه الشوشة، واختفوا بحيث لا يعلم بمكانهم، فأرسل إليهم ابن سعود

يدعوهم لمواجهته، فلم يتصل بهم أحد، وأرسل إليهم ثانية وكذلك لم يحصل نتيجة، فغضب بن سعود وأمر من يقتحم عليهم من بيوتهم ويأتي بهم جبرًا فما سمعوا هذا الأمر حتى حصل شوشة في تلك الجنود الطائشة فاقتحموا بيوتهم ونهبوها، وما كان ابن سعود والسليم يقصدون هذا الأمر، ولكن دائمًا في مثل هذه الحالة يصحبها حوادث لا يمكن إتقاءها.

والحقيقة أن هذا الأمر ساء أهل البلاد جدًا ويسؤنا أن نسطر مثل هذا العمل، ولكن التاريخ يتطلب الحقيقة، نعم إن آل سليم قد عمل فيهم مثل هذا العمل وأكثر فقد صودرت أملاكهم وهدمت بيوتهم وجررت نساءهم بالأسواق بيد رعاع من أهل البلاد مستخدمين عند أمراء البلاد من قبل ابن رشيد، ولكن مع ذلك نرى أن بعض آل سليم قد تألموا من وقوع هذه المسألة، لا نقول ذلك اعتذارًا عنهم وما كانوا محتاجين إلى العذر، لأن مقدمات الأمور وتوابعها أعظم من هذه والدماء أعظم من جميع ذلك، ولكنها حقيقة أردنا إيضاحها. قبض آل سليم على أولاد عبد الله اليحيى الصالح: حمد وصالح، حبسوهما. وفي اليوم الثاني قتلوا صالحًا. وتشفع محمد بن عبد العزيز السبيع في حمد، لأنه خال عيال حمد، فشفعوه به، واختبر أحد أولاد السليم، فدخل عليه وقتله وهو في حبسه، وتتبع آل سليم بعض خدام الأمراء السابقين الذين كانوا قد أساؤوا على حرمهم أو أهانوا بعض رجالهم بوقت ما قبض عليهم ابن جراد فقتلوهم ونجى بعضهم فرارًا كان ذلك اليوم الخامس من محرم سنة ١٣٢٢هـ.

انتهى الدفتر الثاني من تاريخ مقبل الذكير

ويليه الدفتر الثالث

صفحة ٣٨٦ فارغه في الأصل

فلما كان يوم السابع من شهر محرم سنة ١٣٢٢هـ قدم وفد من أهل بريدة يطلبون من ابن سعود أنْ يرسل آل مهنا معهم لإخراج سرية ابن رشيد التي في قصر بريدة، فأجابهم وأرسل معهم صالح الحسن وبني عمه وجماعته، فاستقبلهم أهل البلد ورحَّبوا بهم وباشر ابن مهنا حصار السرية، وكان رئيسها ابن ضبعان قد تحصَّن في القصر، وعندما رأى حركة أهل بريدة قال لهم: إني لست في حاجة إلى مساعدتكم ولكني أُحذِّركم من عواقب عملكم، فابن رشيد قد أقبل وهو قريب عندكم، قالوا: مثلما أنت لست في حاجة إلى مساعدتنا فنحن لسنا في حاجة لهذا الإنذار منك، فإن تولي ابن رشيد تركنا البلاد لكم وله.. ثم بعد ذلك سار ابن سعود ونزل بريدة، فباشر حصار السرية وشدد الحصار، ولكنها تمكنت من الدفاع نحو شهرين ونصف حتى نفد ما عندهم من الزاد، وطلبوا الأمان فأجيبوا، فخرجوا من القصر وجهزهم ابن سعود وساروا إلى حايل، وقدمت وفود أهل القصيم إلى ابن سعود في بريدة ما عدى حسين بن عساف أمير الرس والعنبلي أمير المذنب، فقد انهزما إلى ابن رشيد.

أما محمد بن عبد الرحمن الفيصل من بعد ما تم فتح عنيزة سار منها غازيًا وقصد الذي يليه في حرب، فأغار عليهم وهم على الدليمية وأخذ عليهم إبلاً كثيرة ورجع إلى القصيم.

وفي ١٤ محرم سنة ١٣٢٢هـ : وقع أمطار غزيرة في عنيزة في الليل،

وكان لإحدى القلاع[1] الكبيرة مجرى يباري الدبرة في الشرق، بينها وبين النخيل يبتدىء مدخله من شرقي باب البابية، ثم يعرج من عند المداق على الجعيفري ويمتد مسيره على السويطي على حياله حمد الزامل شمالاً، ثم يعطف شرقًا على الشريعة على سوق الشملانية، ثم يجعل مقبرتي الجميدي والطعيمية شمالاً، ثم يعطف شمالاً على الجناح.

وكان هذا المجرى قديمًا قبل أنْ تتسع البلد وبقي على حاله، وكان له عرصات في حيالة الجعيفري لها أبواب، وكانوا يسدونها أيام الفيض، ومن الصدف أنّ السيل جاء ليلاً وأبواب العرصات مسدودة، ولم يتنبه لها أحد، لأن أهل البلاد في تلك الأيام مشتغلون عنها أيام دخول ابن سعود والسليم، فجاء السيل على مجراه العادي فحالت السدود دونه ومجراه، ففاض السيل من مجراه من عند الجعيفري ودخل البلاد من الجهة الشرقية، فأحدث ضجة كبيرة لما دهمهم، وخرج الناس من بيوتهم هم وعائلاتهم وكان هم الناس النجاة بأنفسهم، وكان مقرة الهفوف تهدم نحو مائة، وبيت طاحة من أساسها ومائة أخرى حصل فيها خلل، ولكن لم يصب فيها نفوس.

استتب الأمر في القصيم لابن سعود عدا قصر بريدة، فإنه لم يسلم.

وفي ١٧ محرم (عندما هدأت الأمور): أرسل عبد الله العبد الرحمن وبقية من اختفى من البسام إلى ابن سعود يطلبون الأمان، فطلب عليهم ابن سعود عشرة آلاف ريال، فسلموها فأمنهم، وخرجوا إليه وسلّموا عليه، وكان محمد بن عبد الله العبد الرحمن البسام قبل أنْ يدخل ابن سعود عنيزة على وشك السفر إلى الشام كعادته، فخرج منها قاصدًا

(١) القلاع

الشام لأجل تصريف الإبل التي قد اشتراها من أسواق الشام، وكان مجموع ما عنده في تلك السنة نحو مائة بعير، وخمس رعايا أو بالحري نحو عشرة آلاف رأس من الإبل، فعطف على ابن رشيد وهو في العراق يخابر حكومة الترك، فأخبره باحتلال ابن سعود القصيم، فأرسل ابن رشيد إلى تجار الإبل من أهل القصيم وأخذ منهم ثمانين بعيرًا انتقامًا منهم على عمل ابن سعود.

القبض على آل بسام وإرسالهم إلى الرياض

كان ابن سعود قد أرسل لابن صباح يبشره بفتح القصيم، فرجع الرسول من مبارك ومعه كتاب لابن سعود يأمره بالقبض على آل بسام، ويقول لأنهم أساس كل حركة وهم عضد ابن رشيد في هذه الأطراف، وبقاؤهم في عنيزة بالوقت الحاضر ما هو صلاح.

ويقول بكتابه: إنّ محمد العبد الله وصل عند ابن رشيد، وبعد وصوله أخذ ابن رشيد من تجار القصيم ثمانين بعيرًا لأجل شيل رحلة العسكر، لأن الحكومة أمدته في عسكر وأنه سيتوجه من السماوة عن قريب، ويحث ابن سعود على الاستعداد لذلك.

جاء ابن سعود من بريدة إلى عنيزة واستدعى ابن سليم وبعض جماعته وبلّغهم نجدة الترك لابن رشيد، ثم أرسل إلى عبد الله العبد الرحمن وابنه علي وصالح الحمد المحمد وحمد المحمد العبد العزيز وحمد المحمد العبد الرحمن،، ومحمد العبد الله البراهيم آل بسام، وأخبرهم أنّ ابن رشيد قد أقبل وقد أمدته حكومة الترك بعسكر

ولو وثقت أنا فيكم فالجماعة ما هم واثقين، والذي أرى أن تبعدوا أنفسكم عن مضان القيل والقال ما دام الأمور على هذه الحال، ولا أرى لكم أحسن من الاعتزال في الرياض على بساط الكرامة إلى أنْ تنقضي هالأمور، لأني أخشى من هرج ينسبه عنكم عدو ويحملنا على مقتلكم، نحن نودُّ أن لا يصير لأحد مدخل في كلام، وأنتم في وجهي وأمان الله ما يجي عليكم ما يكدركم.

قالوا: حنا بالسمع والطاعة، وإذا كان ترون في إبعادنا شيء من المصلحة لكم أو لنا فحنا حدو الأمر، إنما نطلب من الله ثم منكم تمهلونا يومنا هذا، ونطمئن خواطر عائلاتنا، وبكرى إنشاء الله نكون مستعدين.

قال: ما هنا أمور إنشاء الله تدعي إلى مضته، فالذي تريدون يلحقكم واكتبوا بخواطركم لعائلاتكم وطمنوهم، والجيش حاضر توكلوا على الله واركبوا.

فركبوا في الحال وقدموا الرياض، فأنزلوهم في بيت يليق بهم، وتركوا لهم حريتهم في الخروج والدخول، ورتبوا لهم كفايتهم وجعلوا عندهم خدّام يخدمونهم بصفة مراقبين، ولم يحصل عليهم تضييق.

ذكرت السبب في القبض على آل بسام ولم أذكر إلاّ ما ثبت عندي، واطّلعت عليه وعندي بذلك وثيقة من مبارك الصباح كتبها إلى مقبل بن عبد الرحمن الذكير، مؤرَّخة ١٨ محرم سنة ١٣٢٢هـ، تتضمن كتابته لابن سعود بهذا الأمر فدوّنته إثباتًا للحقيقة، لأن آل بسام اتهموا بعض الجماعة بأنهم هم الساعين بذلك عند ابن سعود، ولكنهم على خطأ في ظنّهم، فالأمر من ابن صباح مباشرة، وسيطلع القارىء على ما يؤيد ذلك في كتاب

الإمام عبد الرحمن للشيخ قاسم بن ثاني في كلامنا هذا على التوسط لإطلاق سراح آل بسام في حوادث السنة التي بعد هذه.

ولكنْ ــ مع الأسف ــ أنَّ هذا الظن صار عندهم بحكم اليقين، وحملوا ابن رشيد على أن يكتب للدولة في إبعاد بعض الأشخاص من تجّار أهل عنيزة في البصرة، فوقعت النكاية بأناس هم أبعد الناس عن أمور السياسة، بل وأمور ابن رشيد وابن سعود، وذلك أنّ الحكومة اعتقلت محمد العويد الشعيبي وأخاه عبد الله العويد، وحمد الحماد الشبل القائم بأعمال الشبيلي بالنيابة وأرسلتهم إلى قونية فبقوا هناك مدة.

إقبال ابن رشيد من العراق بالعسكر

ذكرنا أنّ ابن رشيد سار إلى العراق في شهر شوال الماضي وأخذ يراجع حكومة الترك في الأستانة ويستنجدها على ابن سعود، وأقام على ذلك نحو خمسة أشهر وهو يرسل التلغراف تلو التلغراف، دون أن يظهر له بوادر من النجاح، ولكن الدولة أخيرًا عطفت على طلبه وأوعدته لأنها أوجست خوفًا من امتداد سلطة ابن سعود في نجد وأمدت ابن رشيد بنجدة مؤلّفة من أحدَ عشر طابورًا وأربعة عشر مدفعًا، وشيء كثير من الذخيرة والمؤن والمال.

وقد ذكرنا مصادرته جمال تجّار أهل القصيم فحمل عليها العسكر والذخيرة واستنفر شمر وحرب والظفير وبعض من عنزة والشرارات وبني عبد الله، فأقبل يزحف بهذا الجيش الجرار قاصدًا ابن سعود في القصيم، فلما وصل قصيبا التقى بعبد الرحمن بن ضبعان فيها، وكان قد سلم قصر بريدة قبل بضعة أيام عندما نفد ما عندهم من الطعام،

وكان ابن ضبعان مريضًا، فتوفي بعد مدة قليلة، أخبره ابن ضبعان بقوات ابن سعود فأقبل ابن رشيد، وكان ابن سعود قد كتب إلى بلدان نجد بطلب زيادة غزوه فجاءوا وانضموا إلى مَنْ معه فاجتمع عنده قوة ما هي قليلة حاضرة وبادية.

وقعة البكيرية

هذه الوقعة من أكبر الوقعات التي صارت في نجد بل هي أكبرها على الإطلاق بتاريخ نجد الحديث الذي وصل إلينا علمه، لما توفر فيها من الاستعدادات الحربية والأسلحة الحديثة الطراز عند الفريقين، وبكثرة ما حشد فيها من الجيوش، حيث إنّ نجدًا شطرتها هذه الحوادث شطرين متضادين، فمن حدود القصيم الشمالية إلى وادي الدواسر بيَد ابن سعود، وقد حشد غزوان هذه البلدان وبواديها، ومن حدود القصيم شمالاً إلى جوف آل عمرو بيد ابن رشيد.

وقد حشد غزوان هذه البلدان وبواديها غير ما أمدته به نزل ابن رشيد [...][1] جيشه، وكان ابن سعود في (البصر) قرية من قرى بريدة ثم شدّ منها، ونزل البكيرية وعبىء جيشه ثلاثة أقسام، قلب وجناحان، فكان هو ومن معه في غزو الجنوب جميعهم وبعض البادية الجناح الأيمن. وكان الجناح الأيسر أهل بريدة وأهل القصيم ومعهم بعض البادية، وكان القلب أهل عنيزة وتوابعها ومعهم بعض من عتيبة.

أقبل ابن رشيد وجنوده على تعبئته، فوجّه معظم قوّاته على جناح ابن سعود الأيمن الذي هو فيه، وجعل قبالة أهل بريدة وأهل القصيم بعض

(١) سطر غير واضح في الأصل.

من الحضر وشمر، وقبالة أهل عنيزة مثل ذلك، اصطدم الجيشان في وسط النهار من ذاك اليوم والتحم القتال وحمي الوطيس، وبيعت الأرواح بيع السماح، وتزاحفوا حتى اختلط الفريقان وتجالدوا بالسيوف إلى وقت العصر، فانهزم جناح ابن سعود الأيمن، وانهزم هو فيمن انهزم، أما القلب والجناح الأيسر فقد ثبتوا على القتال وهزموا الجيش المقابل لهم قبل الليل، ثم أغاروا على شمر وأخذوهم وهم لم يعلموا بهزيمة ابن سعود، فظلوا يطاردون فلول ابن رشيد الذي قد انهزم هو وأهل حايل على جيشهم، وتركوا العسكر لرحمة الأقدار، فصارت الملحمة والقتل فيهم، فلما أمسى الليل رجع أهل القصيم إلى معسكرهم ظافرين، وصادفوا برجوعهم ثلث من العسكر، بأسلحتهم وأطوابهم منفردين، فقاتلوهم ثم تغلبوا عليهم وأسروهم وغنموا ما معهم من الأسلحة والأطواب والذخيرة.

فلما وصلوا إلى مخيمهم لم يجدوا فيه أحدًا، فبلغهم حقيقة الواقع، وكان معهم عبد العزيز بن جلوي، ومحمد بن صالح شلهوب، دخلوا في معسكر أهل القصيم بعدما التحم القتال وبقوا معهم إلى النهاية، وكان الخبر قد وصل إلى عنيزة بهزيمة ابن سعود، فظنّوا أنّ الهزيمة عامة، فلما كان الساعة السادسة ليلاً وصل رسولٌ من صالح الزامل السليم ومعه كتاب للأمير عبد العزيز العبد الله يخبره بهزيمة ابن رشيد ويقول: إنْ كان ابن سعود قد جنّب البلاد فأرسلوا إليه وردّوه، فأرسل الأمير عبد العزيز إلى ابن سعود كتابًا مع مجاهد الحبردي يخبره فيه عن حقيقة الواقع، وأرسل له الكتاب الوارد من صالح الزامل، وطلب منه أنْ يرجع، وأنهم مستعدون إلى جميع ما يلزم من المال والرجال، وجاء عبد الله بن قعدان يخبر الأمير

بعد أن صلى المغرب مع ابن سعود في كريع قصور مزارع مسافة ساعتين ونصف عن عنيزة بالجنوب الغربي منها، وصل الحبردي إلى ابن سعود وسلمه كتاب ابن سليم، ولكنه لم يصدق الخبر، فاستمر في مسيره قاصدًا إلى الرياض.

وكان الأمير ابن سليم قد جمع أعيان أهل عنيزة وكتبوا إلى ابن سعود كتابًا أشد لهجة وأكثر حماسة، فطلبوا منه أنْ يرجع ولو وحده، وعاهدوه بالله أنْ يقدموا له أموالهم وأنفسهم، فإذا لم يرجع فهم معتمدون على حرب ابن رشيد بأنفسهم، وكان ابن جلوي وابن شلهوب قد وصلا عنيزة، فسار الرسول الثاني معهما، فلما وصل رسول أهل عنيزة الثاني سُئل ابن سعود من ابن جلوي وشلهوب وكانا حاضران مع أهل القصيم فأخبراه، وصدّقا جواب أهل عنيزة، فرجع إليها.

أما غزو القصيم الذي بالبكيرية فقد اعتزموا المبيت في البكيرية، وفي الصباح يرجعون إلى بلدانهم بمن عندهم من الأسراء والأطواب؛ وكان هذا رأي صالح الحسن المهنا، وأما صالح الزامل فقد كان يرى الرجوع حالاً في ليلتهم قبل أنْ يختبر ابن رشيد أنهم في قلة، فيرجع إليهم فلم يوافق ابن مهنا، فركن ابن سليم إلى راية إلاّ أنّ الجند الذين معهم تخوفوا وأخذوا يتسللون في جنح الليل، فلما كان نصف الليل لم يبق من الجند إلاّ قليل، فاضطروا إلى الرجوع بليلتهم وتركوا ما معهم من الأسرى والغنائم، فرجع أناس من أهل البكيرية وأخبروا ابن رشيد، فأرسل قوة استولت على ما تركه أهل القصيم من العسكر والذخيرة، وكان عدد القتلى في هذه المعركة ينوف على الألفين وخمسمائة من ذلك نحو ستمائة وخمسين من أهل الرياض.

قنبلة في يده البسرى[1]

وقتل من أهل القصيم عمومًا نحو أربعمائة وخمسين، وقتل من عسكر الترك نحو ألف، وفيهم ثلاثة ضباط، وقتل من أهل حائل ونواحيها نحو أربعمائة، وفيهم ماجد بن حمود العبيد، وعبد [...][2] لا يقل عن الثلاثة الآلاف[3].

رجوع ابن سعود إلى عنيزة

رجع ابن سعود بعد أنْ وصله كتاب أهل عنيزة الأخير، وهو على المربع، فدخل عنيزة في اليوم الأول من شهر جمادى الأولى فاستقبله أهل عنيزة كبيرهم وصغيرهم خارج البلد استقبالاً حماسيًا، فاصطفّوا صفّين من باب البلد إلى مسافة بعيدة بأسلحتهم، والخيل تجول بين الصفوف ترحيبًا بقدومه، فدخل البلد ولم يكن معه يومئذ أكثر من خمسين هجّانًا، فجهّز بيومه سرية وأرسلها إلى البكيرية، ولكن ابن الرشيد قد سبقه إليها، فرجعت السرية إلى عنيزة، وكان ابن رشيد بعد هزيمته قد نزل الشيحية، فتلاحق عليه فلول جيشه، فجمع قوته وتماسك بمن بقي عنده من العسكر، وبلغه رجوع أهل القصيم عن البكيرية فنزلها.

وأرسل ابن سعود إلى القبائل التي حوله من عتيبة ومطير فأجابوه، فلما تكامل ورودهم واجتمع عنده أهل القصيم، خرج في السادس من شهر جمادى الأولى يريد ابن رشيد، فبلغه أنه نزل الخُبرا

---

(١) هذه العبارة ليس لها تعلّق بما قبلها ولا بما بعدها.

(٢) التكملة ناقصة في الأصل.

(٣) كذا في الأصل، والظاهر أنه سقط بمقدار صفحة.

(بلد من بلدان القصيم) وحاصرها، وكان قد وضع على أهل البكيرية غرامة طعام نحو خمسة عشر ألف صاع، وأمرهم أنْ يطحنوه، وجعل عندهم سرية يقبضونه منهم فتعقبه ابن سعود ونزل البكيرية، وطرد سرية ابن رشيد واستولى على ما كان فيها لابن رشيد من الطعام.

أقام ابن رشيد على حرب الخُبرا عدة أيام، ولكنّ أهل البلد صمدوا لحربه ودافعوا عنها دفاعًا شديدًا على أنه قد ساعده عليهم من الداخل تفشّي الهواء الأصفر فيهم مرض (الكوليرا) الذي لم يعرف بنجد قبل ذلك، وكان قد سرى إليهم من جيش ابن رشيد بعد أنْ تفشّى فيه من اختلاطه بعسكر الترك، فكانوا بين قبضة مرض داخلي وعدو خارجي، ولكن ذلك لم يفل عزمهم، فقد دافعوا دفاع الأبطال أحَدَ عشرة يومًا، كانت المدافع تشتغل عليهم ليلاً ونهارًا، [...][1]، فحاصرهم فامتنعوا عليه، ثم دعاهم للتسليم وعليهم أمان الله فاستوثقوا منه ونزلوا بعد أنْ أمنهم فتشلهم عن آخرهم، وسار ونزل الشنانة في ١٦ جمادى الأولى فقطع جميع نخيلها، وهدم بيوتها وتركها قاعًا صفصفًا، وحاصر الرّسّ ونصب عليها المدافع وضربها، فدافعوا عنها وقتل أميرها أثناء الحصار، ثم رحل ابن سعود ونزل الرسّ فانقطع ابن رشيد عن مهاجمتهم، فأخذت المناوشات بينهم يوميًا ستين يومًا دون أنْ يكون فيها وقعة حاسمة، فتذمّر أهل نجد وسئموا هذه الحالة التي لا هي حالة حرب ولا حالة سلم، فتفرقت بادية ابن سعود عنه طالبة المرعى لمواشيها، ولم يبق معه غير الحضر ثمانمائة وثلاثمائة من رؤساء البوادي.

---

(١) سطر غير واضح في الأصل.

ولم تكن حالة ابن رشيد بأحسن من حالة ابن سعود، فقد قامت عليه البوادي فطلبوا منه أن يتوسع، فقد هلكت مواشيهم في هذا المناخ، وكان ابن سعود قد ملك عليهم الطرق فلا يصل إليهم من القوافل التي يستمدونها من العراق إلاّ القليل، فضاقت عليهم معيشتهم، فأجبروه إما أن يناجز ابن سعود أو يرتحل من موضعه هذا، وكان ابن سعود عندما ترك البادية أرسل فهد الرشودي من كبار أهل بريدة يعرض عليه أمر الصلح على بقاء ما تحت يد كل منهما له، ولكن لم يشأ غرور ابن رشيد أنْ يسمع مثل هذا الكلام، فأساء الردّ، وقال لا صلح قبل أنْ أضرب القصيم والرياض ضربة لا ينسوها مدى الدهر، رجع فهد الرشودي يحمل هذا الكلام إلى ابن سعود فألقاه في مجلسه، وختمه بقوله: والله يا أهل نجد إني رأيت رجلاً إن وَلِيَكم وتمكّن منكم ليجعلنكم كأمس الدابر، ولا أزيدكم تعريفًا بعبد العزيز بن متعب، فكلكم تعرفوه بحوادث الصريف، لا والله لا يرضيه فيكم مثل عمله في الصريف، وكان الرشودي رجلاً حصيفًا رصينًا فأثّرت كلماته في الناس تأثيرًا شديدًا.

وقعة الحجناوي، أو القوعي

شدّ ابن رشيد في الشنانة في ١٧ رجب تحت ضغط البادية، وكان البادية قد ارتحلوا قبله، وعندما شد ابن رشيد ومشى هجم عليه ابن سعود، فتصادموا وتقارعوا من طلوع الشمس إلى غروبها، وكان قصد ابن سعود بهذا الهجوم أن يحول دون ابن رشيد اللحاق بشمر، فشاغله إلى الليل، نصب ابن رشيد خيامه للمبيت ليوهم ابن سعود أنه سيبيت في مكانه، فانخدع ابن سعود بذلك ورجع إلى مخيمه وأقام حراسًا يراقبون حركات ابن رشيد.

عندما علم ابن رشيد برجوع ابن سعود شرع يتأهّب للرحيل، فانطلق أحد الحراس وأخبر ابن سعود أنّ ابن رشيد قد رحل، وسارعوا إلى الخيل يتعقبون ابن رشيد، فلما قربوا منه رأوا سوادًا فأغاروا عليها، فإذا هي عسكر الترك فنازلوهم ساعة، فصمد لهم الترك وردوهم، فرجع ابن سعود إلى مخيمه دون نتيجة، ولكنه ترك حراسًا وكشافة في مكان قريب من منزل ابن رشيد، وقال لهم: إذا رحل إن كان صار طريقه على الحنف، وهو درب بين جبلي أبانات، فاتبعوه لتكونوا عالمين بمسيره، وأرسلوا لي واحدًا منكم يخبرني.

أما إن مشى إلى قصر ابن عقيل فعليكم أنْ تسبقوه إليه لتشجعوا أهله، وتخبروهم أني على أثركم ليشتد ساعدهم.

رحل ابن رشيد من القوعي ونزل على القصر، ونصب في الحال مدافعه وشرع بضرب القصر، وكان الكشافة قد سبقوه ودخلوا القصر وأرسلوا يخبرون ابن سعود فخف بمن معه في الساعة الأخيرة من نهار ذاك اليوم، فوصلوا إلى القصر منتصف الليل ودخلوه واستراحوا بقية تلك الليلة، وفي صباح اليوم التالي ١٩ رجب شدّ ابن رشيد فتركه ابن سعود يحمل أطوابه ويرحل إبله، وعندما مشى هو ورجاله وعسكر الترك، خرجت عليه خيل ابن سعود ومشى الجند من ورائها فأدركوه في الحجناوي، أناخ ابن رشيد وجمع جيوشه ونصب مدافعه، وبنى بيوت الحرب فتصادم الفريقان وتقارعا إلى نصف النهار فتقهقر الجناح الأيمن من جيش ابن سعود، فهجم ابن سعود وبقية جنده هجمة الاستبسال وهدم بيوت الحرب التي نصبها ابن رشيد، فحمي وطيس القتال فانهزمت عساكر الترك، ثم تبعهم ابن رشيد وقومه وفرّوا هاربين، وأراد ابن سعود أنْ

يتعقّبهم ولكن الحملات والأموال التي تركها ابن رشيد حالت دون ذلك، فشغلوا عنهم بها فاستولى ابن سعود وجنوده على تلك الأموال التي لا تُقدَّر، فقد أخذوا أكثر من أربعة أيام ينقلون من هذه الغنائم من الأمتعة والذخائر والأسلحة والفرش والأثاث والثياب، حتى ضاقت أسواق عنيزة وبريدة من هذه الأشياء حتى صارت تُباع بأبخس الأثمان، ناهيك بالإبل والغنم.

وقيل: إنهم وجدوا بين تلك الأحمال صناديق من الذهب حملوها إلى ابن سعود، فلم يستأثر بها بل فرّقها على الجند، ولسنا مبالغين في وصف هذه الغنائم، فقد أخذت نقلها من مصادر عديدة واخترت أقلّها مبالغة إلاّ الذهب فلم أسمعه إلاّ نقل من كتاب الريحاني، وقد طبقت هذه الروايات على ما اتفقوا عليه، وتركت ما شذّ عنها إذ لا خير في المبالغة البعيدة عن الحقيقة.

انهزم ابن رشيد في قلّة من الخيل والجيش، فبات تلك الليلة في النبيانية القرية المعروف بسفح إبان الأسود من الشرق، ولم يكن معه شيء من الطعام وتلافي عليه بتلك الليلة بعض فلول المنهزمين من قومه فمشى منها ونزل الكهفة، وتلاحق عليه بقية فلوله. وشرائد العسكر الذين سلموا وأقاموا فيها ثلاثة أشهر.

أما ابن سعود فقد أقام بموضعه حتى استكمل قومه حمل الغنائم فرجع إلى عنيزة، وأقام فيها بضعة أيام، ثم رجع إلى الرياض في آخر رجب، وأرخص لجنوده يرجعون لأوطانهم، ودخل الرياض في الخامس من شهر شعبان، فخشي أنّ حكومة الترك تستأنف مساعدة ابن رشيد إذا

بلغها هلاك عسكرها في هذه الوقائع، فأخذ يخابرها ويستعطفها ويتدخل عليها، ويبدي خضوعه، وأنه بالسمع والطاعة، ويرجوها أنْ لا تسمع كلام الأعداء والمغرضين والذين يصوورونه عاصي على الدولة، وخارج عن طاعتها لعله على الأقل يكتفي شرها، وقد استنجد بالشيخ قاسم ابن ثاني أمير قطر أن يساعده برفع البرقيات، ويزيل ما علق بذهن السلطات عن ابن سعود، لأن كلامه مقبول عند الدولة، ولها ثقة فيه، وأجابه ابن ثاني وأرسل عريضة خطية لوالي ولاية البصرة، وأخرى تلغرافية إلى السلطان عبد الحميد من أربع نسخ أحدها بواسطة الوالي المذكور، والثانية بواسطة مجلس الوكلاء الخاص، والثالثة بواسطة الكاتب الأول في المابين، والرابعة بواسطة أبي الهدى الصيادي.

وأرسل ابن سعود تلغرافين إلى السلطان عبد الحميد على أربع نسخ الأولى نسخة من كل واحد من التلغرافين باسم السلطان بلا واسطة، ونسخة من التلغرافين بواسطة الكاتب الأول في المابين، ونسخة بواسطة مجلس الوكلاء الخاص، ونسخة بواسطة أبي الهدى أفندي، وإليك مضمون تلغرافات ابن سعود.

التلغراف الأول

من ابن سعود إلى السلطان عبد الحميد

إلى أعتاب سيدي وولي نعمتي سلطان البرين وخاقان البحرين، خليفة رسول الله السلطان المعظم، السلطان عبد الحميد خان الثاني، أدام الله عرش سلطنته إلى آخر الدوران أمين.

أقدم عبوديتي وطاعتي ودخالتي إلى الأعتاب السامية المقدسة

ممتثلاً كل إرادة وفرمان لست بعاصي ولا خارج عن دائرة الأمر، بل أن العبد الصادق في خدمة دولتي وجلالة متبوعي الأعظم، أريد الإصلاح ما استطعت قد ابتلاني سبحانه وتعالى بشرذمة يحسدون ويفسدون ولا يصلحون، قاموا يشوشون أفكار دولة جلالة ولي النعم، ويدخلون على فكرة الشريف الأوهام الواهية، يريدون تفريق الكلمة الإسلامية وتقسيم الجامعة المقدسة العثمانية، وإلجائي إلى الاحتماء بالدول الأجانب، فحاشا ثم حاشا عبد جلالتكم عثماني صرف، أفدى السدّة العثمانية بعزيز روحي، أجمع كلمة بادية الخطة النجدية بما أتاني الله، ومنحتني دولتي العلية من النفوذ تحت راية مولانا أمير المؤمنين سلطان الإسلام والمسلمين السلطان عبد الحميد نصره الله، لكن هؤلاء الذين يريدون تفريق الجامعة العثمانية لا يألون جهدًا في إلقاء الدسائس حتى تمكنوا من جعل الأمر في غير قالبه واستجلبوا لي انحرف الرضاء العالي، فساقوا عليّ العساكر الشاهانية أولاً، واسترحمت وقدمت طاعتي فلم أوفق لإزالة الشبهة التي أدخلها المفسدون، والآن بلغني أنّ الحكومة السنية ساقت عليّ عساكر غير الأولى، فأنا أضرع إلي مرحمة وشفقة وضأن وحماية وديانة مولانا أمير المؤمنين أن لا يؤاخذني بدسيسة ألقاها المفسدون، ولا شبهة احتج بها الحاسدون المزورون، فينظر إليّ حفظه الله بعين العدالة والشفقة المرحمة، ويحقن دماء ألوف من المسلمين الطائعين الداعين بدوام عرش جلالته.

وعلى كل فليس لي إرادة أو قول أو فعل يخالف الرضاء العالي، وتظهر الحقيقة بالاختبار، كما أني استرحم من حكمة جلالة مولانا ومتبوعنا الأعظم، وفطنته السامية أنْ لا يروج مقاصد أرباب الفساد أعداء

الدين والدولة، الذين يريدون إشغال دولتنا العلية وتشتيت عساكرها المظفرة يمينًا وشمالاً، وإضعاف ماليتها فإن لهم بذلك مقاصد لا تخفى على سموّ حكمة جلالة مولانا أمير المؤمنين، وأنا عبد صادق خادم مطيع ملتجيء لمرحمة وشفقة جلالتكم.

١ رمضان سنة ١٣٢٢هـ عبد الدولة العثمانية عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود.

التلغراف الثاني

من ابن سعود إلى السلطان عبد الحميد

إلى أعتاب سيدي... إلخ.

إنّ مرحمة جلالتكم وشفقة عظمتكم وعفو سلطنكم أجلُّ وأعظم من أن يمنحوا (كذا) عن عبد صادق في عبوديته لسدة أعتابكم مثلي، قدمتُ جملة دخالات على أعتاب خلافتكم السامية الإسلامية معلنًا إذعاني وانقيادي وطاعتي لإرضاء ولي نعمتي، متبوعي الأعظم، ومع هذا فلم تصدر إرادة المرحمة والشفقة بإيقاف الحركة العسكرية الموجبة ضدي، مولاي أمير المؤمنين عبد جلالتكم هذا يعلم علم اليقين ما يكلف سوق العساكر الشاهانية إلى قطعة نجد من المشاق والأضرار على الملة الإسلامية والجامعة العثمانية، ويعلم أن المسبب لهذه المشاق والأضرار دسيسة من أعداء السلطنة السنية، يريدون تفريق الجامعة المقدسة العثمانية ليدركوا مطالبهم.

وأما عبد جلالتكم هذا فسامعٌ مطيعٌ مسترحم عفو جلالتكم، وإن لم أذنب دخيل على شفقتكم ومراحمكم في عفوي (كذا) إن كان صدر مني

ذنب، وحقن دماء ألوف من المسلمين من عبيدكم الطائعين الداعين بدوام عرش السلطنة الحميدية، وحاشا حكمة جلالتكم أنْ تصغوا بعد ذلك لزخارف دسائس أرباب المقاصد المفسدين، هذا عرضي واسترحامي والفرمان العلي الشأن لحضرة جلالة أمير المؤمنين ٥ رمضان سنة ١٣٢٢هـ.

عبد الدولة العثمانية عبد العزيز عبد الرحمن بن سعود أرسل هذه التلغرافات على الشيخ قاسم ابن ثاني أمير قطر، وطلب منه أنْ يرسلها بواسطته إلى المراجع التي قدمنا ذكرها، ورجي منه أنْ يكتب معها إلى السلطان ومن يرى من مأموري الدولة ما يناسب ذلك، فأرسلها الشيخ قاسم وكتب كتابًا إلى مخلص باشا والي ولاية البصرة وتلغرافًا إلى السلطان عبد الحميد أرسله بواسطة الوالي المذكور، وبواسطة مجلس الوكلاء الخاص، وهذا نص كتابه إلى والي ولاية البصرة.

كتاب الشيخ قاسم ابن ثاني
إلى والي ولاية البصرة

لجانب والي البصرة الجليلة صاحب الدولة مخلص باشا الأفخم يقتضي على كل عبد صادق صاحب وجدان وغيرة، وحمية لدينه ودولته وسلطانه عند حدوث كل مشكلة سياسية في داخل الممالك المحروسة أنْ يعرض فكره ونصيحته لأولياء الأمور عساه أنْ يصادف قبولاً، ويوفق لأداء واجب الخدمة بالنصيحة، فإنه لا يخفى على دولتكم حدوث القلاقل والمشاكل في قطعة نجد بين الأمير ابن رشيد والمترئس في وطن آبائه وأجداده عبد العزيز بن سعود، حتى تحول نظر أرباب الحل والعقد من

أمراء ومأموري الدولة العلية إلى هذه المسألة، تلبست غير قالبها الحقيقي، فجعلوها محوجة التدخل العسكري، ويقينًا أن ذلك غير موافق للرضاء العالي، فإن رضاء أمير المؤمنين حفظه الله ونصره في حل كل مشكلة حلاً لا يخالطه وجود غائلة، ولا يلجيء الدولة لتكبد المشاق والخسائر وإهراق دماء ألوف من المسلمين، فإن كل حادث لا يحوج إلى التدخل العسكري، إذا صارت فيه المداخلة باديء بدء كانت نتائجه غير محمودة، وموجب للتلف وتكبد الخسائر والمشاق وإهراق دماء المسلمين، وفي النهاية لا تأتي بفائدة، ولا تنتج نتيجة حسنة، وما ذلك إلاّ الخطأ السياسي يتبع.

ونحن جماعة المسلمين لنا شريعة إلهية تنهانا عن تفريق الكلمة وتأمرنا بتوحيدها والطاعة الكاملة بجميع معناها لخليفة رسوله أمير المؤمنين بنص ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦]، نعم إنّ مَنْ دأبُه بذر حب الشقاق والتفرقة بين جماعات المسلمين، يجدون لهم عند حدوث كل حادث بابًا واسعًا من الأوهام، يدخلون فيه على متبوعيهم الأعظم، ليجروا الأمور على غير وفق الرضاء العالي لينالوا بذلك مركزًا وثروة.

وليس على غير وفق الرضاء العالي لينالوا بذلك مركزًا وثروة.

وليس قصدي من هذه بيان مساوىء بعض الأمراء والمأمورين، بل قصدي أداء ما يجب عليّ ذمّة وحميّة وديانة من أداء النصيحة ببيان لزوم حل هذه المسألة حلاً يوافق للمصلحة بدون إحداث مشاكل أصعب ما هي فيه الآن، وذلك امتثالاً للشريعة الإلهية ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥]، فيلزم على من هو مثل دولتكم حائزًا

هذا المقام متصفًا بالصفات الحميدة، أنْ يجعل اجتهاده في حل هذه المشكلة حلاً يوافق للمصلحة الحاضرة، وذلك بطريق الإصلاح بين الفئتين المتشاجرتين بدون مساعدة أحد الطرفين على الآخر حتى لا يوجب له المروق عن الطاعة حقيقةً وفعلاً، وذلك بأنْ يكفّ الفريقان كفًّا قطعيًا عن إحداث القلاقل وإلزام كل منهما الراحة والسكون وإن كان ثمة اشتباه من ابن سعود وأمره أعطي التعليمات اللازمة وأنذر الإنذارات المقتضية، فإنْ أذعنوا وأطاعوا فلا تبغوا عليهم سبيلاً، وإن عتوا وعصوا فَسَوْقُ العساكر آخر علاج تستعمله الدولة لإخضاع الرعايا.

على أن ابن سعود طلب هذا الأمر مرارًا. وبحجة التوهب أدخل أرباب الأغراض على الحكومة السنية الأوهام ومنعوها من استعمال الرفق الذي هو أوفق للمصلحة.

ومع هذا فإني مقدم للأعتاب الملوكانية ولمجلس الوكلاء الخاص تلغرافًا هذه صورته أقدمها لفًا لتعرض أيضًا بواسطة دولتكم عساه أنْ يصادف قبولاً فأفوز بخدمتي لديني ودولتي ومتبوعي الأعظم خليفة رسول رب العالمين نصره الله وأيده، وعلى كل حال الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر ٨ رمضان سنة ١٣٢٢هـ العبد الصادق المخلص: قائمقام قضاء قطر ورئيس عشائرها وقبائلها قاسم الثاني:

التلغراف الصادر

من الشيخ قاسم بن ثاني

إلى السلطان إلى الأعتاب المقدسة والركاب المحروسة السلطانية أثير الله سرير سلطنته بالعزّ والنصر آمين.

إنّ عبوديتي وصدقي وإخلاصي وصداقتي وغيرتي وحميّتي لا يدعوني أنْ أترك النصح لديني ودولتي وسلطاني سواء صادف قبولاً أم لا، فقد سبق من هذا العبد الصادق العرض بعدم تنسيب سَوْق العساكر الشاهانية على ابن سعود وأن الأمر دون ذلك، حيث أن المشهور والمعروف عن سياسة وحكمة مولانا أمير المؤمنين خليفة رسول رب العالمين نصره الله وأيده، المرحمة والشفقة لعموم التبعية السلطانية، وأنْ ليس في طبعه الشريف اتباع آراء أرباب المقاصد والأغراض الذين لا يقدرون عواقب الأمور حق قدرها، والذين لا يهمهم إلاّ منافعهم الشخصية على أنه ليس هناك سبب يستوجب سَوْق العساكر المنصورة على ابن سعود سوى العداوة السابقة الثابتة بحكم الطبيعة بينه وبين الأمير ابن رشيد، وأن الأمير ابن رشيد وجد من يساعده على مقاصده من أرباب الأطماع ببذل النقدين حبًّا للانتقام.

وقد أعرضت بلسان الصدق والصداقة واسترحمت عدم سَوْق العساكر الشاهانية على ابن سعود، وإن كل مطلب ومقصد يحصل بدون أنْ تطلقوا على نجد وأهليها اسم العصيان الذي يكلف الحكومة السنية من المشاق والمصاريف والخسائر ما هي غنية عنها بدون فائدة، على أن ابن سعود ليس بعاصي ولا خارج عن رسم الطاعة.

نعم إنّ الذين أدخلوا في أفكار مولانا أمير المؤمنين سوء قصد ابن سعود وأنّ منه الخطر على نجد وما يليها، هم أعداء الدولة والملّة الذين يريدون تفريق الكلمة، حيث إن أمثال هؤلاء لا يستفيدون نقدًا وجاهًا وموقعًا إلاّ بإحداث مثل هذه المشاكل والقلاقل، كما فعلوا في غير هذه القضية، وكما فعلوا في مبادىء مسألة الكويت، وقد أعرضت أفكاري عند

حدوث كل حادثة، والآن قد بلغني أنّ الدولة العلية صانها رب البرية قد عزمت على إظهار عساكر مرة ثانية لنجد وحيث إنّ هذا القصد مبنيٌّ على أوهام لا وجود لها، أتيتُ أعرض ما يجب عليَّ ذمةً ودينًا من أداء النصيحة، بأنَّ سَوْق العساكر على نجد وأهليها ليس فيه صلاح ولا منه فائدة، وأجلُّ الفائدة وأعظم الفوز بجمع الكلمة الإسلامية العثمانية، وأهل نجد بالتحقيق وما خرجوا عن هذه الدائرة ولا صدر منهم سوى احتلالهم وطنهم بحكم المشيخة والرياسة حسب القواعد العربية، وحيث أن الذي كان مترئسًا فيها ابن رشيد، قام هو ومَنْ هو مساعد له، وعلى شاكلته يدخلون الأوهام على الحكومة السنية وليس عندهم إلاّ حب الانتقام بدون مصلحة ولا فائدة.

والأولى والأصلح أن ينذر ابن سعود وكبار نجد وعلمائه بالنذر ويبلغوا البلاغات المقتضية سياسة ويوعظوا بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن أذعنوا وأطاعوا لإرادة سلطانهم.

[. . .][1] آخر علاج، على أنه قد بلغني أن ابن سعود قد استرحم مرادًا بأن الحكومة تشكل لجنة لتحقيق أحواله وأحوال ابن رشيد، وكفّ الطرفين، وذلك أولى وأصلح وأحقن لدماء المسلمين، وأفود للدولة العلية، وعلى كل حال أسترحم باسم العدالة والصداقة والحمية أنْ يصرف النظر عن سَوْق العساكر، وتنظر الدولة العلية في الأمر بجعل مشايخ نجد مأمورين رسميين لا فرق بين ابن سعود وبين ابن رشيد، كما أني أسترحم أنْ لا تُجعل نصيحتي في زوايا الإهمال والأمر والفرمان لحضرة من له الأمر.

(١) سطر غير واضح في الأصل.

٨ رمضان سنة ١٣٢٢هـ

العبد الصادق قائمقام قضاء قطر

ورئيس عشائرها وقبائلها : جاسم الثاني

وكانت الصحف العربية يومئذ تتابع سياسة الحكومة العثمانية كما هو شأن الصحف التي تعيش في الحكومات الاستبدادية، ولم يكن لها من حرية الكلام ما يخولها تمحيص الحقائق، بل إنها ترى وتعتبر ابن سعود عاصٍ وخارج عن طاعة الحكومة، ويطعنون عليه أشد الطعن إرضاءً للباب العالي أو مدفوعين بدافع المصلحة من خصوم ابن سعود الكثيرين، ولم يكن لابن سعود يومئذ اتصال بالصحف، ولا يأبه لما يقال فيها، ولم يدرك فائدة الدعاية معتمدًا على قوة حقه.

ولكن بمناسبة رفع هذه التلغرافات وظهور أثرها بإصغاء الحكومة إليها، واعتبار ما جاء فيها كتب بعض الكتاب مقالة نشرت في إحدى الصحف بتاريخ ٢٢ ذي القعدة بإيعاز من الشيخ قاسم، ولمناسبتها للموضوع أوردناها إتمامًا للفائدة، وهذا مضمونها تحت عنوان:

حقيقة الحال في الحالة النجدية

إنّ الفتنة التي حدثت في هذه السنين الأخيرة في القطعة النجدية قد نظر إليها الرأي العام من عقلاء المسلمين وحكمائهم، نظر الاهتمام كأنّها الداء العضال العادي الذي يهدد صحة الأعضاء الرئيسية من الجسد الإسلامي، حيث إنّهم قد أدركوا بثاقب أفهامهم المنورة بنور الأعيان، أنها إذا لم تتداركها حكمة ضلالة خليفة المسلمين بالحل السلمي السديد

لا تنتهي إلاّ بمداخلة الأغيار الـشتت لجموعها أولاً وآخراً، وهذا ما عنينا به من قولنا كأنها الداء العضّال العادي. . . إلخ.

وحقيقةً إذا نظرنا نظرهم هذا أخذت بنا الدهشة كل مأخذ واستولت علينا الحيرة من كل جانب، حتى إذ ما تثبّتنا بعد الدهشة واهتدينا غب الحيرة، ورجعنا لتلافي الأمرلا وليس لنا من الأمر شيء سوى استلفات واستعطاف أصحاب أهل الحل والعقد من أمراء الدولة العلية، الذين هم لا يهمهم سوى الإصلاح لتلافي هذا الأمر، وإخماد ثورة هذه الحادثة وإطفاء نار هذه الفتنة بالإصلاح والتوفيق السديد، لا ببرق السيوف ورعد المدافع وتحشيد العساكر والضغط الموجب للانفجار وتخريب الدار وتدمير الديار وتداخل يد الأغيار، ولو بدون أهليته واستحقاقه كما نعلم وتعلمون.

نعم قد ولي عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بلاد أبيه وجده بقاعدة الرياسة المعروفة بالمشيخة في البلاد العربية، متغلّبًا على الأمير عبد العزيز بن رشيد وكما تدين تدان. وتلك الأيام نداولها بين الناس، لكن نظرًا لما جُبل عليه الأمير ابن رشيد من إباية الغبن، ولما هو متصف به من العناد، ولما له من نفوذ الكلمة وقبول القول لدى أمراء الدولة العلية، اغترارًا بما يرون منه من بهارج القول، وطمعًا بما ينالونه من ثمين الهدايا، استمالهم لمساعدته فساعدوه غير ناظرين لما يؤل إليه أمر مساعدته من [. . .][1] ومن [. . .][2] ومن [. . .][3] وإذا لم يفكروا إلاّ

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) بياض في الأصل.

في أن في نفس مساعدته وتقويته ذهاب قسم عظيم من ملك الدولة العلية العثمانية، فضلاً عمّا يكلف الدولة العلية من المشاق والخسائر وإضعاف النفوذ وتلف مئات ألوف من المسلمين، والتدخل الأجنبي إلى غير ذلك من أنواع المضرّات التي لا ثمرة لها غير التفريق والتشتيت، لوجب أنْ يكون ذلك حاجزًا قويًا بين أرباب الحل والعقد، وبين الميل لمساعدة أحد الفريقين على الآخر، فضلاً عن المساعدة فعلاً، بل لوجب جمع فكرهم على اتخاذ الأسباب والوسائل لإصلاح ذات بين الفريقين وجمع كلمتهم تحت الراية المقدسة العثمانية، على أنّ الأمل الوطيد والحق الحقيق هو أن عبد العزيز بن سعود هو أطوع من غيره لإرادة جلالة متبوعة، مع أنه لم ينظر إليه بعين الرضا كغيره، ولو نظر إليه بعين الرضا ورأى المساواة بينه وبين غيره، لرأت الدولة العلية من خدماته الصادقة ما يجعله أقرب إليها، ولا تظن إلاّ أنّ الذي أغمض عنه هذه العين الجليلة هو مداخل الأوهام من خرافات المموهين، بأن الخطر على الحرمين الشريفين وأطرافهما من عبد العزيز بن سعود محقق، لأنه وهّابي، والحال أنّ التوهّب الذي يرمون به ابن سعود وعشائره أهل نجد هو اعتقاد السلف الصحيح في توحيد الذات الإلٰهية وتقديس صفات الربوبية، وهذا شيء لا دخل له بالملك والسياسة، لكن المقاصد تغلب الحقائق.

وأما محافظة ابن سعود على الحرمين وطريقيهما وقصادهما وفرد الحجاج وكسر شوكة الذين كانوا يتعرّضونهم من ثوار العشائر البادية، فهذا محسوس ومشاهد بالعيان حتى رأى الحجاج منذ عامين في طريقهم كل تسهيل موفرين ومقتصدين، لما كانوا يعطونه من الرسوم المقررة

لرؤساء العشائر عن يدٍ وهم صاغرون، فكفّت أيدي البادية، ورأى الحجاج من العزّة والاحترام ما لم يروه قبلُ.

وهذه قضية مسلّمة يقرُّ ويعترف بها حتى الخصم نفسه، فنسألُ اللّهَ جلَّ جلاله أنْ ينصرَ دولتنا العلية ورجاله الصادقين، ويلهمهم السلوك في طريق الرشاد، فيصلحوا ذات بين الفريقين وتحفظ الدولة العلية لنفسها حقوق سيادتها المقدسة في الجانبين، كذي قبل، وإذا اختلف أحد منهم عن إرادتها وخالف رضاءها العالي إذْ ذاك، فلها أنّ تؤنّب وتعنّف وتؤدب بما شاءت وكيفما شاءت وهي ذات السلطة المطلقة في جميع ممالكها المحروسة. انتهى باختصار.

أرسل ابن سعود هذه التلغرافات فأثمرت الثمرة المطلوبة، لأن الحكومة قَبِلَتْها وأصغت لما فيها، وأثر في سياستها نحو ابن سعود، ففي شهر شوّال، أي بعد شهر من إرسال التلغرافات، بعثت إلى عبد العزيز بن سعود بواسطة الشيخ مبارك الصباح تقول: إنها تريد أن تفاوض أباه عبد الرحمن الفيصل، وطلبت أنْ يوافي واليّ البصرة بالقرب من الزبير، فأجابها الإمام عبد الرحمن إلى ذلك، وسيأتي ذكر المفاوضات بموضعه من هذا الكتاب إنشاء الله.

خرج ابن سعود من الرياض في ١٣ رمضان غازيًا وليس معه إلا أهل الرياض، وقليل من البادية، فأغار على برغش بن طوالة من شمر، وهو نازل في (لِيَة) الماء المعروف، وأخذ عليه إبلًا كثيرة، وعاد إلى الرياض ودخلها في ٢ شوال.

ابـن رشيـد

أما ابن رشيد فقد قلنا إنه نزل الكهفة بعد وقعة الحجناوي وتلافى عليه فلول جيشه ومن بقي من عسكر الدولة، وأقام فيها ثلاثة أشهر ورُسُلَه وتلغرافاته متواترة بواسطة بعض معتمديه في البصرة، وقد بالغ في استنجاد الدولة وجسّم لها الأخطار التي تهدد الجزيرة من ابن سعود وحلفائه، وزعم أنّ ابن سعود لم ينقلب عليه إلاّ بنجدات وعتادات حربية، ترد إليه من البحر بواسطة مبارك الصباح.

كانت هذه التلغرافات والشكاوى من ابن رشيد ترد بالوقت الذي ترد فيه استرحامات ابن سعود وتدخله على الدولة، فحارت الدولة بالأمر ورابها عمل ابن رشيد، والتزمت جانب الحيطة والتروي، فأرادت التثبت بالأمور وتحقيق الحالة، فطلبت عبد العزيز المتعب [1] لما فشلت محاولاته مع الدولة، استأنف العمل بنفسه، فأرسل بعض رجاله يبتاعون إبلاً للرحلة عوضًا عما فقده في وقعة الحجناوي، فاشتُري له فرحلها وغزى عليها، وأغار على هتيم ودهم من قبائل الشمال، ولكنهم لم يذعنوا لطاعته فوجدهم قد انتذروا واحتموا عنه، فلم يدرك منهم طائل، فرجع عنهم وصار طريقه على جماعة البشرى من حرب، وكان من أتباعه مخفرة وأخذ منه إبلاً ومالاً فساقها معه، ونزل الكهفة كأنه لما خاب من عدوه أراد أن ينتقم من صديقه، وكان ذلك في أواخر شهر القعدة سنة ١٣٢٢هـ.

وفي أواخر شهر ذي القعدة خرج الإمام عبد الرحمن الفيصل من الرياض قاصدًا مواجهة والي البصرة، إجابة لطلب الحكومة العثمانية،

(١) التكملة ناقصة في الأصل.

فوصل الكويت وسار معه الشيخ مبارك الصباح، فنزلا بموضع يبعد ساعتين عن الزبير، فاجتمعا هناك بالوالي، وبعد المفاوضات في أمور نجد طلب الوالي أنْ يكون القصيم على الحياد، أي أنْ يتكون من منطقة حياد مستقلة تقوم حاجزًا بين ابن سعود وابن رشيد، وأنْ يكون للدولة فيها مركزٌ عسكري ومستشارون، فلم يوافق الإمام عبد الرحمن، وصار مباحث في شؤون أخرى اتضح فيها للوالي كثيرًا مما يجهل من أمور نجد، ولم يتفقا على شيء، إلاّ أنهما جعلا فصل الأمور مرتبط بمواجهة المشير أحمد فيضي، لأنه قد تعيّن للنظر في أحوال نجد وإصلاحاته، فرجع الإمام عبد الرحمن إلى الرياض.

حــوادث الحجــاز

حصل في هذه السنة والذي قبلها والذي بعدها حوادث أثارت الرأي العام الإسلامي، وخاضت الجرائد في هذه الحوادث، وتركنا شرحها لموضعه من الكتاب عند كلامنا على الحجاز.

حوادث سنة ١٣٢٣هـ

وفي أول هذه السنة، بلغ ابن سعود أنّ المشير أحمد فيضي باشا على وشك المسير من العراق، ومعه قوة، وأنّ صدقي باشا سيخرج من المدينة ومعه عسكر، وكان يعلم أنّ فيضي باشا قد تعيّن للنظر في أمور نجد وإصلاحاته، ولكن رابه الأمر في سَوْق العساكر من العراق ومن المدينة، فظن أنهم إنما جازوا لتنفيذ إرادتهم بالقوة، وخشي من التفاف ابن رشيد معهم، فاحتاط للأمر، وكان يتّهم آل بسام في أنهم هم الساعون في إخراج العساكر إلى نجد مساعدة لابن رشيد بما لهم من المقدرة

والنفوذ في دوائر الحكومة، وقد ذكرنا في حوادث السنة الماضية قبضه على رؤسائهم وإرسالهم إلى الرياض.

وفي ٣ محرم سنة ١٣٢٢هـ: أرسل ابن سعود حمود البراك أحد خدّامه، فقبض على فهد بن عبد الله العبد الرحمن، وفهد العبد الله المحمد، وصالح المحمد آل محمد وابنه عبد العزيز، وفهد الحميد، ومحمد البراهيم، وعبد العزيز العبد الله المحمد، ومحمد العبد المحسن، وسار بهم إلى الرياض، فلما وصلوها أرخص ابن سعود لفهد العبد الله المحمد، ومحمد العبد المحسن فرجعا إلى عنيزة.

وفي شهر محرم في هذه السنة سار ابن رشيد من الكهيفة غازيًا، وأغار على الحميد من ابن مطير[1]، وهو نازل بأطراف الأسياح، وأخذه ورجع، وفي رجوعه صادف جماميل من أهل بريدة يحشون، أي يقطعون الكلأ (العشب)، منهم أناس مستأجرون ومنهم من يعمل لنفسه ويبيع ما يحصِّل من العشب ليقتات بثمنه هو وعائلته، وهم نحو أربعين، فقبض عليهم وجعلهم صفًا واحدًا، وأخذ يقتلهم، وفيهم شيخ كبير وابن له مراهق بعينه، فقال لابن رشيد: أنا داخل على الله ثم على الأمير أنْ تترك ابني ليعول ثمانية نسوة ليس لهن عائل غيري وغيره، فما كان منه إزاء هذا الاسترحام إلاّ أنْ قتل الابن بين يدي أبيه وألحقه به، فشاء الله أنْ يكون مصرعه في مكان هؤلاء الشهداء على دور السنة فانظر عاقبة الظلم.

ذكرنا في حوادث السنة الماضية مواجهة الإمام عبد الرحمن إلى والي البصرة ومفاوضتهما، وقلنا إنه توقف الفصل في الأمور لمواجهة المشير فيضي باشا، لأنه قد تعين للنظر في أحوال نجد وإصلاحهم، وقد

(١) الطميراني من مطير

اهتمت الحكومة التركية للأمر الواقع في نجد، ولكنها راغبة في السلم، وقد علمت بعد مفاوضة الإمام عبد الرحمن كثيرًا مما كانت تجهل، فأرسلت المشير أحمد فيضي باشا ومعه ثلاثة طوابير من العسكر وخمسة مدافع من بغداد، وأرسلت صدقي باشا ومعه طابورين خرج الأول من العراق وخرج الثاني من المدينة.

ولم ترسل الحكومة هذه القوة رغبة في الحرب، وإنما أرادت تعزيز جانبها عند المفاوضات السلمية، ولكن ابن رشيد ظنّ أنّ هذه العساكر لم تخرج إلاّ لمساعدته، فشّد رجاله وقابل فيضي باشا بمنتصف الطريق الطريق على خضرا ولينة الماءان المعروفان، فتفاوضا واختلفا، فكانت خطة ابن رشيد مخالفة للخطة التي جاء فيضي لأجلها، فرجع ابن رشيد وزمّ مطاياه نحو صدقي باشا، فقابله وفاوضه فلم يجد عنده ما يحب، فرجع ساخطًا عليهما، وتحقق لدى فيضي صدق ما قال الإمام عبد الرحمن في مقاصد ابن رشيد، وثبت عنده أنْ ليس لابن رشيد قصد إلاّ الانتقام والبطش بأهل القصيم خاصة وبأهل نجد عامة، فنبذه وتقدم المشير إلى القصيم، وكان عبد العزيز بن سعود قد خرج من الرياض عندما سمع بخروج فيضي باشا، ونزل العمار القرية المعروفة في ناحية السر.

فكتب إليه المشير كتابًا يوضّح له خطته، ويقول: إنه ما جاء محاربًا بل مسالمًا ولست محققًا مقاصد ابن رشيد، وطلب منه أنْ يلزم مكانه ولا يتقدم، ويرسل أباه عبد الرحمن ليوافيه إلى عنيزة للمفاوضة، فأجابه عبد العزيز إلى ذلك.

وكتب أهل القصيم إلى ابن سعود يخبرونه بقرب وصول المشير ويستفهمون منه عما يجب أن يعملوه، فأجابهم أنْ يخلدوا إلى السكينة فلا يأتون عملاً عدائيًا أثناء المفاوضات.

وكتب المشير كتابًا إلى أهل بريدة، وآخر مع فيد بك الهذال لأهل عنيزة يطلب مواجهتهما، فأرسل صالح الحسن أبو الخيل الشيخ عبد الله بن عمرو، ومحمد العلي أبو الخيل مندوبين من قبله، وأرسل أهل عنيزة عبد الله بن محمد العبد الكريم القاضي مندوبًا من قبلهم ليروا ما عنده، فأراد مفاوضتهم في مسألة القصيم، ورغبة الدولة بفصله عن ابن رشيد وابن سعود، وإبقائه على الحياد، فقالوا: إننا لا نملك المفاوضة بهذا الخصوص، فإن ذلك راجع إلى ابن سعود، فرجعوا من عنده بدون نتيجة.

قدوم الإمام عبد الرحمن إلى عنيزة
وقدوم المشير أحمد فيضي باشا إلى عنيزة

رحل المشير ونزل قرب بريدة، وخرج إليه صالح الحسن ووجهاء أهل بريدة وخاطبهم في مهمته ومقاصد الدولة الإصلاحية، فأجابوه إن كان الأمر بيننا وبين الدولة، ولا لابن رشيد مدخلٌ في شيء من الأمور، فنحن سامعين ومطيعين، وإنْ كان دولتكم، إنما أتيتم لتأييد سلطة ابن رشيد، فهذا مما لا نقبله ولا نرضاه، فطمأن خواطرهم أنه لا يقصد شيئًا من ذلك، ثم شدّ ونزل قرب عنيزة بين الوادي والديرة ٤ صفر، فخرج إليه الأمير عبد العزيز آل سليم، وأعيان جماعته وخاطبهم بمثل ما خاطب به أهل بريدة، وأجابوه بمثل جوابهم، وكان الإمام عبد الرحمن قد أقبل

ونزل قرب عنيزة، ونزل جنوبًا عن البلد، وقد تواجه والمشير في البلد، فطلب المشير أنْ يكون للدولة مركزان عسكريان، إحداهما في بُرَيْدة، والثاني في عنيزة، وذلك مؤقتًا إلى أنْ يتم الصلح بين ابن سعود وابن رشيد.

فرفض أهل القصيم هذا الطلب، فاستمرت المفاوضات على هذا النحو لم تتقدم، فبينما هم في أخذ ورد، إذ ورد الأمر إلى فيضي باشا بالتوجّه إلى اليمن بوجه السرعة، فقد كان الإمام يحيى، قد شدَّد نطاق الحصار على صنعاء، وفيها ستون ألف من الترك العسكريين والمدنيين، وليس عند الدولة قريبًا من اليمن أقدر من فيضي باشا توكل إليه إنجاد عسكرها المشرف على الموت، لذلك صدر الأمر إلى أحمد فيضي بالإسراع إلى اليمن، فاكتفي من أهل القصيم أن يقبلوا نقطتان عسكريتان أحدهما في عنيزة، والثانية في بريدة، تحتقنان تبعيتهما للدولة، فأرادوا رفض ذلك أيضًا. ولكن الإمام عبد الرحمن طلب منهم قبول ذلك مؤقتًا، فقبلوا فجعل في بريدة نحو مائة نفر رفعوا على محلهم العلم العثماني، وجعل في عنيزة ستون رجلًا ورفعوا العلم العثماني عند دخولهم في مأذنة الجامع، ثم كانت ترفع في يوم الجمعة من كل أسبوع، استمر ذلك نحو سنة، ثم تركوا ذلك بعد أن رحل العسكر بأجمعهم من نجد، كما سيأتي بيانه في حوادث السنة الآتية.

رحل فيضي باشا وترك القصيم ومشاكله لصدقي باشا يحلّها بالتي هي أحسن، وترك عنده العسكر، ثم رحل صدقي ونزل الشيحية ورجع الإمام عبد الرحمن إلى الرياض في أواسط شهر صفر.

إطلاق سراح آل بسام

في أواخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة أطلق الإمام سراح آل بسام إجابة لطلب ووساطة الشيخ قاسم بن ثاني، فأرسل عبد الله العبد الرحمن البسام وصالح الحمد، وحمد المحمد العبد العزيز، وحمد المحمد العبد الرحمن، وعبد العزيز العبد الله المحمد، ومحمد العبد الله البراهيم مع رسول خاص حتى أوصلهم عند الشيخ قاسم في قطر وبقيتهم رجع إلى عنيزة من الرياض.

المساعي التي بذلت

قد ذكرنا في حوادث أول السنة الماضية وحوادث أول هذه السنة، ما كان من القبض على آل بسام وأسبابه في الرياض. وكان مقامهم ومركزهم في الهيئة الاجتماعية، يعتبر بالدرجة الأولى في وطنهم فقط، بل في عموم نجد وكان لهم محلات تجارية في العراق والهند والحجاز والشام لها مقامها الممتاز بتلك الأقطار، وكان لهم صلات وثيقة مع بيت آل النقيب في العراق والأشراف في الحجاز علاوة على ما كان لهم من النفوذ في نجد بواسطة علاقاتهم الوثيقة مع ابن رشيد، وكان ابن سعود يتهمهم بأنهم هم الذين حرّكوا هذه الأمور وسعوا لدى الدولة وموظفيها بالعراق والحجاز والشام بإيعاز من ابن رشيد، وأنهم بذلوا معظم ثروتهم للسعي في هذا السبيل، وهذه التهمة تتجه بالأكثر على بيت آل عبد الله العبد الرحمن البسام خاصة، وأما الباقون فليسوا في هذا السبيل، وإنما عمهم الأمر.

كل هذه المعلومات تتصل لابن سعود من مبارك الصباح الذي له

شبه دائرة استخبارات في العراق بل في نفس دوائر الحكومة، فكان هو العامل الأول على حمل ابن سعود على شيلهم من عنيزة وإبعادهم عنها.

سعى محلهم في الحجاز لدى عون الرفيق شريف مكة، يومئذٍ ورجوا منه أن يبذل نفوذه، ويسعى في سبيل إطلاقهم فأجابهم الشريف، وكتب لابن سعود كتابًا أرسله مع رسول خاص يتشفّع فيهم، ويرجوا إطلاق سراحهم، فكتب إليه ابن سعود كتابًا رقيقًا، وأوعده أنهم سيرجعون إلى وطنهم بعد انتهاء الحوادث الجارية بيننا وبين ابن رشيد.

فلما فشلت مساعيهم من هذه الجهة سعى محلهم بالبصرة لدى نقيب البصرة، ورجاهُ أنْ يتوسط لدى ابن سعود، فأجابهم وهو لا يعلم أنّ الشريف قد سبقه إلى ذلك، فكتب إلى ابن سعود، بهذا الخصوص وأرسله مع رسول خاص، فأمله ابن سعود ولم يعده على أن جعل الأمر إلى غيره، وقال أن أمرهم إلى جماعتهم أهل عنيزة، وستراجعهم، فكتب إلى أمير عنيزة وجماعته، يبلّغهم بوساطة النقيب وطلب أن يبدوا رأيهم في ذلكد فجاءه الجواب منهم مفوّضين فيه الأمر لما يراه، ولا يسعهم غير ذلك.

دفع النقيب بحجة المراجعة، وتغافل بعد ذلك لأنه خرج غازيًا في ١٣ رمضان بعد وصول الجواب بيوم، فشلت وساطة النقيب كما فشلت وساطة الشريف، ولكن ذلك لم يثن عزمهم، فكتبوا إلى الشيخ عبد العزيز ابن علي بن إبراهيم يرجونه أن يكتب إلى الشيخ قاسم بن ثاني أن يتوسط لدى ابن سعود، وكان بينهم وبين ابن إبراهيم روابط وثيقة من جهة ابن رشيد، وبين ابن إبراهيم والشيخ قاسم بن ثاني روابط تجارية، قديمة،

فأجابهم إلى طلبهم، وكتب إلى الشيخ قاسم يرجوه أن يبذل نفوذه لدى ابن سعود، ويسعى في إطلاقهم، فلبّى الشيخ قاسم طلب الشيخ ابن إبراهيم، وسعى في هذا السبيل، وبالغ حتى أدرك مقصوده بعد مراجعات عديدة، وبما أن لدينا بعض الوثائق أحْبَبْنا إثباتها هنا إتمامًا للفائدة:

وساطة الشيخ قاسم بن ثاني

كتب الشيخ قاسم إلى الإمام عبد الرحمن يرجوه أن يشفعه فيهم، وأن يهبهم له، وأن يكرمه بشرف القبول وإطلاق سراحهم، ولكن الإمام عبد الرحمن لم يقدر أن يجاوبه قبل أنْ يراجع مبارك بن صباح، لأن له بعض التداخل في أمرهم، فكتب الإمام عبد الرحمن إلى مبارك يخبره أن الشيخ قاسم بن ثاني قد توسّط في أمر البسام، وهو عزيزٌ عندنا، وله معنا مقدمات حميدة، ولا يسعنا العذر في عدم إجابته وأخْذِنا جواب كتابه إلى أنْ نعرف رأيكم في هذا الأمر.

ولا نعرف بماذا جاوبه الشيخ مبارك، ولكن الذي أعلم أنّ مقبل بن عبد الرحمن الذكير كتب إلى الشيخ مبارك الصباح يرجوه أنْ يكتب إلى الإمام عبد الرحمن كلمة طيبة بحق آل بسام، لأن مقبلاً يعلم أنّ مباركًا هو السبب المباشر لحبسهم بموجب الملحاق الذي أرسله مبارك إلى مقبل مؤرخ ١٨ محرم سنة ١٣٢٢هـ، يقول: إننا كتبنا إلى ابن سعود يشيل البسام إلى الرياض لأن ما في بقائهم في عنيزة صلاح، ومن المعلوم أنّ البسام لم يقبض عليهم إلاّ في السادس من شهر صفر.

جاء الجواب إلى مقبل من مبارك مؤرخ ٢٥ رمضان سنة ١٣٢٢هـ يقول: من طرف جماعتنا آل بسام نحن من مدة ثلاثين يومًا كتبنا إلى

عبد الرحمن الفيصل وابنه عبد العزيز أن رخصوبهم يرجعون إلى وطنهم أيضًا بتاريخه كتبنا عن هذا الخصوص.

أما الإمام عبد الرحمن فقد كتب إلى الشيخ قاسم كتابًا مؤرَّخًا ١٥ شوال يقول: إنه راجَعَ الشيخ مبارك ولم يصله الجواب بعدُ.

وهذا مضمون الكتاب:

كتاب الإمام عبد الرحمن
إلى الشيخ قاسم بن ثاني

قال: أدام الله وجودك ما عرف جنابك، كان لدى مجيئك معلوم مخصوص من قبل أخبار الدولة وحركاتهم، وأنتم كتبتوا عرض حال لوالي البصرة، وقيل إلى المابين، واجتهادكم على ما يصلح أحوال المسلمين ويكافي عنهم، نرجوا أن الله يديم لنا وجودكم ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه.

وتعرف طوّل الله عمرك أنّ اليوم الدين والحمية ضاعت عند العرب، وأنا والله ما أخبر اليوم من يطفي هالأسباب، ويجتهد في إطفائها إلاّ أسباب الله ثم أسبابكم، وهي إنشاء الله كل عمل لغير الله باطل، وأنت أدام الله وجودك ما يحتاج من يوصيك من قبل هالمراد، لأنك أحرص على المسلمين من أنفسهم وقومتك إنشاء الله لِلَّه.

كذلك عرف جنابك من قبل آل بسام وتعرف أدام الله وجودك لو أنهم محبوسين في ديرة بعيدة ما نطولها إلاّ بأمر كايد اهفينا، أرقابنا وأموالنا في الأمر اللي يليق لجنابكم، وتطلبه أنفسكم، ونقول حلّة البركة

وعرفتنا أن جنابكم عرف الشيخ مبارك، وتعرف أدام الله وجودك أن الأمر فيه بعض تداخل للشيخ ما هو خافي جنابك، وهنا حال وصول الخط وهنا مركبين للشيخ طارش، ومعرفينه أن جنابكم اعترض وتوجه، وإن حنا ما نقدر إلاّ أنتم لجنابكم، ومعرفته أن لو أنتم طالبين أحد عيالنا أرسلناهم، وهو إنشاء الله ما يقصر وأنت أجزم، واعتقد أنّ الأمر الذي تجي فيه إنشاء الله يتم وحنا أملنا البسام موجب وجاهتكم وأنتم بعد إنشاء الله اكتبو لهم وأملوهم، وحنا حال ما يصلنا خط الشيخ وحنا معرفين جنابكم بالذي بخواطرنا سوى أنهم يروحون من عندنا، أو يصير مجيئهم إليكم. وحنا قد توجهوا علينا النقباء، وتوجهوا الأشراف بشيء ما هو خافي جنابكم، ولا والله أملناهم لكن أنتم ما نقدر، لأن الأمر الذي تبونه منّا إنشاء الله يتم والسلام ١٥ شوال ١٣٢٢.

فهذه الرسالة الأولى وبالرغم من هذه التأكيدات فقد مضى ستة أشهر كاملة بعد هذا الكتاب لم يطلق سراحهم لاشتغال الإمام عبد الرحمن بمواجهة والي البصرة، في أواخر شهر ذي القعدة، وبمواجهة المشير فيضي باشا في القصيم، وبعد أن تفرغ من هذه المهمات والشيخ قاسم لم يزل يستحثه في إنجاز وعده، فلما كان في النصف من شهر ربيع الثاني جهّز الإمام عبد الرحمن، عبد الله العبد الرحمن، وصالح الحمد، وحمد المحمد العبد العزيز، وحمد المحمد العبد الرحمن، وعبد العزيز العبد الله المحمد العبد الرحمن، ومحمد العبد الله إبراهيم، وأرسلهم إلى الشيخ قاسم في قطر لأنهم اختاروا التوجه إلى العراق، وأرسل الإمام معهم خدامًا من قبله، وأما الباقون فقد اختاروا التوجه إلى عنيزة فرجعوا إليها.

وكتب الإمام معهم كتابًا للشيخ قاسم هذا مضمونه:

كتاب الإمام عبد الرحمن الفيصل

إلى الشيخ قاسم بن ثاني

قال: كتابكم المكرم الذي على يد الابن عبد العزيز وصل، وصلكم الله إلى ما يرضيه، وأسرنا طيبكم وسلامتكم أدام الله تعالى ذلك لكم، وحنا سلمك الله قصرنا في تأخير جوابه، والمانع لنا عن ذلك ما أحبينا نكتب لكم حتى تنقضي مادتنا حنا وطوارف الدولة، ونذكر لكم المواد على حقائقها، أما مادة والي البصرة فقد بيّناها لكم يوم حنا بأطراف الكويت، وصار انفصال الأمر مرتبط بمواجهة المشير، لأنه قد تعين للنظر في أحوال نجد وإصلاحاته، وتواجهنا حنا والمشير في عنيزة وسهل الله الأمور وهوّنها بلطف منه ورحمة للمسلمين، وصار الخير فيما اختاره الله، صارت ظهرتهم إلى نجد هي عين الخيرة، أشرفوا على نجد وأحوالها وأصابهم مشاق عظيمة كلفتهم غاية الكلافة، وتحقق عندهم تشبيبات وتزوير ابن رشيد وغيره من المفسدين.

ومن أعظم ما تبين في هالأمر وقام واجتهد فيه شريف مكة، والحامل له على ذلك آل بسام وما ساقوه من الفلوس له أكثر من اثني عشر ألف ليرة، ولا أحد قام في هالأمر، واجتهد وفتح لهم بيان حتى أمر هالرتب في القصيم الأطوار منهم في الشام والحجاز والعراق، كل ما يقدرون عليه من الشّيْن والفساد ما ذخروه، ومع هذا فلا والله لهم طارىء عند والي البصرة، ولا عند المشير إلاّ أنهم يمقتونهم بأفعالهم، وشريف مكة ما زاد شرّه إلاّ لأن حنا ما وجهناه فيهم، وجميع ما ذكرنا

لكم من طرفهم مهرب ظن، لأن من طوارف الدولة الذي حنا واجهنا، وهم يلحقون العلم، ولكن من فضل الله عكس الله أمل كل مفسد، وأظهر الله نوره ولطف بالمسلمين ورحمهم، وصار اليوم جميع الناس شبهوا على الدولة صاروا عندهم أهل كذب وافتراء، ولا صاروا عندهم على محل.

وأنت الله يسلمك ويبقيك عرضت وجهك علينا من طرف آل بسام، وتدري أنك بمنزلة الوالد، ولا يمكن الأولاد إلاّ طاعة والدهم، على كل حال آل بسام موجب أمركم نجيزهم ونعمد معهم خدام، إلى ما ياصلون بهم إلى جنابكم إنشاه الله، وهم وارد عليهم لنا ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أني يوم الغيت عنيزة جوني أهل القصيم كلهم، وتدخلوا عليّ صغارهم وكبارهم حتى يزورهم نساءهم مخصوص أهل عنيزة أن حنا ما نبلاهم بآل بسام، وإن كان المشير مطريهم لك ظهرنا للمشير حتى نساءنا نسوقهم عليهم تندخل فيه عنهم ما يبلانا بهم.

الأمر الثاني: إنّ المسلمين تحملوا خسارة قوية، وحنا في بدتنا خسرنا خسارة قوية، والحقيقة الله يسلمك أنّ آل بسام هم الذين مستحقين لشيل هالحمل الثقيل، لأنهم أوجد أهل نجد وأقدرهم، وهم الذين حركوا أسباب هالشر الذي ضرّ المسلمين.

والأمر الثالث: أنّ هذي أمور كلها استكفينا بالله ثم بك فيها، وحنا والمسلمين داخلين على الله ثم عليك، وفي ذمتك، وأنت إنشاه الله أشفق منا على ما يصلح للإسلام وأهله، وهم ياصلونك إنشاه الله، والأمر لله ثم لك.

وعن المواد الذي صارت بيننا وبين المشير أمرنا على جميع بلداننا وعرباننا، إلاّ أن يبقى في القصيم قدر ستين نفر لأجل الرسمي، وتحقيق تبعية نجد للدولة عند الدول والمشير أحمد فيضي مشى إلى اليمن لأنه جايه أمر من اصطنبول أنه ياصله وريقي[1] الغريق معه باقي العسكريين برحلهم أحد للعراق، وأحد للمدينة لكن مخل بهم قل الرحلة، وهو مجتهد في تجميع رحله، وما حصل له مشاه منهم نرجو أن الله سبحانه يرزقنا وإياكم شكر نعمته على ما منّ به على المسلمين من دفع الشر، ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه، ويوفّقنا وإياكم لما يحب ويرضى، ودمتم محروسين، أول ربيع الثاني سنة ١٣٢٣هـ.

كتاب الشيخ قاسم بن ثاني
إلى مقبل الذكير

قال بعد الاسم والسلام كتابكم العزيز وصل خصوصًا عن الجماعة آل بسام الحمد لله، والله ياخي إن هذي نعمة ما نحصي شكرها لله، والله أن يهوّن علي لو نصف حلالي في ما منّ الله علينا بسبب فكيم، وإلاّ ما فكيم بهيّن علي، جميع من له مدخل فيهم، ولكن مثل نزع الروح من الجسد، وآخر الأمر جا عبد العزيز مني كتب أوجب فكيم برضى الراضي وزعل الزاعل، ذكرته في ملحاق للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في ثلاثة طباق (أي ست صفحات)، مقامنا وفعلنا معهم من خمسين سنة، ويوم جاه الذي هو خابره، والذي خابره غيره ما بلا بالذي زعل، وراضي، فما قصّر جزاه الله خيرًا على كل حال، والله يلحقنا جزاه؛ وإلاّ ما قصروا عنه العدوان وأهل الاعتراض، واصلك ملحاقين، واحد من الشيخ مبارك اتلي

(١) صدقي المفرعيه

ما جاهم منه[1]، والثاني من عبد الرحمن الفيصل جاي منه في أيام[2]، الملاحيق ما أحييت أحد يطلع بهم وأرسلتهم تنقلهم وترسلهم للشيخ عبد العزيز بن إبراهيم والحظ لأجل أني تكلفت بكتبه، ما ودّي أحد يدري به غيرك وغير الشيخ، والملاحيق إذا أخذت نقلهم أرجعهم علينا مع يد صفيه.

والجماعة طيبين كلهم ولا لحقهم تعب وتلقيناهم في المرضية مزرعة للولد خليفة، أحبينا لهم الراحة يومين هناك، وبعد ركبنا معهم للوسيل وهم ودّهم بالسفر (حداكم)[3]، وهنا ودّنا لهم بالراحة لوستة سبعة أيام والحمد لله الذي أطلقهم وسلمهم.

والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ما قصّر فأحل فيهم على شاننا، وعلمه طيب وغانم معهم من كثر ما أشرف عليه من حرصنا والسلام، ٢ سلخ ربيع الثاني سنة ١٣٢٣هـ.

وصول البسام إلى البحرين وسفرهم إلى البصرة

وصلّ آل بسام من قطر إلى البحرين، ونزلوا بضيافة فيصل بن عبد الرحمن الذكير، وأكرمهم بما هم أهله، ودعاهم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وكان يومئذٍ بمصّيفه في قلعة الديوان بالمنامة، وأقاموا بضعة أيام كانوا فيها محل حفاوة وإكرام، ثم سافروا بالمركب إلى البصرة،

---

(١) لم أقف على مضمون خط الشيخ مبارك.

(٢) هو الكتاب المشروح أعلاه.

(٣) يعني إلى طرفكم.

وأقاموا فيها إلاّ عبد الله العبد الرحمن، فإن سافر إلى الحجاز وأقام فيه إلى أنْ توفي رحمه الله.

رجع الكلام إلى تتمة حوادث هذه السنة

من بعد المفاوضات التي جرت بين الإمام عبد الرحمن الفيصل والمشير أحمد فيضي، حصل اختلاف بين أهل القصيم بالنظريات، فمنهم من يميل إلى طلب الدولة بفصل القصيم واستقلاله تحت سيادة الترك ومنهم من يميل إلى الصلح مع ابن رشيد، ومنهم من يميل إلى ابن سعود، وأنْ يبقون على ما هم عليه، وقيل إن الأمير صالح الحسن يميل إلى الرأي الأول ويؤيد أهله، ولم ينكر على أهل الرأي الثاني.

وقد كثر الكلام بين أهل بريدة في هذا الخصوص، وتظاهروا به ولم يستقر أمرهم على رأي واحد، ولم تكن حالهم متفقة، وقيل: إن صدقي باشا على اتصال بإحدى هذه الأحزاب، ويشجعه على عمله سرًا، وكان ابن سعود على علم بما يجري ولا يجهل شيء من أمورهم، ولكنه كعادته لا يحب التعجّل بالأمور، ويترك كل شيء للوقت المناسب، فتجاهل الأمر ظاهرًا، ولكنه نفض يده منهم، ورجع إلى بلاده وفي نفسه ما فيها عليهم، وترك الميدان خاليًا لأهل القصيم وابن رشيد ووكل إليهم أمر الدفاع عن أنفسهم، وكان قد حدث فتنة بين الشيخ قاسم بن ثاني وأخاه أحمد فاستنجده الشيخ قاسم فرأى الفرصة سانحة له للابتعاد عن القصيم، وأهله، فصار لنجدة الشيخ قاسم وقضى على خصوم الشيخ قاسم وهرب أحمد بن ثاني إلى البحرين.

أما ابن رشيد عندما علم أن ابن سعود رجع إلى بلاده لخلاف بينه

وبين أهل القصيم، أو بالأحرى بينه وبين ابن مهنا جهّز سرية يقودها حسين ابن عساف وصالح بن عذل فدخلا بلد الرس واستولوا عليها، وأخرج أمير ابن مهنا منها فاشتد ساعد أنصار ابن سعود من أهل بريدة على خصمائهم، وبان عجز ابن مهنا عن الدفاع عن بلدان القصيم، فأرسل جماعة من الموالين لابن سعود كتابًا إلى الشيخ مبارك يرجونه أن يصلح حالهم مع ابن سعود، فكتب ابن صباح إلى عبد العزيز بن سعود يرجوه أن يسمح عن أهل القصيم وأن لا يؤاخذهم، وكرر الرجاء أن يمدهم بالمساعدة قبل أن يتمكن ابن رشيد من القصيم فتخسروه معًا.

فوصل كتاب مبارك وابن سعود في أطراف الحسا راجعًا من قطر، فرجع إلى الرياض.

أما صالح الحسن بن مهنا فقد جهّز سرية عدد رجالها نحو المائتين، يرأسهم أحد إخوانه وأرسل إلى أهل عنيزة يرجوهم أن يمدوه، فأرسلوا له سرية يقودها صالح العلي السليم، وعدد رجالها نحو المائة، فانضموا إلى سرية ابن مهنا، ونزلوا بوسط القصيم لحماية بلدانه، ومعهم من البوادي قبيلة عتيبة ضابطين أمواه القصيم شرقيهم ابن ربعان على الدويحرة، وجنوبهم ابن حميد على البراكية والبدائع، ومعهم الحميداني من مطير، ولكن البادية لا يعتمد عليها في الدفاع، فقد شد ابن حميد والحميداني ونزلوا الشقيقة خوفًا من ابن رشيد، أن يهجم عليهم، وقد بلغهم أنه نزل الفوارة.

وفي الحقيقة أنه لم يقصد البادية وإنما جُلُّ قصده أن يحول على السرية ويقتلهم أجمعين.

جاء صالح بن سليم أمير سرية عنيزة إلى ابن مهنا كبير سرية بريدة، وقال: إن البادية ابتعدت عنا وصرنا الآن شجرة شفا، ولا نأمن هجوم ابن رشيد علينا، فالأولى أن نرتحل وننزل أحد القرى المجاورة لنا نتحصن فيها، ونكون مراقبين لما يجري حولنا، قال ابن مهنا: نحن ما خرجنا إلاّ لحماية أطراف البلدان، ولا يمكن أن نرتحل من موضعنا.

قال ابن سليم: أما أنا وجماعتي حالاً ماشين إلى أقرب قرية تواليناء، ولا يمكن أن نكون لقمة سائغة إلى ابن رشيد ارتحل ابن سليم من موضعه ونزل الشقة قرية تبعد عن بريدة نحو ساعتين، وأقامو خارج البلد في مزارع مسورة على قدر القامة وباتوا ليلتهم.

أما ابن مهنا فقد قام عليه جماعته وأجبروه أن يرتحل ويتبع أهل عنيزة، فرحل في أول الليل وأسري في ليلته، ومن الصدف أن ابن رشيد كان على أثرهم لأنه بات قريبًا منهم، ولم يشأ أن يهجم عليهم ليلاً لئلا يفوته منهم أحد، فأخّر الهجوم إلى الصبح ليستحوذ عليهم، ثم بلغه رحيلهم، فرحل في أثرهم ولم يدركهم إلاّ بعد أن أقبلوا على الشقة، فأخذوا يقاتلون وهم سائرون كل ما قرب منهم أبعدوه إلى أن وصلوا البلد، فانضموا إلى أهل عنيزة، وكانوا على غير تعبئة، فمنهم من دخل القرية وتحصّن فيها، ومنهم من نزل في المزارع التي خارج البلد.

فأحاط بهم ابن رشيد من كل جانب، وفصل أهل القرية عن السرية التي في المزارع إذ جعل قوة تحول دون اتصال بعضهم ببعض، فأيقن الجميع بالهلاك، ولكن اليأس يحدثُ قوة وشجاعة، فأبدت هذه السرية من الشجاعة والاستبسال، ما يقصر دونه الوصف، وساعدهم أهل القرية

فأشغلوا قسمًا ليس بالقليل من قوات ابن رشيد، واستمر القتال من طلوع الشمس إلى بعد الظهر، وهو على أشد ما يكون، ولم ينل منهم منالاً، فلما كان بعد الظهر ما راع ابن رشيد إلاّ وقد طلعت عليه الخيل، ثم تبعهم أهل الجيش ومن بعدهم الرجالة، وكان قد انطلق أحد خيّالة السرية إلى بريدة يستنجدهم، فصاح بوسط البلد بأعلا صوته: النجدة النجدة، فإن ابن رشيد قد أحاط بالسرية على الشقة وما أراكم تدركونهم، وكان أكثرهم قد دخل مسجد الجامع لصلاة الجمعة، فخرجوا منه سراعًا إلى بيوتهم وأخذوا سلاحهم، وركبوا ما وجدوا من الخيل والجيش، ومن لم يجد سار ماشيًا ولم يستغرق مسيرهم أكثر من ساعة.

فوصلوا والسرية لم تزل محافظة على مراكزها، إلاّ أنهم قد نهكهم التعب والعطش، ولو تأخرت النجدة قليلاً لهلكوا، ولكن لطف الله بهم بوصول النجدة إليهم.

أما ابن رشيد لما رأى النجدة قد أقبلت إليهم انسحب ورجع من حيث أتى بعد أن تكبّد خسائر فادحة، ولم يقتل من السرية إلاّ قليل.

أخبرني بهذا الخبر رئيس سرية عنيزة صالح العلي السليم بعد هذه الوقعة بأقل من سنة، لأني يومئذٍ في البحرين، ووصلت عنيزة في أثناء هذه السنة ووقفت على هذا الخبر منه تفصيلاً وهو يتفق مع ما رويته من مصادر أخرى، ولكني رجّحت رواية صالح لأنه هو أمير السرية، وشاهد عيان، فدوّنتها عندي ولم أعلم أني سأحتاج إليها فوجدتها بين أوراق قديمة.

بعد هذه الحوادث اضطر صالح بن حسن المهنا فأرسل أخاه مهنا

إلى عبد العزيز العبد الله بن سليم أمير عنيزة يرجوه أن يرسل معه أحد أولادهم وبعض أعيان أهل عنيزة ليساعدوه على استرضاء ابن سعود، فأجابه إلى ذلك وأرسل معه وفدًا من وجهاء أهل عنيزة، فوصلوا الرياض وعبد العزيز لم يزل في قطر، وبعد أيام قليلة وصل عبد العزيز بن سعود واستقبلهم وأكرمهم وأجاب ملتمسهم وعفى عن ابن مهنا، وأوعدهم بالمسير إلى القصيم على أثرهم، وفي أواخر شهر رجب خرج محمد بن عبد الرحمن على رأس سرية، فأغار على فريق حرب الموالين إلى ابن رشيد وأخذهم، وعاد فنزل السر ثم رحّل ونزل بريدة في أول شعبان.

وفي عاشر شعبان وصل الإمام عبد العزيز ونزل عنيزة، فلما بلغ ابن رشيد وصول ابن سعود القصيم خرج من الكهفة غازيًا يريد قبائل القصيم، فلم يدرك مرامًا، ورجع خائبًا وجعل طريقه على بريدة فحفها، وأغارت خيله على أطراف البلاد فخرج إليه محمد بن عبد الرحمن ومعه أهل بريدة، فحصل بينهم مناوشة بين أهل الخيل وطردوه، فبلغ الإمام عبد العزيز الخبر وهو في عنيزة، فخرج فازعًا ومعه أهل عنيزة، فوجدوا ابن رشيد قد انهزم فنزل عبد العزيز بريدة، ورجع أهل عنيزة إلى بلادهم، فأرسل ابن سعود إلى بلدان الجنوب، وأمر على غزوانهم أن يوافوه إلى القصيم، فلما أقبل غزوهم خرج الإمام من بريدة بمن عنده وانضم إليه غزو الجنوب، وسار قاصدًا قبيلة عتيبة الموالين لابن رشيد، وأغار عليهم في عالية نجد وأخذهم، فبلغ ابن رشيد أن ابن سعود غزى في قله، فسار على أثره يريد أن يباجمه بالوقت الذي هو يباجم عتيبة ليضربه من خلفه، ولكن ابن سعود سبقه إلى مهاجمة عتيبة، ولما بلغ ابن رشيد ذلك تهيّب مصادمة ابن سعود، ورجع عنه، ورجع ابن سعود إلى بريدة.

وفاة الشيخ يوسف بن عبد الله بن إبراهيم

وفي شهر شوّال من هذه السنة، توفي المرحوم الشيخ يوسف بن عبد الله بن إبراهيم المشهور والخصم الألدُّ للشيخ مبارك الصباح.

١٣٢٤هـ

وقعة روضة مهنا وقتل ابن رشيد

ذكرنا في آخر حوادث السنة الماضية وفاة الشيخ يوسف بن إبراهيم، وأحدثت وفاته تغيرًا كبيرًا في سياسة ابن صباح لأن ابن إبراهيم هو أصل، وسبب العداوة بين ابن رشيد وابن صباح، ولم يقم ابن صباح لحرب ابن رشيد إلاّ بعد أن نزل ابن إبراهيم بساحة ابن رشيد وإنجاده على خصمه، حينئذٍ بدأت مساعدة ابن صباح لابن سعود، لا محبةً فيه ولا رغبة منه في استرجاع ملك ابن سعود، وإنما جعله وسيلة للانتقام به من ابن رشيد، ومن ابن إبراهيم.

أما وقد مات خصمه الملدود فقد قلب ظهر المجن لصديقه الودود، وأخذ ينظر إليه نظر العداء، وأخذ يحسب لعواقب امتداد نفوذ ابن سعود ألف حساب، فانقلب ظهرًا لبطن وعكس خطته السياسية عكسًا تامًا، فأظهر الجفاء لابن سعود، وأخذ يتودد إلى ابن رشيد ويستميله، وكان ابن رشيد في أشد الحاجة إلى مثل هذا الصديق الجديد حين انقطع أمله من حكومة الترك، ففي انضمام ابن صباح لجانبه يكتسب قوة جديدة كانت الركن الأقوى سابقًا لخصمه، جرت المراجعات وتم الصلح بينهما، ولم يكتفِ ابن صباح بهذا العمل، بل أراد أن يسعى في فصل ابن مهنا عن ابن سعود، وإدخاله في حِلْفه مع ابن رشيد، فكاتب ابن مهنا

بهذا الخصوص، ولكن شاء ربك أن يحبط عمله فكشف عن سوء نيه.

كان ابن صباح يجري هذه المفاوضات وهو على عادته مع ابن سعود لم تتغير لهجته ولم ينذر بخلد ابن سعود أن مبارك الصباح بعد هذا العداء مع ابن رشيد ينقلب بهذه السرعة، فلنترك ابن صباح وأعماله ونرجع قليلاً لنلحق ما سبق هذا الانقلاب من الحوادث.

ففي ٢٥ من شهر الحجة سنة ١٣٢٣هـ: خرج ابن سعود من الرياض ومعه غزو الرياض ونواحيها، ونزل الأسياح وانضم إليه غزو القصيم أميره صالح الحسن بن مهنا، وغزو عنيزة أميره صالح الزامل السليم، فأقام فيها عشرين يومًا، ثم بلغه أن ابن رشيد سار غازيًا نحو الجنوب، فخشي أن يحصل من اعتداء على بعض القرى، فسار في أثره فلما وصل الزلفى بلغه أن ابن رشيد نزل المجمعة، التي لم تزل موالية له، فتموّن منها، ورجع شمالاً فرحل ابن سعود ونزل مجمع البطنان، فاستأذن صالح الحسن بن مهنا بالرجوع إلى بريدة فأذن له، فرجع بنفسه وبقي أخوه مهنا أميرًا على الغزو مع ابن سعود، وكان نايف ابن هذال بن بصيص رئيس بريه من مطير نازلاً بموضع قريب من ابن سعود. وكان مواليًا لابن رشيد، فأراد أن يأخذه على غرة، فسار إليه وأغار عليه، وكان قد سبقه النذير، فانهزم وتبعه ابن سعود، وأخذ عليه بعض من الحلال، وتزبن ابن رشيد وانضم إليه كما انضم إليه قسم من قبيلة حرب كان قد استدعاهم.

أما ابن سعود فرجع ونزل النبقية بالمستوى، وانضم إليه قبيلة مطير يرأسها فيصل الدويش، فجاءه نجاب من الشيخ مبارك يحمل كتابًا كان عنوانه لابن سعود، والكتاب باسم عبد العزيز بن رشيد ويتضمن إمضاء

الصلح بينهما، ويقول فيه أنه كتب لابن مهنا يدعوه ليدخل في صلحهما، وكان كتاب ابن صباح لابن مهنا مع رسول مبارك، فأخذه منه وأشرف على ما فيه، فعلم حينئذٍ حقيقة الأمر، فكتم هذا الخبر.

وفي اليوم الثاني علم أن ابن رشيد أغار على ابن عشوان ومسمار، وهوامل معهم الجميع من مطير، وأخذهم على أم جريف موضع قريب من جراب جنوبًا عنه، وقد علم ابن رشيد أن قافلة مقبلة من الكويت لأهل القصيم، فأخذ يرصد لها، ولكنه أخطأها وأغار على العرب وأخذهم، ورجع وجاء الصريخ لابن سعود من القبيلة التي أخذها ابن رشيد يستنجدونه، وصادف أن قافلة إلى أهل القصيم نزلت عند بن سعود لاجئةً إليه خوفًا من ابن رشيد، فأخذ منهم بعض لزاد وبعض الجيش، وأخذ من رجال القافلة عددًا غير قليل، واستصفى من رجاله أهل ألف ذلول وأربعمائة خيال، وسار على أثر ابن رشيد ومعه مطير، فأسرى تلك الليلة واليوم الثاني.

وفي ليلة اليوم الثالثة ١٧ صفر سنة ١٣٢٤هـ: جاءت كشافية تخبره أن ابن رشيد نازل في روضة مهنا شمالي المستوى، ولم يكن بينهما إلاَّ مسافة أربع ساعات، فنزل في موضعه وترك الجيش والخيل، وأبقى عندها بعض رجاله، ومشى في بقية الجند مشاة، ومعهم بعض الخيل، فلما كان الساعة السابعة ليلاً، وإذا هم يطالعون مخيم ابن رشيد وقد أخذ خبرهم، فتهيأ للقتال وعبّي جنده وأرسل أولاده متحيًا ومشعلاً إلى موضع بعيد عن محل القتال، ومعهم بعض خدامهم، وقال: راقبوا الأمور من بعيد، فإن كانت لنا أرسلنا لكم وإلاَّ فانجوا بأنفسكم.

فلما كانت الساعة الثامنة ليلاً ليلة ١٨ من شهر صفر سنة ١٣٢٤هـ: هجم ابن سعود على ابن رشيد فتصادم الجيشان والتحم الفريقان واشتد وطيس القتال فتأخّر جيش ابن رشيد واحتل جند ابن سعود مراكزه، وزحف بعضهم إلى بعض واختلط الفريقان، وصار القتال بالسلاح الأبيض، فتجالدوا بالسيوف مدة ثم انهزم جيش ابن رشيد، وكان ابن رشيد راكبًا حصانه يدور في معسكره يحرضهم ويشجعهم، فجاء إلى موضع جيشه وكان قد احتله جيش ابن سعود ولم يعلم، فأخذ يحرضهم فعرفوه وصاح بعضهم على بعض ابن رشيد رأس الحيّة صوبت إليه البنادق فخرّ قتيلاً لوقته، وتمّت هزيمة جنده.

فأصبح ابن سعود في معسكر ابن رشيد واستولى على ما فيه وأرسل إلى جيشه وخيله التي تركها بموضع قريب منه، فجاءه ولم يتبع المنهزمين بل تركهم، وقد أسر من جند ابن رشيد نحو ستين رجلاً فأحسن إليهم وأطلقهم وجهزهم إلى بلادهم، وكان عدد القتلى في هذه الوقعة نحو الثلاثمئة من الطرفين.

متعب ابن عبد العزيز ابن رشيد

دخل متعب بن عبد العزيز الرشيد بلاده، ولم يحضر الوقعة وتلافى عليه فلول جنده، وبايعه أهله وشكر عمل ابن سعود في الأسرى، فقابله بالمثل وأطلق سراح من عنده من المسجونين من آل سعود، ومن آل سليم أهل عنيزة وهم عبد الله ومحمد أبناء زامل، وأما عبد الرحمن بن زامل فقد توفي في السجن قبل عام، وإبرهيم وسليمان ابني حمد البراهيم السليم، ومن عنده من عائلات آل سعود.

ابن سعود

أما ابن سعود فقد أرسل إلى مخيمه الذي تركه في مجمع البَطنان فجاءه ثم رحل ونزل بريدة.

وفي اليوم الثاني من ربيع الأول خرج من بريدة غازيًا وأغار على ناهس الذويبي من حرب وأخذه عند أبانات الجيلان المعروفان في القصيم، وقتل في هذه الوقعة يحيى الخالد السليم، وكان خرج مع ابن سعود رأسه، فقتله ابن ربيف من حرب صبرا ورجع ابن سعود، ونزل قصر ابن عقيل فأرسل إلى حسين ابن عساف أمير الرس يدعوه إلى الطاعة، فاستأمنه فأمنه، وخرج إليه هو وصالح ابن عذل فبايعاه، وأراد إرجاعهما إلى موضعهما، فاختارا الإقامة بخدمته، ثم عيّن صالح بن عبد العزيز أميرها السابق أميرًا في الرس، ورجع ونزل بريدة في ١٥ ربيع الأول ثم غزا وأغار على قبائل من حرب ومعهم بني عبد الله من مطير، وأخذهم على أبي متير، وفي غزوته هذه مر السبعان من قرى حائل ونهبوه ورجع إلى بريدة.

القبض على صالح الحسن ابن مهنا

كان ابن سعود ناقمًا على صالح بن حسن أمورًا كثيرة نجهل أسبابها. وسنورد جميع ما وقفنا عليه من المصادر التي استقينا منها، وكنت أنا يومئذٍ في عنيزة، ولكني صغير السن، ولا أقف على بواطن الأمور. وأما الإشاعات التي راجت يومئذٍ فلا يعتمد عليها، وإنما على طول الزمن أخذنا نبحث عن أسباب ذلك، فلم يقف على شيء يصح ترجيحه، وإنما أذكره كما تلقية على اختلاف في الرواية قليل.

أما كيفية القبض فإليك بيانه:

ففي اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني رتّب ابن سعود بعض الجنود بقيادة أحد آل سعود وأعطاهم التعليمات اللازمة، وأظهر أنه يريد أن يرسل عمالاً يستحصلون الزكاة من البوادي، فلم يسترب صالح الحسن في أمره، فأرسل بعض الجند إلى القصر بحجة تجهيز العمال، ثم تبعهم هو ومعه ثلة من الجند، فدخلوا القصر وأغلقوا أبوابه، وتفرّق الجند بالمواقع التي عيّنها لهم، وكان صالح بن مهنا وإخوته في القصر عدى سليمان الحسن، فإنه خارج القصر، ثم تقدم إلى صالح الحسن وإخوته فقبض عليهم وأرسل إلى ابن عمه محمد بن عبد الله المهنا، وأرسل إلى أعيان أهل بريدة، وأخبرهم بأعمال صالح وقبضه عليه، وأمرهم أن يبايعوا ابن عمه محمد العبد الله فبايعوه، وقد اضطرب عامة أهل بريدة لهذه المفاجأة، وكاد يحدث فتنة لولا أن أعيانهم ثبّطوهم، وقالوا: الأمر بين آل مهنا فيما بينهم فما هو مدخلكم في الأمر، ولم يقنعهم ذلك لأن صالحًا كان محبوبًا لديهم، ولكنهم لم يجدوا لهم رئيسًا يقودهم، وكان سليمان الحسن قد هرب إلى صدقي باشا في الشيحية.

فأرسل ابن سعود صالحًا الحسن وإخوته ليلاً إلى الرياض وحبسهم هناك، ووقع الأمر على أمراء عنيزة وقوع الصاعقة لأنهم خشوا على أنفسهم، واستغربوا هذا الأمر من ابن سعود بعد تلك العهود التي كانت بين ابن مهنا وابن سعود، وبين ابن سعود وآل سليم على يد الشيخ مبارك الصباح.

وفيما يظهر من حالة أهل عنيزة أمران: إما أنهم يجهلون أعمال ابن

مهنا التي اطلع عليها ابن سعود ولم يخبرهم عنها، أو أن الأمر حقيقة جرى باتفاق بين محمد المهنا وابن سعود، وهذه الإشاعات ضد صالح إنما هي تشويه لسمعته ليهون على الناس أمر القبض عليه.

أما أمراء عنيزة فقد تمكّنت من قلوبهم الوحشة خوفًا من أنْ يكون مصيرهم مصير ابن مهنا. بعد أن رتب ابن سعود أمور القصيم وإجلاء آل حسن من بريدة عاد إلى الرياض وكتب لأمير عنيزة عبد العزيز العبد الله وصالح الزامل يدعوهما لمواجهته خارج البلد، فازدادت ريبتهما من ابن سعود ولماذا لم يدخل البلد كعادته، ويفضي إليهما بما يريد، فترددا في إجابته ولكنهما أخيرًا أجابا طلبه وخرجا لمواجهته، ولكن أهل البلد لم يطمئنوا عليهما فخرج منهم جمع غفير متسللين مستعدين بسلاحهم فتفرقوا في أماكن متعددة قريبة من محل الاجتماع دون أنْ يظهروا للعيان.

فجاء ابن سعود في قلة من خدامه لأنه لم يدر بخلدة شيء مما ظنوا إنما جاء ليشرح لهم الأسباب التي أوجبت هذه الإجراءات مع صالح الحسن، لأنه يعلم صدقهم وإخلاصهم له، فسلموا عليه وجلسوا يتحدثون، فرأى الناس زمرًا هنا وهناك، وكان الوقت ليلاً، فقال ابن سعود من هؤلاء الناس المجتمعين، هل داخلكم الريب مني، قالا: نعم يا طويل العمر إنَّ دعوتك لنا في مثل هذا الوقت من الليل خارج البلد وبعد عملكم في صالح الحسن مع ما بينكم وبينه وبيننا على يد ابن صباح من العهود والمواثيق، جعلنا نرتاب، قال: أخطأتم في ظنكم فطريقكم غير طريق ابن مهنا، لأنكم وفّيتم بما بيني وبينكم وزيادة، وأما صالح الحسن فأنا ما جئت هنا إلاَّ لأبين لكم أعماله التي تعلمونها والتي خفيت عليكم، ثم أخذ يفيض بأعمال صالح ويشرح لهم موقفه مع المشير ومع

صدقي بعده، ثم موقفه مع ابن صباح في توسطه للتصالح بينه وبين ابن رشيد، وعرض عليهم جميع ما قام به صالح من الأعمال ضده بمستنداتها.

ثم قال أيضًا: قد احتملت كل هذا من صالح ولم أفكر في شيله، ولكن جاءني وجهاء أهل بريدة وأعيانهم ومحمد العبد الله المهنا وشكوا إليّ أعمال صالح فيهم وجراءته على أموالهم لسد نفقاته، وتدخلوا علي إما تشيل صالح عنّا فحنّا نترك بريدة له، وأنتم تعلمون أني في حاجة إليهم اليوم، وخشيت إذا لم أوافقهم يتنقضون، وأنتم تعرفون أحوال أهل بريدة، فأنا ما أقدمت على ما أقدمت عليه إلاّ مراعاة للمصلحة العامة، لأننا غير آمنين منه بوجود هذا العسكر مع ما تقدم بينه وبينهم، فالآن هذا ما جئت لأبيّنه لكم، وها أنا راجع إلى الرياض، وقبل ذلك يجب أن نزيل هذه الوحشة بعهد جديد فقاموا فعاهدوه عهدًا وثيقًا أنهم لا يحولون عما بينهم وبينه من العهود السابقة، وأكد ذلك هو لهم وركب راجعًا إلى الرياض.

الأسباب التي غيّرت خاطر ابن سعود على ابن مهنا وأوجبت القبض عليه

حرصتُ كل الحرص لتحقيق الأسباب، وأكثرت من سؤالات الرجال الذين أظن فيهم الاطّلاع على مثل هذه الأمور، فلم أجد في القصيم كله من يؤيد التهم الموجهة إلى ابن مهنا كموالاته العسكر أو الميل إلى الصلح مع ابن رشيد، وينفون ذلك نفيًا باتًا، ويقولون لو كان عمل شيء من ذلك لأخذ حذره من ابن سعود واحتاط لنفسه ولو سرًا، ولكن غفلته وانقياده وجعله القصر بما فيه تحت تصرف ابن سعود ورجاله أي

وقت شاءوا ليلاً أو نهارًا يدل على أن ضميره مرتاح، ونفسه مطمئنة لما بينه وبين ابن سعود من العهود، وأنه لم يأتِ ما ينقضها، هذا عذرهم ودفاعهم عن ابن مهنا.

سامي باشا الفاروقي

كانت حكومة الترك نائمة على صدقي باشا وخطته، ولا حرب ولا سلم ولا مفاوضات، فأرسلت سامي باشا الفاروقي الذي كان يومئذٍ في المدينة إلى حائل للمفاوضة مع ابن رشيد، فاجتمع ومتعب في سميراء الماء المعروف قرب حائل، فاتفق وإياه أن يكون القصيم في حوزة الدولة، فوافق على ذلك، ثم رحل الفاروقي إلى القصيم ليفاوض الفريق الثاني الذي قد ظن أنه كالفريق الأول، فلما وصل الشيحية في أواخر جمادى الأولى عزل صدقي باشا، وتولى قيادة الجيش، وأرسل إلى ابن سعود يطلب مقابلته للمفاوضة، فوافاه إلى البكيرية القرية المعروفة في ناحية القصيم، فكان الاجتماع بين مخيم أهل عنيزة والبلد بالركن الجنوبي الغربي منها في خيمة أعدت خصيصًا لذلك، فاستمرت المفاوضة نحو ساعتين، فلم يحصل نتيجة لأن سامي باشا ذو نزعة عسكرية، وكأنه أراد أن يملي إرادته على ابن سعود وأهل القصيم، ويجبرهم على قبولها معتزًا بقوته جاهلاً مركزه، فلو تأمل حالته التي هو فيها ومركزه، وأنه في وسط صحراء بعيد عن العمران، وفي وسط بلاد معادية وهو في قلة من الجند، لو تأمل ذلك لما غالى في مطالبه.

وقد أخطأ من قال أنه من أكبر رجال الدولة وساستها، فلو كان كذلك لجرى في مفاوضته غير مجراه، أما طلبه أنْ يكون القصيم تابعًا

للدولة فهذا قد قاله من قبله في جميع المفاوضات التي تقدمته ولكن سامي باشا قال غير ذلك، قال: بأن الأوامر التي لديه تخوله أن يبني قصرين في عنيزة وبريدة، ويجعل في كل منهما طابور عسكر ولما اعترض ابن سعود وأهل القصيم على ذلك قال: إنكم تجهلون صالحكم، وتتوهمون حقوقًا ليست لكم وما جئنا لنسترضيكم، أو نأخذ رأيكم، وإنما جئنا لنعلمكم الطاعة والإخلاص للدولة العلية.

عندئذٍ احتدم ابن سعود غيظًا وقال: إني آسف أن الدولة توكل أمورها إلى مثلك ما كان العرب يا سامي ليطيعون صاغرين، وأقسم بالله لولا أنك ضيف عندنا لما تركتك تقوم من مكانك، فانفض للاجتماع، وقام ابن سعود وخرج وهو لا يكاد يميز طريقه من الغضب، وخرج سامي باشا ومعه أربعة من ضباط العسكر ورجعوا إلى معسكرهم في الشيحية على مسافة ساعتين من البكيرية.

ركب ابن سعود ومن معه من إخوته وأبناء عمه على خيلهم واستعرضوا الجند، فبدأ بمخيم أهل عنيزة وهو الذي يليه غربي البلد، فاصطفوا صفين وأخذ ابن سعود ومن معه يقبلون ويدبرون على خيلهم بين صفي الجند يستحثونهم ويحرضونهم والجند يجاوبه بالتلبية بحماسة شديدة، وكنت أنا يومئذٍ مع من خرج من الغزو وأخذ على هذا الحال نحو نصف ساعة، ثم قصد مخيم أهل بريدة شمالي البلد وفعل مثل ذلك ولم يكن معه يومئذٍ غير أهل القصيم.

وفي الحال أرسل إلى بريدة وعنيزة يطلب زيادة رجال وأكد عليهم بالسرعة، وأرسل سامي باشا بعد وصوله إلى الشيحية ذياب أبو بكر إلى

ابن سعود يعرض عليه على لسان سامي باشا أن يقبل عشرين ألف ليرة تدفعها لك الدولة مقابل اعترافك بسيادتها على القصيم، فجنَّ جنون ابن سعود، وأراد أن يفتك بذياب، وقال: أتتجاسر يا خبيث أن تنقل إلي مثل هذا الكلام، فطار صواب ذياب ولُبّه، فركب ذلوله هاربًا وهو لا يصدق بالنجاة، عندئذٍ أرسل ابن سعود ثلاثة من رجاله إلى سامي باشا ينبئه أنه هاجم عليه في اليوم الثاني بعد صلاة الفجر، وما كان جادًا فيما يقول، ولكنها كما يقول الريحاني تهويلة أتت بالفائدة.

وما أظن ابن سعود يحاول الهجوم على العسكر لأن عددهم يفوق عدد من معه ثلاثة أضعاف، وعندهم من الاستعداد الحربي ما ليس عنده، ثم إنهم بمدة إقامتهم الطويلة قد حصَّنوا قصور الشيحية وأحكموها وسكنوها فهم داخل قصور حصينة، وفيها من العدد والعُدَّة ما يصدّ عنها أكبر قوة، ولكن سامي باشا أدرك ما كان يجهل، وبدأ ينظر الأمور بعقله فرأى أنه في منقطع من العمران وبعيد عن المصادر التي يستمد منها قواته وأقواته، فأدرك خطأه في ما بدا منه من المطالب.

فأرسل إلى ابن سعود ثلاثة من ضباطه يسترضونه، ويقولون: إن سامي باشا ومن معه من العسكر ضيوف عليكم، وكان ابن سعود قد رحل من البكيرية فنزل طرف المليدا من الغرب، فوافته الرسل هناك فأجابهم وطمَّن خواطرهم ورجع إلى بريدة، ثم رحل منها وعاد إلى الرياض، وكان ذلك في شهر جمادى الثاني.

وأخلد سامي باشا إلى السكوت الظاهري ولكنه بدأ يدسّ الدسائس ويحرك سليمان الحسن المهنا الذي كان عندهم منذ أن قبض ابن سعود

على أخيه صالح، فارتبط مع سامي باشا على أن يهجم على محمد العبـد الله المهنـا أميـر بـريدة ويقبـض القصـر على أن يرتحل سامي باشا وينزل البصر، قرية تبعد عن بريدة ساعتين ليؤيده ويشد أزره، فيما لو قام أهل البلد ضده، فكتب سليمان إلى بعض أشخاص في بريدة يثق بهم، وفيهم عمه عبد الرحمن بن مهنا فأجابوه إلى مساعدته، وأمروه أن يقدم إليهم.

وفعلاً دخل سليمان إلى البلد سرًّا واجتمع بحزبه، وتقرر عزم هذه العصبة على أنَّ عبد الرحمن المهنا يستدعي ابن أخيه محمد الأمير على القهوة كجاري العادة، ثم يفتكون به فنمي الخبر إلى الأمير محمد بن عبد الله بهذه المؤامرة وأسماء المؤتمرين فأخذ حذره واعتذر عن إجابة دعوة عمه، ولم يبد لهم أنه عالم بما أرادوا، فلما أصبح أمر على أهل البلاد أن يعرضوا ليستعرض قواتهم، وهي عادةً في نجد يعمليا أهل البلد عند توقع أي حادث، فلما تكاملوا أخذ الأمير بقبض على أفراد المؤتمرين وسجنهم ما عدى عبد الرحمن المهنا وسليمان الحسن، فإنهما أحسّا بالأمر وانهزما إلى المعسكر قبل أن يتمكن من القبض عليهما.

استجوب المسجونين فأنكروا وكان فيهم أحد أولاد الربدي من أعيان أهل بريدة فجاءه وجهاء البلد يتشفعون بالعفو عن المسجونين، وكان قد رفع الأمر إلى ابن سعود وأخبره بعملهم فأجابهم: إني قد رفعت الأمر إلى ابن سعود والأمر إليه فركب وفد من الأعيان إلى ابن سعود وطلبوا منه العفو عن المسجونين فأجاب طلبهم، وكتب إلى محمد بن عبد الله يأمره بإطلاق سراحهم فأطلقهم.

مقاطعة أهل القصيم العسكر

بعدما جرت هذه الحادثة علم أهل القصيم أنَّ سامي باشا هو المحرك لها، فكتب أمير بريدة بالتضامن مع ابن سليم أمير عنيزة إلى سامي باشا يلفتون عليه بقصة ما حدث، فكتب إليهم يقول: إنه لا علم له بهذه الحركة، فكتبوا إليه ثانيًا إنْ كان الأمر كما تقول فانفي من عندك من آل مهنا وأبعدهم، وإلاَّ فنحن نلقي تبعة ما يحدث عليك، لأن وجودهم عندك موجب للريبة، فكبر على سامي باشا أن يخاطبوه بمثل هذا الجواب ولم يجاوبهم، فقويت الشبهة عليه عند أهل القصيم، فقرروا مقاطعته ومنعه من الامتيار من القصيم، وكتبوا إلى ابن سعود يقولون: إن بقاء العسكر بهذا الموضع مما يلي ابن رشيد أمر ما هو صلاح، ولا ترتاح نفوسنا إليه، لأننا غير آمنين من دسائسهم، فهم الآن صائرون مركزًا للدسائس، فهذا سليمان الحسن وعبد الرحمن المهنا بعد عملها في بريدة رجعا إلى سامي باشا.

متعب بن عبد العزيز الرشيد

تقدم الكلام أنه دخل حايل بعد الوقعة وبايعه أهل حايل وشمر بعد أبيه، وأطلق سراح المسجونين في حايل من آل سعود، وآل سليم كما تقدم، وكان راغبًا في السلم لأنه خشي أنْ يعاجله ابن سعود فيقضي عليه قبل أن يلم شعثه، ولكن ابن سعود لديه من المشاكل ما يصده عن ذلك.

أرسل متعب إلى ابن سعود يطلب الصلح فأجابه إلى ذلك على أن شمر وحايل وتوابعها لابن رشيد، وما عدى ذلك فهو لابن سعود فقبله وتم الصلح بينهما، فبقي مرعيًا مدة حكم متعب.

رجوعًا إلى تتمة الحوادث:

ذكرنا مقاطعة أهل القصيم إلى العسكر، وكان أحد تجار عنيزة قد التزم إحضار ما يلزمهم من الطعام شهريًا بقيمة معلومة، وكانوا يأتون على رأس كل شهر ويقبضون ذلك ويسلمون ثمنه، ولكن إمارة عنيزة منعت هذا التاجر من معاملتهم بعد الحوادث التي جرت، فتوسل سامي باشا بكل وسيلة فلم ينجح، لأن الشبهة قد تمكنت من نفوسهم وساءت ظنونهم بنواياه، فصاروا يراقبون حركاته وأحاطوه بجواسيس يحصون عليه أعماله على الخصوص! ابن مهنا أمير بريدة، لأن الخوف عليه أكثر بسبب وجود سليمان الحسن عند العسكر الذي هو خصمه.

أرسل سامي باشا بعض الضباط ومعهم خدام إلى عنيزة في أول شهر رجب يريد الامتيار للعسكر من بريدة ومن عنيزة، ولكنهم ردوه محتجين أنَّ البلاد خالية من الطعام وليس فيها ما يكفي أهليها، فتضايق سامي باشا وخشي أنْ يهلك وعسكره جوعًا بوسط هذه الصحراء القاحلة، فكرر محاولته وأرسل ضابطًا من ضباطه إلى عنيزة ومعه خمسمائة ليرة ومائة وخمسين جندي، فدخل الضابط عنيزة بعد الظهر وترك الجند بموضع يبعد عن البلد نحو نصف ساعة.

بلاغ كاذب

واجه الأمير وطلب منه السماح لهم بأن يمتاروا من البلد فأجابه الأمير أني لم أمنعكم إلاَّ لأن البلد خالية من الطعام والسعر الموجود أكبر شاهد على ما أقول، قال الضابط: نحن لا نبالي بالزيادة، أجابه الأمير إذا لم تبالي فنحن الذي نبالي فلسنا في العراق، فهذي نجد زراعتها لا تقوم

بحاجة أهلها، وهذا المبلغ الذي أتيت لتشتري به هو مقابل لنصف قيمة حاصلات زراعتنا السنوية، فكيف تكون الحالة بعد أنْ تقضوا لإزمكم وتتركوا البلد خالية وموسم الزراعة بعيد.

فبينما هم في هذه المحاورة إذْ ورد كتاب من محمد العبد الله بن مهنا أمير بريدة يقول: إنه قد جاءه إحدى خدامه الذين قد جعلهم في الشيحية يخبره أنّ العسكر عندهم حركة استعداد، وأنه أخذ خبر أنهم قد قرروا الهجوم ليلة النصف من رجب.

إما على بريدة وإلا على عنيزة فأنتم كونوا على حذر وموعدهم الليلة، فإن صار الهجوم عليكم أرسلوا لنا نمدكم، وإن صار الهجوم علينا أرسلنا لكم تمدوننا، وكان هذا البلاغ كاذبًا، ولكن صادف وصول هذا الخبر بالوقت الذي كان فيه الضابط يطلب من الأمير الإذن لدخول العسكر إلى البلاد لأجل الميرة، فقويت الريبة في نفس أهل البلاد وزادها قوة، أن القوة التي مع الضابط بهذه الدفعة مضاعفة ثلاثة أضعاف عما هي عليه بالدفعات التي قبلها، فإذا أضفنا هذه القوة إلى القوة التي في البلاد التي قد تضاعفت هي أيضًا صار المجموع قوة لا يستهان بها.

أوجدت رسالة ابن مهنا إرجافات وشوائع أكبر من الحقيقة، فخرج خفيف الناس الذين لا يتقيدون بأمر حاكم، ولا أمير وتبعهم سواقط من أهل البادية التي لا معاش لديهم إلاّ من السلب والنهب، وذلك بدون علم من الأمير.

فأخذوا يشاغبون على العسكر فيأخذون ما وصلت إليه أيديهم من السلاح بدون قتال، إذ لا سلاح مع المشاغبين، وإنما يستغفلونهم، بحيث

صاروا قسمين، قسم يشاغب العسكر ليشغلهم، وقسم يغير فيأخذ ما تصل إليه أيديهم، فلما كان بعد العصر رأى العسكر أنَّ اللصوص تتكاثر عليهم، ولم يستطيعوا أن يستعملوا السلاح خوفًا من العواقب، فسار العسكر قاصدًا البلاد ليحتمي بها.

هذا والأمير وأهل البلد لم يعلموا بما حدث فما راعهم إلاّ والعسكر مندفع نحو البلد بسرعة، فرابهم الأمر؛ سيما وقد تكهرب الجو من الإشاعات السالف ذكرها، فجاء المستصرخ يقول: إن العسكر أقبلوا وسيهاجمون البلد فظهر أهل البلد والأمير بسلاحهم خارج البلد يستكشفون الخبر، وأرسل الأمير إلى رئيس القوة العسكرية التي داخل البلد فأمره بمخابرة العسكر فخابرهم بواسطة البرزان فجاوبوه أنهم إنما جاؤوا مستأمنين، فأوقفهم بمكانهم، وأرسل لهم قوة تحوطهم وتدافع عنهم، فدخل أهل البلد ودخل العسكر بعدهم، وانضموا إلى العسكر الذي في البلد فكساهم الأمير وأخذ يتتبع ما فقد من سلاحهم، فأرجع إليهم ما وجده.

وباليوم التالي أمرهم بالرجوع إلى الشبحية، فلما وصلوا إليها قام سامي باشا يرغي ويزبد ويتهدد ويتوعد أهل عنيزة وأميرها، فكتب أهل القصيم إلى ابن سعود بخبر العسكر وما كاد أنْ يحدث من الفتنة من جراء أعمالهم، وأنهم لا راحة لهم والعسكر بهذا الموضع.

أما سامي باشا فإنه قد تأثر مما حدث، وتوتَّرت العلائق بينه وبين أهل القصيم، فأخذ يفاوض متعب بن رشيد نكاية بأهل القصيم من جهة، واضطرارًا للأطعمة من جهة ثانية، لأن القصيم أوصدت أبوابها دونه،

فتقرر الأمر بينه وبين ابن رشيد أنْ يرسل له رحلة يرحل عليها العسكر إلى بلاد ابن رشيد إلى أنْ تأتيه الأوامر من الدولة، إما بتعزيز قوته أو الانسحاب من نجد، وقدّم تقريرًا عن حالة القصيم وحوادثه، والحالة الراهنة التي هو فيها، وأرسل البريد من طريق المدينة فصادفه غزو من عتيبة وأخذوه، فعلم ابن سعود وأرسل من يسترجعه ممن أخذه، فجاؤوا به على ختمه، فأرسله ابن سعود إلى سامي باشا، فصار له أحسن وقع في نفسه وشكر ابن سعود عمله.

ترحيل العسكر من نجد
إلى المدينة وإلى العراق

بلغ ابن سعود مفاوضة سامي باشا ابن رشيد، فخشي من انضمام العسكر إلى ابن رشيد، فخرج من بلاده ومعه غزو إلى الرياض وأهل الجنوب، وأغار على مطير وأخذهم على الأسياح، ونزل عنيزة في العاشر من شعبان، وكان ابن رشيد قد خرج من بلاده غازيًا، وأغار على هتيم فسبقه النذير إليهم فامتنعوا عليه، ورجع عنهم ونزل سميرًا، وأرسل إلى سامي باشا ستمائة جمل لأجل ترحيل العسكر، فلما قاربوا الوصول إليه بلغهم أن ابن سعود وأهل القصيم نزلوا البكيرية يريدون العسكر، ولم يكن الخبر صحيحًا، ولكنهم تخوّفوا ورجعوا قبل أن يصلوا العسكر.

ركب ابن سعود إلى بريدة وجمع وجهاء وأعيان بريدة وأميرها وأمير عنيزة وجماعته، وراجعهم في خصوص العسكر وما يجب عمله معهم، فقرروا وجوب إبعادهم عن نجد إما بطريق المفاوضة أو بالقوة إن أحوج الأمر إلى ذلك.

فلما كان في آخر يوم من شعبان خرج أهل القصيم ومعهم ابن سعود وحاشيته فقط، وأما جنوده فقد رجعوا إلى الرياض، فنزل البكيرية، القرية التي صار فيها المؤتمر الأول في جمادى الثاني، فأرسل حرّاسًا أحاطوا بمنزل العسكر بحيث لا يشعرون بهم، وأمرهم أن يمنعوا أي اتصال يكون بين العسكر وغيرهم، وأرسل إلى سامي باشا يخبره بين أمرين، إما أن يرتحل من موضعه هذا وينزل السر جنوبي القصيم ليقطع الصلة بينه وبين ابن رشيد، وإما أن يرحل ابن سعود العساكر من نجد فيرسل الجنود العراقية إلى العراق والجنود الشامية إلى المدينة. وإذا رفض كلا الأمرين فهو يلقي عليه تبعة ما سيحدث، وكان الجنود والضبّاط قد سئموا الحالة، فأجبروا سامي باشا على قبول ترحيل العساكر، وقيل إنهم تهددوه فيما لو رفض، فأذعن سامي باشا مكرهًا، ووافق على الشرط الثاني على أن يضمن ابن سعود سلامتهم وسلامة معداتهم في الطريق.

فأجابهم إلى ذلك على شرط اشترطه هو أيضًا، وهو أن يحتفظ بالجنود العراقية إلى أن يصل خبر سامي باشا ومن معه إلى المدينة خوفًا من أن ينضم إلى ابن رشيد لما يعلمه من ميوله ونواياه، وقد صارحه ابن سعود بذلك، ثم دعا ابن سعود شيوخ حرب وقال: أنتم الذين حملتم العسكر من المدينة إلى نجد، فعليكم أن ترجعوهم إلى المكان الذي أتيتم بهم منه.

رحل سامي باشا (١٥) رمضان ومن معه من عسكر الشام إلى المدينة بعد أن امتاروا من البكيرية واستبقى شيوخ حرب عنده رهينة إلى أن يصل العسكر إلى المدينة، وبعد أسبوعين جاء الخبر بوصول سامي باشا إلى الحناكية، فأطلق مشايخ حرب.

وأما عسكر العراق فقد رحلهم من موضعهم ونزلوا الشماس قرية قرب بريدة، فلما وصل سامي باشا إلى المدينة أمر بتجهيز عسكر العراق الذي تحت رئاسة ميرالاي بسيم بك، فرحلوا إلى العراق في الثالث عشر من شوال من هذه السنة، وفارقوا نجد إلى الأبد إنشاء الله، ولم يبق منهم حتى الذين في البلدان أخرجوهم وسيَّروهم مع عسكر العراق، ثم رجع ابن سعود إلى الرياض وكتب إلى والي ولاية البصرة وقومندان العسكر يخبرهم بإجراءاته بترحيل العسكر، وما بذله من الوسائل لتأمينهم وتأمين راحتهم، والظاهر أنّ سامي باشا قد كتب بحق ابن سعود كلام جميل.

شكر الحكومة العثمانية لابن سعود

وفي شهر الحج ورد تلغراف من العابين موجب إرادة شاهانية للأمير ابن سعود، يتضمن شكر الحكومة عمله مع العسكر وتأمين راحتهم، وتحثّه على تأمين الطرق وإصلاح العشائر، وتطلب أن يرسل ابن سعود أحد إخوانه أو من يعتمد عليه على نفقة الحكومة إلى دار الخلافة العظمى ليحظى بالمثول لدى أمير المؤمنين وتعطّفاته، والتلغراف مطوّل لم نقف على كامل عبارته، وورد التلغراف عن يد أحمد عزو باشا وهذا سلمه إلى يوسف باشا المنديل معتمد ابن سعود، فأرسله إليه مع ولد الأحيدب في ٦ محرم سنة ١٣٢٥هـ، وفي ١٢ محرم ورد تلغراف ثاني من المقامات العالية في الآستانة إلى أمير الأمراء وشيخ مشايخ عشائر الأقطار النجدية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، تشكره على خدماته التي قدمها للعساكر الشاهانية، وإخلاصه لسدة الخلافة العظمى، ويطلبون منه أن يقدم مطالبه ويستحثونه على سرعة إرسال وفد يمثله لدى أمير المؤمنين ليحظى بتعطّفاته.

فأسل هذا التلغراف إلى يوسف باشا المنديل، وهذا أرسله إلى ابن سعود، وكذلك صدر كتبًا من والي ولاية البصرة، ومن الفريق عزو باشا وصدقي باشا إلى ابن سعود يهنّئونه بتعطّفات أمير المؤمنين، ويشيرون عليه بالحضور شخصيًا إلى نواحي البصرة لعرض مطلبه ورفع واجب الإخلاص للذات الشاهانية لقطع ألسنة المفترين والمفسدين، وكذلك مبارك الصباح وسعدون حسّنا له الحضور إلى أطراف البصرة والاجتماع بوالي البصرة.

أما ابن سعود فلم يعد يبالي في الدولة بعد ذهاب ابن رشيد وتشتيت أمره، سيّما بعد قتل أولاد عبد العزيز واختلاف الرشيد، وإنما لا يرى بأسًا من المجاملة، جاوب على تلغرافات العابين بما يقتضيه الواجب، وكتب إلى الوالي وعزة[1] باشا وصدقي باشا بما يقتضيه المقام وشكرهم، وأرسل وفدًا يمثله إلى دار الخلافة رئيسه صالح بن عذل، فنال من عطف الحكومة فوق المأمول ومنحتهم الألقاب والنياشين، فرجع صالح بن عذل يحمل وسام الباشوية، فصار يُدعى صالح باشا العذل.

أما سبب تغيُّر سياسة الحكومة مع ابن سعود فلم يكن خدماته للعسكر وتأمينهم فقط وإنما كثرة الجرايم في بيت آل الرشيد جعلها تنفض يدها منهم، وتتقرَّب من ابن سعود.

قتل أولاد عبد العزيز المتعب

تقدَّم الكلام على ولاية متعب ابن رشيد بعد أبيه، وذكرنا ما كان من ركونه إلى السلم وانعقاد الصلح بينه وبين ابن سعود، وسكنت الأمور وجرت المواصلة التجارية بين رعايا ابن سعود، (وسكنت الأمور وجرت المواصلة التجارية بين رعايا ابن سعود)[2] ورعايا ابن رشيد.

(١) ذكرناه في الصفحة باسم عزو باشا ٤٥١

(٢) ما بين القوسين مكرر

ولكن أولاد حمّود العبيد الرشيد أخذوا يطمحون بأنظارهم إلى الحكم ويرون أنفسهم أحق فيه، وكبر عليهم أن يذعنوا إلى متعب، ولكنهم لم يتظاهروا وكأن متعب أحسّ بما في نفوسهم، فأخذ يعمل للتضييق عليهم سرًّا.

ضاق ذرع كبيرهم سلطان بن حمود العبيد، فذهب إلى الآستانة يتقرّب إلى السلطان، ولكن الأمير متعبًا كتب يخبر الدولة عن أعمال سلطان ومفاسده، فأعرضت عن سماع كلامه فرجع إلى الشام، وبلغ متعبًا رجوعه إلى الشام، فالتمس من الدولة اعتقاله، فصدر الأمر لناظم باشا واليها يومئذٍ بالقبض عليه، فجاء من أنذر سلطانًا في الحال ففرَّ من دمشق إلى جبل الدروز، وأول قرية وصل إليها الصورة الكبرى قرية ابن ظهر الدين من مشايخ الدروز، وهي من وادي اللوخي على مسافة سبع ساعات من دمشق، فأسرع ناظم باشا بإرسال خيل في أثر سلطان فلم تدركه إلاّ في الصورة في منزل ابن ظهر الدين، وكان هذا لا يعرف أنّ ضيفه سلطان بن رشيد، فلما علم بذلك طرد خيالة الدولة، واجتمع الدروز حول سلطان وساروا به إلى قرية شهبا، فنزل عند شيخها أبي طلال العامري، ومن هناك ذهبوا به إلى المقرف القبلي عند مصطفى باشا الأطرش شيخ ذلك المقرف، فأقام بضيافة مصطفى باشا نحو شهر، ثم رغب أن يعود إلى نجد فزوّدوه بما يلزمه، وأرسل معه رفاقًا يرأسهم الشيخ العبسي رتعات بن ماضي حتى وصلوا به إلى نجد.

رجع إلى حايل دون أن يظهر عليه أنه عالم بما كتب عنه متعب إلى الدولة، فأسرّها في نفسه وحقدها عليه، واختمرت رأسه فكرة الانتقام وحب الاستئثار، فأقر وأخويه على قتل أولاد عبد العزيز والقيام مقامهم،

فراق لهم الأمر ووافقوه وأخذوا يدبرون أمرهم ويعملون الوسائل، فأخذوا يتملقون الأمير ويترددون إليه ويتقرّبون منه ليزيلوا عنه أثر الوحشة منهم، فركن إليهم.

وفي يوم من أيام الربيع اقترحوا على الأمير متعب الخروج إلى الصيد للأنس والانشراح، فخرجوا في اليوم العشرين من شهر ذي القعدة من هذه السنة أولاد عبد العزيز: متعب، ومشعل، ومحمد. وأولاد حمود ثلاثة: سلطان، وفيصل، وسعود. وأتباع كل منهم، ساروا يطلبون الصيد فكان في طريقهم جبل من الجبال، فأشار أولاد حمود على الأمير متعب أن يتركوا المسير مع الحملة والخدام، ويسيروا على حدتهم من الجانب الثاني لئلا ينفروا الصيد، عطف الأمير وإخوته وأولاد حمود من يسار الجبل وتركوا الجملة تسير من الجانب الثاني ليلتقوا بها عند نهايته، وحال الجبل بينهم وبين خوياهم فتأخر أولاد حمود قليلاً وصار كل واحد منهم يمشي خلف واحد من أولاد عبد العزيز، ثم حمل كل واحد منهم على واحد من أولاد عبد العزيز وقتلوهم، أما متعب ومشعل فقد ماتا في الحال، وأما محمد فكان صوابه غير مميت ولكنه تظاهر بالموت خوفاً أن يجهزوا عليه، وكان معهم طلال بن نايف فقتلوه، وبالحال رجعوا إلى خوياهم وأخبروهم بالأمر، وقالوا: من أراد العافية يلزم السكوت فلم يعترضهم أحد وسلموا الأمر، رجعوا بالحال إلى حايل واستولوا على القصر بما فيه وعلى جميع ما كان لآل عبد الله.

أما ولد عبد العزيز محمد الذي قلنا أنه لم يمت فقد حمله أحد خدامهم وأدخله عند جده حمود العبيد، فعلم أولاد حمود بذلك فدخلوا عليه وهو عند أمه التي هي أختهم وأرادوا أخذه منها، فتدخلت عليهم

وحالت بينهم وبينه وهي تناشدهم الله والأخوة أن يتركوه لها بعد أن فجعوها بإخوته، فلم تجد الرحمة إلى قلوبهم سبيلاً ولم يلتفتوا إلى توسّلاتها، فسحبوه من بين يديها وقتلوه على مرأى منها، ومن والدهم، فكان مشهدًا مريعًا مخيفًا تمثّلت فيه القسوة والوحشية بكامل معانيها. وأجلى مظاهرها نسأل الله الحماية من موجبات سخطه.

أما ولد عبد العزيز الرابع سعود بن عبد العزيز، فقد كان عند أخواله السبهان فمنعوه، وقالوا: هذا طفل لم يبلغ العاشرة من عمره، ولا محاذرة عليكم منه ونحن نكفله أي وقت تريدونه نسلمه لكم، فتركوه خوفًا من شقاق يحدث بينهم وبين السبهان.

سكنت الزوبعة واستقر الأمر إلى سلطان الحمود، كتب إلى ابن سعود يخبره بالأمر ويطلب منه تقرير الصلح، ولم يكن راغبًا فيه إنما يريد اكتساب الوقت يدل على ذلك ما كتبه في الوقت نفسه إلى أمراء القصيم، وإلى رؤساء البوادي يخطب ودّهم ويستنصرهم، فأرسل الأمراء والرؤساء الكتب التي جاءتهم من سلطان إلى ابن سعود فاستشاط غضبًا وهمّ بطرد رسول سلطان لأنه رأى في الكتب التي كتبها لغيره ما ينافي رغبته، ولكن والده الإمام عبد الرحمن أشار عليه بقبول ما جاء من أجله، فجاوبه ابن سعود وأعطاه ما أعطى سلفه على حايل وتوابعها وشمر ولم يقبل سلطانًا بذلك لأنه آنس ميل من بعض أهل القصيم إلى مخالفته، وبلغه مساعي فيصل الدويش ونايف بن بصيص وإغراؤهما ابن مهنا على الخروج عن طاعة ابن سعود، وأوعدوه بمساعدتهما وشدهما أزره، ولكن ابن مهنا بقي متذبذبًا ولم يتظاهر بشيء ضد ابن سعود على أنّ ذلك أبقى أثرًا في نفسه وأذكاه وزيّنه محمد العوني الشاعر المشهور.

خرج ابن رشيد ونزل مع شمر في أول شهر الحج، ثم سار غازيًا وأغار على العواجي من عنزة وأخذه، فلما بلغ الأمر ابن سعود خرج من الرياض ونزل (المعز) غدير قرب الشقة في القصيم، ثم رحل وقصد شمر فانتذروا به وشردوا، فرجع ابن سعود ونزل مع مطير في الأسياح ودخل هو بنفسه بريدة.

عدى ابن رشيد وقصد مطير في الأسياح فقبضوا على بعض عيونه ورجع الآخرون وأبلغوا سلطانًا أن ابن سعود مع مطير، فرجع عنهم إلى بلاده.

أمّر ابن سعود على أهل القصيم فخرجوا معه، وشدّ فنزل العاقلي، الموضع المعروف في القصيم، فما كان من ابن رشيد إلاّ أنْ أغار على أطراف القصيم من الشمال، وأخذ بعض أدباش لأهل الشيحية، فأطلبه ابن سعود ولكنه فاته، فأرسل ابن سعود إلى أهل الرشم وأهل سدير يطلب غزوهم فجاؤوه، ثم رحل قاصدًا أطراف ابن رشيد، فلما وصل العمون بلغه أن ابن رشيد نزل العدوة وشمر انتذروا وزبّنوا (سلمى) أحد الجبلين المشهورين.

وفاة الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم
قاضي القصيم

وفي هذه السنة توفي الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، قاضي القصيم في بريدة، وكانت وفاته في شهر ذي القعدة رحمه الله.

وفي شهر شوّال من هذه السنة استعفى الشيخ إبراهيم بن جاسر عن قضاء عنيزة، فأُعفي وبقت البلد نحو شهرين ليس فيها قاضي، ثم ألزموا

الشيخ صالح بن عثمان القاضي في منصب القضاء بعد أن كاد لا يجيب، وعيّن الإمام عبد العزيز الشيخ صالح القرناس قاضيًا في بريدة.

١٣٢٥هـ

بوادر الخلاف بين أهل بريدة وابن سعود

تقدمت الإشارة إلى مساعي فيصل الدويش ونايف بن بصيص وإغرائهما ابن مهنا بمساعدتهما له إذا هو خرج عن طاعة ابن سعود، وقلنا: إنه لم يبت في الأمر بالرغم من لحاح وزيره محمد العوني، الشاعر المعروف، وكان أهل بريدة أو أكثرهم ناقمين على ابن سعود عمله في صالح الحسن وجارحة خواطرهم جدًّا، فلما حصلت المساعي المذكورة ضد ابن سعود انقسم أهل بريدة قسمين:

الأول: الذين يفضّلون بقاء الحالة الحاضرة على ما هي عليه محتجّين أنّ خروجهم على ابن سعود غير مشروع وأنه يثير فتنًا ليست من مصالحهم.

والفريق الثاني: يؤيد محمد العبد الله ويرى رأيه في الخروج على ابن سعود ومحالفة ابن رشيد والاتفاق معه.

وحجة هؤلاء أنّ مصالحهم مرتبطة مع ابن رشيد وشمر وباديته، لأن ليس لهم تجارة إلا ما يصدّرونه إلى سوريا من الإبل والغنم والسمن، وليس لهم طريق إلا من بلاد ابن رشيد وعشائره.

الوجه الثاني: أنّ لهم مع شمر خاصة روابط ومنافع متبادلة مع أهل بريدة وقراها عامة، وأنه قد انقطعت مصالحهم وتوقفت تجارتهم وحصل لهم أضرار من ذلك جسيمة بسبب وقوف التجارة مدة الأربع السنوات

الماضية، وذهبت رؤوس أموالهم من كثرة الضرائب التي توضع عليهم أثناء الحرب التي استمرت نحو أربع سنين، وكان ابن مهنا الأمير ضعيف الإرادة وليس هو على شيء من الدهاء وقوة الإرادة، فتغلّب عليه أهل هذا الرأي وحملوه على مفاوضة ابن رشيد، فكتب له بهذا الخصوص بالوقت الذي كان ابن سعود غازيًا على شمر الذي قدمنا ذكره، وفي رجوعه صادف رسول ابن مهنّا إلى ابن رشيد فقبض عليه، وبعدما عرف مضمون الكتب قتل الرسول وأقبل راجعًا.

وكان خبر أهل بريدة قد بلغ أمير عنيزة، فركب صالح الزامل إلى ابن سعود فوافاه، وقد وصل الشقة فسأل ابن سعود صالحًا عن سبب قدومه، قال: جئت أسألك عما عزمت على عمله، قال: لم أفهم المقصود من هذا السؤال، قال: المقصود أن أهل بريدة وأميرهم علومهم ما هي طيبة، وبلغنا أنهم كتبوا إلى ابن رشيد يفاوضونه بالصلح ويستجذبونه، وجئت أخبرك خوفًا أن ترجع إلى بريدة، فأخرج ابن سعود الكتب التي وجدها مع رسول ابن مهنا لابن رشيد منه ومن جماعة، وعرضها على صالح.

فلما قرأها أرجعها لابن سعود قال ابن سليم والآن ماذا تريد أن تعمل؟ قال الإمام: لم أقرر شيئًا بعد وقصدي أواجه ابن مهنا لأرى ما عنده، أرخص ابن سعود لمن معه من البوادي يرجعون إلى أهلهم وأظهر أنه يريد الرجوع إلى الرياض، وأسر لمحمد بن هندي رئيس برقا من عتيبة أن ينزل وجماعة[1] الجعلة، وأما مطير فقد رجعوا إلى أهلهم معلنين أن ابن سعود انكف إلى الرياض، وكان ابن سعود يريد إبعاد مطير عنه خوفًا أن ينذروا به، لأنه يريد غزوا الدويش.

(١) جماعته

ركب ابن سعود وقصد بريدة ودخلها وليس معه إلاّ بعض حاشية فوجد القصر مقفلاً، قرع الباب فسأل من أنت؟ قال: أنا ابن سعود، فلم يسعهم إلاّ أن يفتحوا له لأنهم حتى الآن لم يتظاهروا بالعداء، وكان معه صالح الزامل، فقال ابن سعود لابن مهنا: ما هذا الأمر الذي سمعته وما هو الأمر الذي أوجب ذلك، قال ابن مهنا وأي أمر تعني، فإني لم أفهم معنى ذلك قال بل فهمت ولكنك تتجاهل ولكن اصدقني الخبر قال ليس عندي علم بشيء ولا شك أن الذي بلغك كله افتراء من الأعداء.

وكان ابن سعود يرغب في لفة الأمور ولا يريد إخراجهم خوفًا من انتفاض عام، ولم يبد عليه ما يدل على أنه واقف على ما دار بينهم وبين ابن رشيد، وظنوا أنه إنما بلغه إشاعات بادروا إلى تكذيبها، فتظاهر ابن سعود بتصديقهم، وقال لابن مهنا: إذا كان الأمر كما تقول فقم جدد العهد وعاهدني، فعاهده ابن مهنا على السمع والطاعة، وأنه عدو لعدوه وصديق لصديقه، وزيادة للتأكيد أخذ ابن مهنا السيف وجعله على عنق نفسه، وقال: إذا خنتك فأرجو أن تقتلني بسيفي هذا، فقبل منه ابن سعود وخرج من بريدة والتحق بمعسكره، وانضم إليه قبيلة برقا والروق.

وقعة المجمعة

سار ابن سعود يقصد رأس الفتنة فيصل الدويش، وكان نازلاً في سدير فانتذر به ورحل، ونزل المجمعة وكانت لم تزل على ولائها مع ابن رشيد، ولكن ابن سعود لم يقصد الدويش لأجل الطمع، وإنما أراد الانتقام فيه لخيانته مع ابن مهنا وابن رشيد، لهذا صمّم على مطاردته ولم يكن معه يومئذٍ من البادية إلاّ قبيلة عتيبة، وأحبّ أن يختبرهم قبل أن يقدم

على مهاجمة العدو، فأرسل إلى محمد بن هندي وأخبره أن الدويش انتذر بنا ونزل المجمعة، وأنه ربما يتحصّن فيها قال ابن حميد: امشِ وتوكل على الله.

وكان مع الدويش جميع علوي وبعض من بريه اشتد ساعد ابن سعود، ولما أصبح أغار على الدويش ومن معه وحصل بينهم قتال شديد، أبلى فيها الطرفان بلاءً حسنًا، فساعد أهل المجمعة الدويش وأمدوه، استمر القتال على أشده إلى الظهر ثم انهزم الدويش ومن معه، وقتل منهم عدد كثير منهم سبعة من الدوشان، أصيب فيصل الدويش إصابة بليغة، أصابه فاخر(1) بن شليويح الروقي، طعنه عدة طعنات في الرمح في مجاولة الخيل وطرده حتى دخل بيته.

واستولى ابن سعود على جميع حلالهم وبيوتهم بما فيها، ولم يسلم لهم إلاّ النزر اليسير جدًا، وقتل من أهل المجمعة عدة قتلى، فخرج أهل المجمعة إلى ابن سعود ورجوا منه أن يتوسع عن البلاد لئلا تضر الجنود بأهل البلاد فأجابهم وانتزح عنهم قليلاً، وأرجع إلى أهل البلاد ما كان قد أخذ منهم ثم جاء الدويش إلى ابن سعود واسترضاه فرضي وعفى عنه وأعطى الدوشان على أربع وخمس من الإبل يرتحلون عليها، ثم رحل عبد العزيز ونزل شقرا، ثم رجع إلى الرياض في أواخر ربيع الثاني.

انتفاض أهل بريدة

تقدم الكلام على ظهور بوادر الخلاف من أهل بريدة وذكرنا ما كان من اجتماع ابن سعود وابن مهنا، وإنكار هذا ما نسب إليه ومعاهدته إياه من جديد تأكيدًا لابن سعود بعدم صحة ما نسب إليه، ولكن الحقيقة غير

(1) فاجر بن شليويح

هذا فقد كانوا مصممين على الانتفاض، ولكنهم أرادوا اكتساب الوقت إلى أن يكمل استعدادهم، فأخذت الرسل تتردد بينهم فأحكموا الرابطة مع ابن رشيد وأرسلوا قافلة بإسم التجارة إلى الكويت، فتزودوا من الكويت ما ينقصهم من السلاح والذخيرة تحت سمع ابن صباح وبصره، ويقال إنه هو الذي أحكم الأمر بينهم وبين ابن رشيد لأنه قد أصلح هو الآخر مع ابن رشيد، فخرجت القافلة من الكويت ليس معها غير أحمال السلاح والذخيرة، فوصلت بريدة في أواخر شهر ربيع الثاني حينئذٍ أعلنوا انضمامهم واتفاقهم مع ابن رشيد ضد ابن سعود وكتبوا إلى ابن رشيد يستدعونه ليشتد به ساعدهم على انضمام أهل القصيم إليهم.

بلغ الخبر عبد العزيز بن سليم أمير عنيزة فأرسل يحيى العلي السليم وبعض أعيان أهل عنيزة ليتحققوا صحّة الخبر فلما وصلوا بريدة ثبت عندهم ذلك، وأراد يحيى مفاوضتهم وإقناعهم بخطأ رأيهم فوجدهم مصممين على الحرب فرجع وأخبر الأمير بذلك معه.

محاولة أهل بريدة جذب أهل عنيزة لجانبهم وفشلهم

وبعد ثلاثة أيام أرسل ابن مهنا ابن عمه محمد العلي ومعه ابن جربوع لمفاوضة ابن سليم أمير عنيزة للدخول فيما دخلوا فيه، وأن تكون يدهم واحدة، فتفاوضوا مع الأمير بهذا الخصوص.

فقال لهم: أولاً أخبرونا بالأمر الذي حملكم على هذا قالوا: الأسباب التي حملتنا كثيرة.

منها أننا صايرين طعمة للحكام من تولانا منهم وطأنا وأذهبونا بكثر

الخساير وسوق الرجال للحرب، فالغرم علينا والغنم لهم وإذا اتحدنا على حال أنفسنا ومنعنا أنفسنا عن الطرفين أعز لنا عند الجميع، وكل ياقف على حدة وتشفق الذين منا.

قال ابن سليم: لكن أنتم الآن ما اتحدتوا على أنفسكم إنما صرتوا تبعًا لابن رشيد قالوا: لسنا تبعًا لأحد وإنما أصلحنا مع ابن رشيد على شروط منها: أنه ليس له مدخل في أمورنا وبلداننا، وإنما له علينا المساعدة ولنا عليه مثل ذلك فيما لو اعتدى ابن سعود على أحد الطرفين، ولهذا جئنا نعرض عليكم أمرين:

إما أن تدخلوا معنا فيما اتفقنا عليه نحن وابن رشيد، والأمر الثاني إذا ما ترغبون الاتفاق مع ابن رشيد فيكون الاتفاق بيننا وبينكم وننفي ابن رشيد وابن سعود ولا يكون لأحد منهما سلطة علينا، فإن نفوسنا قد سئمت أعماليهم فينا.

قال ابن سليم: متى تكونت هذه الفكرة عندكم؟ وابن سعود مش رايح من عندكم بعد أن أعطيتوه عهود الله ومواثيقه على السمع والطاعة، وإن عدوه عدوكم وصديقه صديقكم، ولم يمض علي ذلك إلاّ مدة قليلة، فهل جاءكم من بعد هذه المعاهدة أمر يوجب نقض البيعة؟ فإن كان قد جاءكم منه شيء فبينوه حتى نعذركم.

قالوا: ما جاءنا فيه شيء لكن من قبضه على صالح الحسن وإخوانه والوحشة واقعة بيننا وبينه.

قال ابن سليم مسألة صالح الحسن أنتم الذي حملتوه عليه وقد صارحكم بذلك، قالوا: ما حملناه ولا رضينا بذلك لكن ما نقدر نكذبه.

قال ابن سليم إذا فرضنا أنكم ما رضيتوا، ألستم تعلمون أن صالحًا قد حاول الاتفاق مع المشير ضد ابن سعود وضدنا، وأراد أن يحتمي بالدولة ولما لم يفلح اتفق وابن رشيد بواسطة ابن صباح وأراد أن يطعن ابن سعود من ظهره بأشد الأوقات حرجًا لولا أن الله لطف بالمسلمين بذهاب ابن رشيد.

قال أبا الخيل: كل هذه الأقوال غير صحيحة ولكنهم أرادوا تشويه سمعة صالح لتبرير أعمالهم، نعم لا ننكر أنه يوجد من أراد أن يحمل صالحًا على مصالحة ابن رشيد ولكنه رفض ذلك رفضًا باتًا، وقال: إن بيننا وبين ابن سعود عهود ومواثيق على يد ابن صباح، ولا يمكن أن نحيد عنها ما استقام علينا.

قال ابن سليم: إذا سلمنا بما تقولون من هذه الناحية يبقى علينا أن ننظر إلى المصلحة ونقارن بين أعمال ابن سعود وأعمال ابن رشيد إزاء أهل القصيم بالماضي والمستقبل، فهل نسيتم أعمال ابن رشيد بعد وقعة الصريف التي لا زالت ماثلة أمام أعينكم من قتل الرجال صبرًا وسبي الأموال واستذلال الأشراف.

فهل عمل معكم ابن سعود شيء من ذلك فاتقوا الله يا محمد العلي وارجعوا إلى صوابكم لا تكونوا سببًا لإشعال نار الفتنة بين المسلمين بعد أن أطفأها الله واستراحوا منها تردونها جذعة بدون مبرر.

قال أبا الخيل: وأي مبرر أكبر من هذا، فإذا كان ابن رشيد أجرى ما ذكرتم فقد أجرى ابن سعود أكبر من ذلك فابن رشيد من سنة المليدا إلى اليوم لم يخرج معه منا غير غزو العادة السنوي.

وأما ابن سعود فقد حارب بأموالنا ورجالنا أكثر من ثلاث سنوات ولم يكفه ذلك منا بل الضريبة تلو الضريبة، بحيث لا يمر ثلاثة أشهر إلاّ ويطلب منا ما لا نستطيع، كأنه يقول: إنما أحارب ابن رشيد دفاعًا عنكم فإذا لم تسلموا فأنا لا أستطيع أحارب ابن رشيد، وشأنكم وأنفسكم، وشواهد ذلك ما هي بعيدة حتى نذكركم إياها، بل هي قريبة تعرفونها.

وتعرفون أيضًا أنه مدة الحرب الذي وقع بينه وبين ابن رشيد كل نفقات الحرب والتجنيد كله من القصيم،، وقد تحملنا ذلك على حسب أنه يدافع عنا ويساعدنا على عدونا وعدوه، ولكن لما قتل ابن رشيد وظن أن نجدًا قد صفت له لم يمض شهر واحد حتى ظهرت نواياه فينا، وقبض على صالح الحسن وإخوته وسجنهم في الرياض ولا بعد ذلك إلاّ يقبض على الباقين ويضم القصيم ويجعل عندنا عبد من عبيده يتحكم بنا.

قال ابن سليم: وهل تؤملون أن ابن رشيد يحارب ابن سعود لأجلكم لوجه الله ويترك لكم القصيم؟ قالوا: لا، ولكنه سيكون أخف علينا وطأة من ابن سعود ويرضى منا بالمحالفة والمساعدة عند اللزوم.

قال ابن سليم: يا محمد العلي هذه كلها تصورات وأوهام فلا يغركم بهرجة ابن رشيد وأوعاده، فهو الآن ضعيف يبي يعطيكم على ما تريدون ليستعين بكم وبأموالكم على ابن سعود، فإن فشل وإذا هو ما خسر شيء. وإن نجح لا قدر الله ذلك فسترون منه ما لا يخطر لكم على بال، انظر إلى أعمالهم معكم من مبادىء الأمور إلى نهايتها، وانظروا الأعمال والمساعدات التي قدمها حسن المهنا إلى محمد بن رشيد حينما تحالف وإياه وساعده على تقويض أركان حكومة آل سعود فماذا كانت النتيجة؟

كانت نهايتها الحرب الذي تعلمونها والقبض على حسن وأولاده وزجّهم في السجن حتى مات فيه.

وأما قولكم نقف معكم ضد ابن رشيد وابن سعود، فهذا أمر غير معقول فهل في استطاعة أهل القصيم أن يقفوا موقف العداء للإمارتين المجاورتين، ابن سعود من الجنوب، وابن رشيد من الشمال، وكل واحدة منهما أقوى من القصيم بما لديها من القوات وما يتبعها من العشائر.

فلا ابن سعود يتركهم ولا ابن رشيد يتركهم هذه أمور لم تتدبروا عواقبها، ولكن حب النصيحة والمحبة نبدي لكم رأينا.

وهو أن لا تتعجلوا الأمور قبل أن تتدبروا عواقبها، ولا تفتحوا باب الشر على أنفسكم وعلى ضعفاء أهل القصيم، فإن ابن رشيد قد أيس منكم، ولكن أنتم الذين أطمعتوه بأنفسكم، وابن سعود الآن ما عنده لكم إلاّ الزين، فإن كان قصدكم الوحشة التي وقعت بينكم فأنا أتعهد لكم بإزالتها من خاطره، وإن كان في خواطركم مطالب فأنا أعرضها عليه نيابة عنكم، وأؤمل أن يجيبكم إلى ما تريدون بشرط أن تعطوني عهود بالله أن تنفون ابن رشيد وتقطعون ما بينكم وبينه، وإن أجبتم أن يكون الأمر بينكم وبين ابن سعود فترسلون وفد من قبلكم لعرض مطاليبكم وأتعهد لكم أن اركب معه أنا يابن سليم وأساعده على حصول كل أمر يوافق لكم من ابن سعود، فإن وافقتم على ذلك فأنا مستعد لمساعدتكم بكل ما تريدون وإن أبيتم إلاّ المضي فيما اعتزمتوا عليه فنحن لا نوافقكم عليه.

هذا آخر ما عندنا لكم من النصيحة، ولكم أن تختاروا إحدى الحالتين وتخبرونا إلى مدة ثلاثة أيام، فإذا لم يأت منكم خبر بهذه المدة

فنحن نضطر إلى رفع الأمر إلى ابن سعود ونخبره بحقيقة الواقع.

قال محمد العلي: نحن نعرض الأمر على الأمير والجماعة، ونخبركم بما يقتضي نظرهم، فرجع وفد أهل بريدة ومضت الأيام ولم يجاوبوا، فكتب ابن سليم إلى الإمام عبد العزيز يخبره بما وقع بينهم وشرح له حقيقة الأمر وبين له مطالب أهل بريدة، وكان الإمام راغب في تلافي الأمور وتسكين بوادر الفتنة، فكتب إلى ابن سليم يقول: إن ابن مهنا وأهل بريدة مشتهين الفتنة شهوة وإلاَّ ما جاءهم منا أمر يوجب ذلك، بالحاضر الأمر الذي تبونه منا لهم نحن مفوضينكم فيه وأعطيكم عهد الله وميثاقه أن أتمم لهم الأمر الذي تعطونهم عليه.

فلما وصل كتاب ابن سعود لابن سليم كتب إلى ابن مهنا وجماعته وأرسل لهم خط ابن سعود وقال لهم: هذا جواب ابن سعود وفيه قبول مطالبكم التي تزعمون أنها هي التي حملتكم على هذا الأمر، فإن كان هي الطلب فقد أدركتموها وإن كان المقصد أمور ثانية وشبوة للحرب فهذا آخر عذرنا معكم، ولكن أهل بريدة قد صمموا وجرت المراجعات بينهم وبين ابن رشيد ثانية، وتم الاتفاق بينهم على أن ينزل القصيم، وأخبروه أن أهل القصيم كلهم وافقونا ما عدى أهل عنيزة، فهم لم يزالوا مترددين، ونؤمل أن ندركهم إذا أنت رحلت ونزلت القصيم.

فكتب لهم ابن رشيد يؤملهم وأرسل حملة إلى العراق لجلب أطعمة. فتعلقهم خلق كثير من الحضر والبدو فبلغ عدد الحملة نحو ألفين وخمسمائة جمل، فلما خرجوا من العراق عارضهم ابن ضويحي ومعه أربعمائة هجان من الظفير، فلما أقبل عليهم هالهُ كثرتهم فنكص عنهم

وسبقهم، ورصد لهم على الشبكة الماء المعروف بطريق العراق من حائل، ولما قربت الحملة من الماء رأوا أنه لا يكفيهم مجتمعين، فانقسموا قسمين: الحضر على حدتهم، والبدو على حدتهم.

فتقدم البدو إلى الماء حتى إذا فرغوا منه تبعهم الحضر، فلما وردوا الماء وجدوا ابن ضويحي نازلاً عليه،، فأغار عليهم وأخذهم، فاقبل الحضر الذين تخلفوا ولم يعلموا بما صار على من قبلهم، فتلقاهم ابن ضويحي فقاتلوه ودافعوا دفاعًا شديدًا، ولكنه تمكن منهم وأخذ ما يقارب من نصف الحملة.

ومن أعجب الأمور وأغربها أن يقوم ابن صباح مقام المحامي عن حقوق ابن رشيد فقد كتب إلى ابن سعود إذا لم تردوا أموال ابن رشيد التي نهبها ابن ضويحي فإني سأعلن الحرب عليك.

كثيرة هي غرائب مبارك ولكن لا أظن أن فيها على كثرتها أشد غرابة من هذه فابن رشيد، لما وصل إليه فلول حملته خرج غازيًا وأغار على عتيبة وهم على سبحا وعفيف الماءان المعروفان بطريق الحجاز، وأخذ عليهم بعض الحلال، وفي رجوعه أراد أن ينزل الشعب الماء المعروف في عالية نجد ليشرب منه، وكان على ضمأ فوجد فيه فريقًا من عتيبة، فأغارت عليهم خيل ابن رشيد وهزموها، ثم هجم عليهم بخيله وجيشه فصمدوا له واقتتلوا قتالاً شديدًا قتل فيه رجال من الطرفين وصدوه عن الماء، فانسحب ونزل ماء قريبًا من الشعب، ثم رحل منه ونزل الكهفة.

أما أهل بريدة فقد استبطأوا قدوم ابن رشيد، وخافوا أن يصل ابن سعود إلى القصيم قبل مجيء ابن رشيد، فأرسلوا سليمان بن عيسى

الطمل أحد وجهائهم إلى ابن سليم أمير عنيزة يطلبون منه أن يتوسط بينهم وبين ابن سعود بالصلح، وما كاد رسولهم يصل عنيزة حتى أرسلوا إليه يأمرونه بالرجوع عن ذلك، لأنه بلغهم وصول ابن رشيد الكيفة قادمًا إليهم.

فأرسل أمير عنيزة ابن سليم محمد العرزوقي إلى ابن سعود يخبره بإقبال ابن رشيد، وأنه على وشك الوصول، ويستحثونه على المجيء قبل أن يتمكن ابن رشيد في القصيم، ويتابعه أهل القرى. ولكن ابن سعود تباطأ في المجيء.

وصل ابن رشيد في ٨ رجب ونزل أغضى، موضع معروف بوسط القصيم، وأقام فيه أيامًا، ثم رحل ونزل الشنة، قرية تبعد عن بريدة نحو ساعتين شمالاً، وأقام فيها خمسة عشر يومًا، ثم رحل ونزل الهلالية، إحدى قرى القصيم، وأقام فيها نحو خمسة عشر يومًا، فركب إليه وفود أهل الخبرا وأهل البدايع وأصلحوه.

أما أهل البكيرية فقد كانوا قسمين: ابن عمير، والرواجح وأتباعهما.

أما ابن عمير، فقد ركب لابن رشيد وأصلح معه؛ وأما الرواجح، فقد أبوا وحصّنوا محلّتهم.

فأرسل لهم ابن مهنا سرية هاجمت الرواجح بمساعدة ابن عمير وجماعته، فتغلّبوا عليهم وقتلوا بعض الرواجح، وانهزم باقيهم إلى عنيزة. وتابعه ابن رشيد بقية بلدان القصيم وقراه الشمالية.

وهذا الذي تخوّف منه أهل عنيزة عندما كتبوا إلى ابن سعود

ويستحثّونه على المجيء، ولكن ابن سعود تأخّر أكثر من شهر ونصف بعد وصول ابن رشيد إلى القصيم، فاضطروا إلى متابعته، ولم يبق إلاّ أهل عنيزة أخذوا يستعدون خوفًا من مفاجأة ابن رشيد قبل وصول ابن سعود، ولكن ابن رشيد لم يقطع الأمل منهم وأراد أن يستميلهم، فأمر ابن مهنا أن يرسل وفدًا من جماعته يرأسهم أحد رجال ابن رشيد لمفاوضة أهل عنيزة لعلهم يدخلون فيما دخل فيه أهل القصيم.

سار الوفد إلى عنيزة بدون علم من الأمير ابن سليم، فلما دخل الوفد من باب السور الشرقي الخارجي (باب الغرفانية) الذي يبعد عن البلد نحو نصف ساعة، سبقهم رسول حارس الباب للأمير فأخبره بقدوم أهل بريدة ومعهم رجال ابن رشيد، فأمر بالحال بعض من خدّامه أن يستقبلوهم ويرجعونهم من المحل الذي يجدونهم فيه، ولا يرجعون عنهم إلاّ من بعد أن يجتازوا الوادي، فإن مانعوا فأرجعوهم في القوة ولو باستعمال السلاح، فراحوا ينفذون الأمر فوافقوهم وقد أقبلوا على البلد، فأمروهم بالرجوع فمانعوا وأرادوا إقناع الخدام بوجوب مواجهتهم للأمير، فأبوا إلاّ أن يرجعوهم، فطلبوا أن يسمح لواحد منهم بمواجهة الأمير فرفضوا، فأخذ الخدام يسوقون ركائبهم بالرغم منهم، وقد اجتمع عليهم غوغاء من أهل البلد ومن الصبيان فأخذوا يرجمونهم بالحجارة، وأصيب بعضهم بإصابات مختلفة ودعوهم الخونة، ولولا أنّ الخدام حالوا دونهم ودون الوفد، وفرقوهم لأثخنوهم، امتنعوا عن رمي الحجارة، ولكنهم لم يمتنعوا من رمي قوارص الكلام الذي هو أشد من الحجارة، رجع الوفد بأسوأ الحالات عندئذٍ يئس ابن رشيد من أهل عنيزة.

وكذلك أهل عنيزة عقدوا النية على الحرب والدفاع، فأرسلوا رسولاً

إلى ابن سعود يبلغونه بما وصلت إليه الحالة، وأنهم يتوقعون هجوم ابن رشيد وأهل بريدة في كل لحظة، خرج عبد العزيز من الرياض ومعه غزوا الجنوب ونزل عريف بيان، وأرسل أخاه محمد إلى عتيبة، فأقبل بهم ونزل الدواومي، القرية المعروفة بعالية نجد.

وفي هذه الأثناء وصل عبد العزيز الحسن راعي طريف رسول من ابن صباح ظاهر أمره الصلح بين أهل بريدة وابن سعود، وباطن أمره أنه واسطة لعقد الروابط بين ابن رشيد وأهل بريدة، لأن ابن صباح هو أول من سعى باتفاق أهل بريدة وابن رشيد بعد أن أصلح هو مع ابن رشيد، لأنه خشي من عواقب امتداد نفوذ ابن سعود، وأخذ يسعى لإضعافه والتأليب عليه ليجعله دائمًا في حاجة إليه، وهذه هي سياسته منذ أن مات الشيخ يوسف بن إبراهيم عدوه اللدود الذي استخدم ابن سعود للقضاء عليه، وعلى من ساعده، فلما قضى إربه انقلب ظهرًا لبطن يظن أنه بمجرد رفع يده عن ابن سعود ومساعدة خصومه يبلغ إربه في إضعاف ابن سعود.

رجع عبد العزيز الحسن من بعد قضاء مهمته في بريدة إلى عنيزة، فسأله صالح الزامل عن نتيجة مسعاه عند ابن مهنا، فخفى عنه الحقيقة، وقال: ما وجدت عندهم جواب ثابت ولم يستقر أمرهم على شيء، ثم رجع إلى الكويت. تقدم ابن سعود إلى القصيم ونزل السر وانضم إليه أخوه محمد ومعه عتيبة، ولما بلغ ابن رشيد نزول ابن سعود السرّ رحل ونزل الشيحية، ثم رحل منها ونزل المتنيات، قرب بريدة تبعد عنها ساعة واحدة، وأرسل إلى فيصل الدويش ونايف بن بصيص فأتوه ونزل الطرفية.

وقعة الطرفية

رحل ابن سعود ونزل عنيزة في ١٥ شعبان وأقام فيها يومًا واحدًا، ثم رحل منها قاصدًا ابن رشيد على المتنيات وانضم إليه من أهل عنيزة نحو الثمانمائة على أربعمائة ذلول، أميرهم صالح الزامل، وكان ابن رشيد قد رحل ونزل بريدة أوورسل إلى فيصل الدويش ونايف بن هذال بن بصيص يستدعيهما، فأقبلا في جريدة خيل وجيش.

فأغارت خيل ابن سعود على أطراف بريدة ولما لم يظهر له أحد منهم عدل عنهم وقصد الدويش على الطرفية، فصادفه بالطريق آتيًا لنجدة ابن رشيد وابن مهنا، فأغار عليه وأخذه وانهزم فلولهم إلى الطرفية، فتبعهم ابن سعود وأغار على الحي في نزلهم وأخذهم، ونزل بالطرفية فانهزم فلول مطير ودخلوا بريدة، جرى ذلك وابن رشيد قابع في بريدة.

عقد العزم ابن رشيد وأهل بريدة أن يأتوا ابن سعود على غرة ويهاجموه ليلاً، لأن جنود ابن سعود قد أصابهم التعب والإعياء من بعد طول مسيرهم ذلك اليوم ومطاردتهم الدويش.

وكان ابن سعود قد كبت به فرسه ذلك اليوم فكسر عظم من كتفه اليسرى وأغمي عليه، رأى ابن رشيد أنّ هذه الأسباب مشجعة له على الهجوم فرتّب أمره استعدادًا لذلك.

فلما كان أول الليل رتّب ابن سعود الحرس خوفًا من الهجوم، ولكن الحرس قد أصابه ما أصاب الجنود من التعب فناموا، خرج ابن رشيد وأهل بريدة في أول الليل قاصدين الهجوم على ابن سعود وسلكوا غير الطريق المعروف ليأتوا من طريق مخالف لما يظن أنهم يسلكونه، وفي

الساعة الثامنة من الليل عندما قاربوا منزل ابن سعود عبّى ابن رشيد جنوده فجعل البادية على حده، والحضر على حده، ورتب لكل منهما خطة.

تقدموا هادئين ليباغتوا ابن سعود وجنوده وهم نيام، فهجمت البادية من ناحية وهجم ابن رشيد وأهل بريدة من الناحية الأخرى، أطلقت البنادق فانتبه عسكر ابن سعود مذعورًا لهذه المفاجأة ولكنهم صمدوا لهم، والتحم القتال واستمر إلى الفجر فانهزمت بادية ابن سعود في أول الأمر، وثبت الحضر من جيش ابن سعود، واشتد القتال واختلط الفريقان وصار القتال بالسلاح الأبيض، فلما أسفر الفجر انهزم أهل بريدة وابن رشيد فتبعهم ابن سعود حتى دخلوا البلد وبلغ القتلى من الفريقين نحو المائتين أو يزيدون.

رحل ابن سعود ونزل الزرقا وأرخص لجنوده من أطراف بريدة فعاثوا في القرى التي ساعدت ابن رشيد ونهبوا ثمار النخيل التي كانت قد أينعت، فركب أهل القرى وطاحوا على ابن سعود، وطلبوا العفو فعفى عنهم ومنع جنوده التعرض لهم.

أما ابن رشيد فقد انهزم ومعه قسم قليل من أهل حايل، ولم يدخل بريدة، وأما أخوه فيصل فقد دخل بريدة ليشجع أهلها، وأما سلطان فقصد حايل، ولكنه وَجَدَ برغش ابن طوالة في العيون، إحدى قرى القصيم الشمالية، ونزل عنده، واستشاره فيماذا يفعل. قال ابن طوالة: ما يليق بك أن تترك أهل حايل في بريدة تحت رحمة ابن سعود، قال: إني تركت عندهم أخي فيصل وسأذهب إلى حايل لأستعد وأرجع إليهم.

قال ابن طوالة: هذا ما هو رأي. الرأي أن ترسل من يكشف خبر ابن

سعود إن كان هو رجع إلى بريدة، فنحن نرجع إليهم ونمدهم، وإن كان ابن سعود رحل عنها فنحن نرحل إلى بلادنا نحتمي بها، فأرسلوا من يكشف لهم الخبر، وكان ابن سعود يومئذ بأطراف بريدة فأخبرهم الرسول بذلك، فرجعوا ودخلوا بريدة ليلاً فتشجّع أهل البلد بمجيئهم، فلما بلغ ابن سعود خبر دخول ابن رشيد إلى بريدة رحل ونزل بموضع يبعد عن البلد نحو ساعة فخرج إليه ابن رشيد وأهل بريدة، وحصل بينهم قتال قتل فيه من أهل بريدة نحو عشرين رجلاً، ثم انهزموا ودخلوا البلد واحتصروا فيها.

ثم رحل ابن سعود آخر يوم من شعبان ونزل عنيزة، وأقام فيها يومًا واحدًا، ثم رحل ونزل البكيرية وأقام فيها خمسة عشر يومًا يترصّد إلى سلطان بن رشيد لعله يخرج من بريدة فلم يخرج.

فرحل ابن سعود من البكيرية ونزل الرس، فخرج ابن رشيد من بريدة وقد ترك فيها أخاه فيصلاً ومعه أهل ثلاثين ذلولاً وعشرين خيّالاً ليكون عونًا لابن مهنا إلى أن يستعد ويرجع إليهم.

ولكن ابن رشيد بقي في حايل ولم يرجع إلى بريدة، واختلف فيصل وابن مهنا فعاد إلى الجبل واجتمع بأخيه فأغضبه رجوعه، فأرسله إلى الجوف بميمة وما قصده إلا إبعاده رضي فيصل بمنصبه الجديد وأقام في الجوف.

أما ابن سعود فقد رحل من الرس ونزل قرب سراج، الجبل المعروف بطريق الحجاز، وأرسل من يستكشف له منازل مطير، فرجع الرسول وأخبره أن الدويش نزل القرعا، ماه بمنتصف الطريق بين النصيم

والكويت. وأما بريه فهم نازلين قبة الماء المعروف بفسح عروق الأسباح من الشرق، فقصدهم ابن سعود فانتذروا به وارتحلوا من موضعهم قاصدين بلاد ابن رشيد، ونزلوا قصيبًا فتبعهم ابن سعود فرحلوا ونزلوا الكيفة، وهو على أثرهم فارتحلوا ونزلوا سلمى، أحد جبلي طيء، فرجع ابن سعود ولم يدرك منهم مرامًا، فنزل سقف ماء من أمواه الجبل، وكان قريبًا منه قبائل من حرب، فأغار عليهم وملأ يديه من أموالهم، ثم رجع ودخل الرياض في أوائل شهر شوال.

دخل ابن رشيد بلاده ودخل ابن سعود بلاده وحالة أهل القصيم على ما هي عليه، فاشتبك القتال بين أهل عنيزة وأهل بريدة فبدأ أهل بريدة يشنون الغارات على الوادي وأطراف عنيزة، فقابلهم أهل عنيزة بالدفاع، ولم يحدث بينهم وقائع مهمة إلاّ ما كان من الإغارات المتقطعة، فلما استحكم الأمر أرسل ابن سليم لابن مهنا يقول: رجع الأمر بيننا وبينكم ولا زلنا متخذين خطة الدفاع، ومانعين أتباعنا من الاعتداء على أطرافكم خوفًا من أضرار تقع على ضعفاء القصيم فيكونوا ضحية طيش الجهال من الطرفين، فإمّا أن تمنعوا أتباعكم، وإلا سنضطر إلى مقابلتكم بالمثل فلم يرعو ابن مهنا، بل سار على خطته العدائية، وجهّز سرية من أهل بريدة ومن بعض القرى التابعة لها، وهاجموا البكيرية وكان ابن سعود قد نصب فيها عبد الله الراجحي وقتلوه واثنين من حمولته، وهرب الباقون وزبن بعضهم عنيزة، وبعضهم سار إلى ابن سعود، وبما أن البكيرية تبع إمارة بريدة، فقد استرجعها ابن مهنا في آخر ذي الحجة سنة ١٣٢٥هـ.

حوادث سنة ١٣٢٨هـ

بأواخر سنة ١٣٢٨هـ كانت حدرة قافلة، لأهل عنيزة خارجة من الكويت، مشدودها ــ أي حمول البضايع التي معهم ــ قريب خمسماية حمل، وعدد رجالها ماية وأربعون رجلاً، منهم ٤٥ رجلاً فقط مسلّحين بالبنادق، وكبار رجال هذه القافلة صالح العبد العزيز السحيمي، وعبد الله الحمد القاضي، وسليمان العلي الغماس، وغيرهم من الجماعة، فالتقوا بغزو من شمر عدد رجالهم قريب ماية وخمسين رجلاً، عقيدهم عمش القريد، ومعهم غزو من قبيلة مطير على عقيرين(١): أحدهما الحميداني، والآخر النُّور، ومطير آنذاك مُعادين لابن سعود ورعاياه التقوا بهم بمقطاع الدهناء من الغرب، قرب الأرطاوية قبل أن تُسكن، أي يوم كانت موردًا للبادية والقوافل.

وكان مع أهل عنيزة رفق عن شمر هو راشد بن فهيد العديم شمري، فلما تراءت الفئتان أناخ كل منهما بمكانه، وخرج الرفق الشمري وقصد الغزو وقتها، منهم قال: هذول ــ أي هؤلاء ــ أهل عنيزة، وهم في وجهي، فلم يلتفتوا له ولم يعبؤوا به طامعين بأموال القافلة، فرجع إلى رجال القافلة وأخبرهم بما ردّ عليه رجال الغزو، وصاح يستحثهم على الدفاع والمقاومة، فأمروه أن يرجع ثانية ويقول لعقيد القوم عَمَش القريد أن أهل عنيزة مستعدين أن يعطوهم عشرة حمول رز، أي عشرون كيسًا، وكيسين سكر، وكيسين قهوة، وربطة عبي، وربطة خام، فرجع إليهم وعرض عليهم ذلك، فصاروا يستهزؤون به، ويقول عمش: والله يا للجماعة أنّ شمر طامعين فيهم، وأنهم لم يعبؤوا بوجه الرفق حسبما هو

(١) عقيدين

جار بقوانين البدو أنّ الرفق يرفق ـ أي يحمي ـ خوياه عن جميع قبيلته لما تبين لهم ذلك استعانوا بالله ورفعوا راية الحرب، حملها حمد القطعي وصاروا يغنُّون غناء الحماس.

أما المطران فقد أرسلوا إلى الجماعة أهل عنيزة ويبلغوهم أنهم سيعتزلون عن شمر، وقالوا: كونوا آمنين منا، وشجّعوهم على مقاومة شمر، فجاؤوا الشمامرة مغيرين هاجمين، وكان الجماعة قد استعدوا لمقابلتهم وجعلوا حمولهم متاريس لهم، فلما قرب منهم المهاجمون أطلق عليهم نيران بنادقهم فقتلوا من رجالهم ومن ركائبهم، فرجع المهاجمون منشتين، ثم أعادوا الكرّة وهجموا ثانية فقابلوهم أهل عنيزة بنار حامية من بنادقهم وحمي وطيس المعركة، إلاّ أنّ البدو لم يثبتوا لما رأوا كثرة القتل فيهم، وفي ركائبهم، ففرّوا هاربين لا يلوون على شيء وقد أعذروا وعلموا أنْ لا طمع لهم بهذه القافلة، وكانت المعركة بعد الظهر، وكان السماء متلبدة بالغيوم وبتلك الساعة هطل عليهم مطر غزير، حجب رؤية بعضهم البعض، وبعد أن أقلعت السماء ووقف المطر، وإذا هم لا يرون للبدو أثرًا، حيث إنهم استمرّوا بهزيمتهم طامعين بالسلامة، بقوا الجماعة منتصرين ومأنوسين، وبقوا ليلتهم يغنّون أغاني النصر وخشية من أن يعود البدو لمهاجمتهم ليلاً، وقد ذبحوا من ركائب البدو التي وجودها محل المعركة، ويقدرون قتل البدو قريب ثلاثين رجلاً، ومثلهم جرحًا ومن ركائبهم التي ذبحت والتي أصيبت بالكسور قدر خمسين ذلولاً، أما المطران فقد أتوا إلى الجماعة في صباح اليوم الثاني فشكروا لهم الجماعة حيادهم وأكرموهم بشيء أعطوه لهم ولم يفقد من الجماعة أحد ولله الحمد.

حُرِّرت هذه عن إملاء صالح السحيمي أحد رجال القافلة مع بعض التصرف.

١٣٢٦هـ

غدر ابن رشيد في أهل بريدة

دخلت هذه السنة والحالة كما أسلفنا ذكره، ابن سعود وابن رشيد في بلدانهم، وأهل بريدة لم يزالوا موالين لابن رشيد، والحالة بينهم وبين أهل عنيزة على ما هي عليه والمناوشات بينهم يوميًا، ولم يزل أهل بريدة معلقين آمالهم برجوع ابن رشيد، ولكن ابن رشيد كافأهم مكافأة جميلة.

فقد كان تجّار الإبل الذين يجلبون على الشام من أهل بريدة قد وضعوا إبلهم في ديار ابن رشيد مع بواديه، لكن إذا جاء أوان السفر إلى الشام تجهزوا من بريدة وأخذوا إبلهم وساروا بها.

ولكن ابن رشيد قد مدَّ يده إليها وأخذها في أول هذه السنة وأرسلها إلى المشهد لجلب الطعام منها.

فركب أصحاب الإبل لابن رشيد يطلبون أداءها لكونهم حلفاء، أو بالحري من رعيته، فقال لهم: إننا أخذناها ظنًّا منا أنها لأهل عنيزة، وأرسلناها للمشهد، قالوا: نحن ننتظر رجوعها، قال لهم: الأمر مضى ولا سبيل إليها، فرجعوا من عنده خائبين، والظاهر أن هذه الحادثة غيّرت فكر كثير من أهل بريدة، وانضموا إلى أنصار ابن سعود، ولم يبق في بريدة من يميل إلى ابن رشيد إلا ابن مهنا وأنصاره القليلين.

فتعجل بعض أنصار ابن سعود عندما رأى كثرة الناقمين على ابن رشيد وابن مهنا، وكتب إلى ابن سعود يخبره بالحالة ويقول: إنَّ أهل البلد

إجمالاً ناقمين على ابن مهنا، وأظن أنهم [. . .][1].

غزو ابن رشيد بوادي العراق

قلنا: إن ابن رشيد أرسل حملة تمتار من العراق وتعلقهم كثير من البوادي بلغ عدد الحملة نحو خمسة آلاف جمل، ثم تبعهم غازيًا وأغار على الزياد قبيلة من بوادي العراق، وأخذ الغنم والبيوت بما فيها، وسلمت الإبل «قرب السماوة» ولكن الزياد انتقموا منه وترصدوا للحملة التي في المشهد، ولما أقبلت من المشهد أغاروا عليها وأخذوها، ولم يسلم منها إلاّ القليل.

لما وصلت كتب أهل بريدة إلى ابن سعود خرج من الرياض ومعه غزو أهل الجنوب في أوائل ربيع الأول، فلما وصل المستوى موضع يبعد عن بريدة مسافة يوم جاءه رسول من أهل بريدة يستقدمونه، فواصل سيره ونزل عنيزة، فجاءه، رسول آخر من أهل بريدة يقولون: إنهم لم يتمكنوا بعد من تهيئة الأمور فهم يستمهلونه أيامًا أخر.

أما أهل القرى فقد أرسلوا وفودهم إلى ابن سعود يطلبون الصلح فأجابهم وأمنّهم.

سار ابن سعود من عنيزة وخرج معه غزو من أهلها ثم نزل الخضر على مسافة ساعة ونصف عن بريدة، فلم يخرج إليه أحد من أهل بريدة لا محاربين ولا مصالحين، فعاث الجند في زروع أهل الصباخ، ثم سار ونزل الشقة إحدى قرى بريدة الشمالية تبعد عنها مسافة ساعتين.

---

(١) بياض في الأصل.

بلغه أن سلطان ابن رشيد قد أقبل من حائل لنجدة أهل بريدة، فرحل من الشقة قاصدًا ابن رشيد ليصده عن نجدة أهل بريدة، فلما وصل الكهفة بلغه أنّ الخبر مختلق، وأن ابن رشيد لم يخرج من بلده، وأن شمرًا انتذروا وساروا شمالاً ولم يبق إلاّ برغش بن طوالة نازلاً «فيه» القرية المعروفة قرب سلمى أحد جبلي طيء، فقصده ابن سعود فوجده قد تحصن في القرية فنزل قباله، ولما طلع الفجر أركب ابن طوالة نساءه وبناته في الهوادج يستعطفن ابن سعود، وكانت هذه عادة عند القبائل وهي آخر ما يلجأ إليه المستعطف، وليس بعد ذلك شيء من الخضوع وقل [. . .][1] وأن يكون من رعاياه المخلصين.

فأراد ابن طوالة يتوسط الأمر بين ابن سعود وابن رشيد فأجابه إلى ذلك وأعطاه الشروط التي يريدها من سلطان وهي لا تخرج عن معنى ما تقدم. وهي أن حائل وتوابعها وشمر إلى ابن رشيد، وبقية نجد وقبائلها إلى ابن سعود وما كان سلطانًا يطمح بذلك من ابن سعود، ولكن هذا تساهل معه لقطع الصلة بينه وبين أهل بريدة.

فقال ابن طوالة: إن قبل ابن رشيد بهذه الشروط وإلاّ سأقطع كل صلة بيني وبينه، رجع ابن سعود إلى القصيم ونزل البكيرية، ومضى ابن طوالة إلى ابن رشيد وعرض عليه شروط ابن سعود فقبلها، وتم الصلح، وأرسل رسولاً إلى ابن سعود يؤيد قبوله ما تم على يد ابن طوالة.

أما ابن سعود فقد نزل البكيرية وأخرج منها سرية ابن مهنا بالأمان وسيرهم إلى بريدة، وسار هو وبعض حاشيته ودخل عنيزة، فجاءه رسول

(١) بياض في الأصل.

من أهل بريدة يستدعونه وقرروا له وقتًا معلومًا، فرجع إلى معسكره بالبكيرية، وسار منها قاصدًا بريدة، فلما قرب منها خرج إليه رسول من أهلها سرًا وقرروا أن يكون عند الباب الشمالي الساعة الثانية من الليل، فانتخب ثلاثمائة من رجاله جعلهم بالمحل المعين، وأمرهم أن يقصدوا البيوت المجاورة للقصر ويحتلوها توًا، وأن لا يتعرضوا لأهل البلاد ما لم يروا منهم مقاومة.

فلما كان الوقت المقرر فتح الباب ودخل ابن سعود ورجاله الذين عينهم وعارضهم أعوان ابن مهنا وقاوموهم في الأسواق، ورئيسهم محمد العلي أبا الخيل، ولم يساعدهم أحد من أهل بريدة، فتغلب عليهم رجال ابن سعود وتحصّن ابن مهنا ورجاله في القصر واستولى ابن سعود على البلد وبايعه أهلها، وباليوم الثاني طلب ابن مهنا الأمان على نفسه ومن معه وما معهم، فأجابهم ابن سعود وأمنه ومن معه وما معهم إلاّ السلاح، فسلموا له القصر بما فيه من السلاح والذخيره فاستولى عليه، وبالتالي استولى على القصيم وأمر أحمد بن محمد السديري على القصيم، ونزل القصر ابن رشيد ومعه إثبات الصلح فجهز ابن مهنا وخدامه وأتباعه وسيرهم إلى العراق يصحبهم عبد العزيز الرباعي أحد خدام ابن سعود.

وكان التسليم في العشرين من ربيع الآخر من هذه السنة، فسكنت الفتنة، واستراح الناس، رتب ابن سعود أمور القصيم وسار من بريدة ونزل قصر ابن عُقَيْل «بالتصغير» وأرسل عماله إلى قبائل مطير وعتيبة وبنو عبد الله وحرب وغيرهم من قبائل نجد عدى شمّر لجبيّ الزكاة، وقد جاءه رؤساء شمر يطلبون منه أن يرسل لهم عمالاً فأبى، وقال: إني قد تنازلت عنكم لصاحبكم وأنتم في أمان مني.

ولكن محسن العزم أحد رؤساء حرب لم تكن زكاته مرضية حيث قد أخفوا كثيرًا من إبلهم ولم يؤدّوا عنها الزكاة، فغزاهم ابن سعود وأخذهم في العشر الأخير من جمادى الأولى، ثم ركب إليه العزم فطلب منه العفو فعفى عنه، وأصلحوا معه فرجع إلى القصيم، ثم رجع إلى الرياض في أولى جمادى الثانية.

قتل سلطان الحمود وقيام أخيه مقامه

بعدما أصلح سلطان بن رشيد وابن سعود وانهزم آل السبهان وتوابعهم، ومعهم سعود بن عبد العزيز بن رشيد إلى المدينة، وهو الوحيد الذي نجا من أولاد عبد العزيز بن متعب لصغر سنه ولحماية أخواله آل السبهان له.

كذلك حمود العبيد استرخص من أولاده في سكن المدينة محتجًا بكبر السن، وأنه قد ضعف عن الأمور ومحتاج إلى الراحة في آخر عمره، والتفرغ للعبادة، فأذنوا له، فسار إلى المدينة وأقام فيها مدة قليلة وتوفي فيها في آخر هذه السنة، وقد تجاوز عمره الثمانين سنة، الله يعفوا عنا وعنه.

أما سبب رواحه إلى المدينة فهو كراهة لعمل أولاده في أولاد عبد العزيز الذين هم أولاد ابنته، وقد جزع عليهم جزعًا شديدًا لازمه حتى وفاته.

وقد قال في ذلك أشعارًا فلم يأبهوا به وجفوه، مما زاد عليه ألم المصيبة فاضطر إلى فراقهم ولكنه لم يمت حتى نكب أولاده.

أما أهل حايل فقد كرهوا إمارة آل عبيد واستثقلوها، فالتحق كثير من

وجهاء البلد بابن سعود، وقسم آخر التحق بالسبهان في المدينة، ولم يبق في حايل أحد يشار إليه لأن أساطينها قد فارقوها.

أسباب قتل سلطان

اختلفت الروايات في أسباب قتل سلطان، فمنهم من يقول: إنه تنازل عن الإمارة لأخيه سعود، ومنهم من يقول: إنه لم يتنازل وإنما قتله سعود الحمود ليحل محله.

أما الحقيقة فإن سلطانًا بعدما انهزم آل السبهان من سعود ابن عبد العزيز إلى المدينة ورأى كثرة من هاجر إليهم وإلى ابن سعود من أعيان أهل حايل، ولم يبق عنده من فيه خير، تجسمت الأخطار في عينيه، وعلم أنه محاط بالأعداء بالداخل وفي الخارج، واضطرب فكره فاقتضى نظره أن يأخذ ما يتمكن عليه من النقود والجيش وينهزم، وفعلاً نفذ الأمر وخرج وابنه علي ومعه خمسون هجّانًا، وقصد الجيش وأخذ منه خمسين ذلولاً من خيار ما عندهم، وانهزم عليها هو وأتباعه، وفي اليوم التالي علم أخاه سعودًا بما عمل فركب ومعه ثلة من أهل حايل، وأدركهم فقبض على سلطان وابنه، ورجع بهما إلى حايل وحبسهما، ثم قتلهما في آخر جمادى الأولى، وتولى الإمارة أخوه سعود بن حمود العبيد فكانت مدة ولاية سلطان سنة وستة أشهر وأيامًا.

قتل سعود بن حمود آل عبيد وتولي حمود السبهان بالنيابة عن سعود الرشيد

أرسل سعود الحمود إلى ابن سعود يخبره بالأمر الواقع وطلب منه

عقد الصلح على ما كان بينه وبين سلطان فأجابه ابن سعود إلى ذلك، وانعقد الصلح على ما كانوا عليه قبل ذلك.

أما سعود الحمود فلم يطل أمره فقد كان عرشه مزعزعًا وولايته ممقوتة، بل ضاق ذرع أهل حائل وشمر في ولاية آل عبيد. رأى آل السبهان الفرصة سانحة لهم باسترجاع الإمارة إلى بيت آل عبد الله وطرد آل عبيد عنها، فكاتبوا أهل حائل فشجعوهم على القدوم إليهم لإنقاذ البلاد من هذه الفوضى، فتكررت المراجعات وتقرر وقت معين لقدوم آل سبهان، فجاء الوقت المذكور واستعد أهل البلاد لمساعدتهم.

فلما كان في شهر رمضان من هذه السنة خرج آل سبهان وأتباعهم من المدينة وخرج معهم من هناك من المهاجرين من أهل حايل، فلما قاربوا البلد أرسلوا رسولاً لأهلها يخبرونهم بقدومهم ويستنجزونهم وعدهم بالمساعدة فأجابوهم فدخلوا البلد وقام أهلها معهم واحتصر سعود في القصر، ثم تمكنوا من الاستيلاء على القصر بواسطة طوارف آل عبد الله، فقبضوا على سعود وقتلوه وقتلوا معه تسعة من آل عبيد، ولم ينجُ من آل عبيد إلاَّ عبد الله ولد عبيد الحمود الذي قتل في عنيزة، وأولاد مهنا بن حمود آل عبيد.

وفيصل الحمود الذي كان نصبه سلطان في جوف أميرًا فيها على ما قد مناه، وكأنه قنع في ولايته وبقي فيها ولم يشارك أخويه في الحكم ولم يشترك في الخلاف الذي وقع بينهما.

ولكن لما تولى آل السبهان أمر حايل خاف على نفسه وخرج من الجوف وسار ورمى نفسه على ابن سعود وبقي عنده إلى أن مات سنة ١٣٤٢هـ في الرياض.

ثم استيلاء آل السبهان على حايل وتوابعها، وتولى أمر الإمارة حمود بن سبهان السلامة بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز القاصر، فأرسل إلى ابن سعود يخبره بالأمر وولايته بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز، ويطلب منه تقرير الصلح بينهما على ما كان عليه سلفه، فلم يوافقه بل اشترط عليه شروطًا لم يقبلها.

خرج ابن سبهان من حايل وقصد القصيم، وأغار على الحميداني من مطير شمالي بريدة وأخذه.

وفاة حمود السبهان
وتولي زامل بن سالم السبهان بالنيابة

ولم يلبث بعد رجوعه إلى حائل حتى مرض وتوفي في شهر الحج سنة ١٣٢٦، فكانت إمارته أقل من أربعة أشهر، وتولى بعده أمر الإمارة في حايل زامل بن سالم السبهان بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز.

سنة ١٣٢٧هـ: بلغ ابن سعود غزوة ابن رشيد على مطير فخرج من الرياض في أواخر شهر الحج، وقصد قبائل ابن رشيد، فلما وصل الأجفر علم أن شمر انتذروا به وانهزموا قاصدين الشمال فرجع ابن سعود إلى القصيم ونزل بريدة.

وفي أواخر شهر صفر بلغه أن ابن رشيد خرج من حايل غازيًا ومعه شمر وأنه قصد عتيبة فسار ابن سعود من بريدة إلى أطراف ابن رشيد، وأغار على قبائل مجتمعه من قبائل ابن رشيد، وأخذ الجنفاوي والوجفان والمذعور والعطاعطة، والنغمان والشميلي الجميع من شمر، وابن مضيان والمذهوب وابن صميم وابن عيان، وولد سويلم، وابن ريق الجميع من حرب، وملأ يديه من أموالهم.

أما ابن رشيد فقد بلغه وهو بمنتصف الطريق أنه ابن سعود خالفه على قبائله، فأجبره من كان معه من شمر وحرب على الرجوع فرجع وعلم أن ابن سعود بعدما أخذ هذه البوادي ونزل الشعيبة فأراد أن يباجمه ليلاً، وكان ابن سعود قد رحل ونزل الأشعلي موضع في النفود، يبعد عن الشعيبة مرحلة جنوبًا، فتبعه ابن رشيد.

وبلغ ابن سعود أن ابن رشيد سيباجمه في هذه الليلة فأخذ يتأهب وأبعد البدو عن المعسكر، وأخرج الحضر إلى رأس النفود وترك الخيام خالية، وأمر أن لا تقتل الإبل التي قد غنموها من شمر وحرب، أراد بذلك أن يغري البوادي الذين مع ابن رشيد بالطمع فيتفرقوا عن ابن رشيد، لأن الإبل متى سمعت طلق البنادق تفر هاربة إذا كانت غير معقلة فيشتغل بها جند العدو، فلما كان منتصف الليل هجم ابن سبهان وأهل حايل على مخيم ابن سعود الفارغ، نفرت الإبل عندما سمعت طلق البنادق فلحقتها بادية ابن رشيد، وهذا ما أراده ابن سعود، وكذلك فرت بادية ابن سعود تحت ظلام الليل محتفظين ببعض غنائمهم، فلم يبق غير الحضر في الجيشين، فأرسل ابن سعود قسمًا قليلاً لصدّ هجوم ابن رشيد وأمرهم أن يطمعوه بأنفسهم وينسحبوا انسحابًا تدريجًا، وكمن هو وبقية الجند في أماكنهم، فلما التحم القتال فعل جند ابن سعود ما أمروا به، فطمع بهم ابن رشيد وظن أن هذه هي قوة ابن سعود أنه معهم.

فلما اجتازهم ابن رشيد متعقبًا جند ابن سعود المنهزم أطبق عليه ابن سعود وقطع عليه خط الرجعة وصدمه صدمة شديدة، فانهزم ابن رشيد بعد أن فقد عددًا غير قليل من رجاله، وعادا إلى الشعيبة هو ومن سلم من جنده. أقام ابن سعود في موضعه ذلك اليوم ثم رحل عائدًا إلى القصيم،

ونزل قبة ـ الماء المعروف بسطح عروق الأسياح من الشرق ـ، ثم رجع إلى الرياض ودخلها في ربيع الأول من هذه السنة.

قتل أولاد آل مهنا الصغار في الربيعية

عندما قبض ابن سعود على صالح الحسن وإخوته ترك إخوته وأبناء عمومته الصغار، ولم يتعرض لأحد منهم، وأقام بعضهم في بريدة والبعض الآخر في الربيعية، وهي قرية صغيرة فيها نخل لآل مهنا، وكان [. . .][1] مقيم في الربيعية، وقد تزوج والدة بعضهم، وكأنه رأى منهم تطاول عليه ومعاكسة له، فأراد أن يغض منهم فوشى بهم إلى ابن سعود أنهم يكاتبون ابن رشيد، تصدِّه بذلك أن ابن سعود يقبض عليهم ويبعدهم عنه، ولم يعلم أن الأمر يؤول إلى ما آل إليه.

أرسل ابن سعود فهد الزبيري ومعه سرية فقبض على أولاد آل مهنا الذين في الربيعية، وهم سبعة أولاد أكبرهم لا يتجاوز الخمسة وعشرين من عمره، فسار بهم ولما وصل الشماسية قتلهم، فذهبوا ضحية وشاية سافلة دون أن يتحققوا صحة ما نسب إليهم، وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]، والحقيقة أن الإمام حفظه الله قد تعجَّل في هذا الأمر مع هؤلاء الأطفال خلافًا لما عُرف عنه واتصف به من الحلم والأناءة، والله المستعان، وكان ذلك لشهر جماد الأول سنة ١٣٢٧هـ.

خرج ابن سعود من الرياض ونزل القصيم ثم سار منه غازيًا وأبقى

(١) بياض في الأصل.

رحلته في نفي القرية المعروفة من العالية، وأغار على فرقان من عتيبة وبني عبد الله وحرب، وأخذهم على الصلاة موضع معروف في عالية نجد، وعاد إلى نفي.

أما ابن سبهان فلم يخرج من حايل، وفي شهر رجب أمر ابن سعود على بعض أشخاص من أهل بريدة أن يغادروا بريدة إلى أي محل يريدونه، وهم صالح الدحيم الربدي وعلي الحميدة، وسليمان بن عيسى الطمل، وفهد الرشودي، وصالح الدخيل، لأنهم من أركان الفتنة التي أشعلها محمد العبد الله المهنا على ابن سعود، وخشي أنهم يحدثون مثلها فأمرهم بالجلاء.

أما صالح الدخيل فقد نزل عنيزة وركب الباقون ومعهم بعض أعيان بريدة، وقصدوا الرياض يسترضون ابن سعود فأكرمهم ورضي وعفى عنهم، فرجعوا إلى بلدهم مكرمين.

رحل ابن سعود من نفي وعاد إلى القصيم وعزل أحمد السديري عن إمارة القصيم، واستعمل عليها عبد الله بن جلوي بن تركي، ثم رجع إلى الرياض.

* * *

وكان ابن سعود يفكر دائمًا باحتلال الأحساء، ولكنه ينتظر الظروف الملائمة: وليس في هذا الوقت ما يشجع عبد العزيز لمثل هذا الأمر، لوجود حركة العرائف، وحركات الشريف الحسين، ولكن جواب جمال باشا عجل بوقوع الأمر، فصمم عبد العزيز على المغامرة كعادته، وكانت مغامرة موفقة.

خرج من الرياض في شهر ربيع الأول، ونزل الخفس ــ الماء المعروف ــ حتى آخر الشهر. ثم رحل من موضعه غازيًا آل مرة، وقد حدث منهم مخالفات أوجبت تأديبهم. فأغار عليهم وأخذهم، ونزل بالقرب من الأحساء بحجة الامتيار، وغرضه الحقيقي تمهيد الأمور، وجس نبض أهل البلاد. فأرسلت حكومة الأحساء التركية تستطلع خبره ونواياه، فقال: إنما قصدي الامتيار ثم ابتاع ما كان في حاجة إليه، وعاد إلى الرياض بعد أن علم ما يريد، وترك حملته على الخفس.

ولما هم بالهجوم على الأحساء، أخذ يعمل لإبعاد قبيلة العجمان، خوفًا من انضمامها لحكومة الترك، لما هو معروف من عداء العجمان لآل السعود قديمًا وحديثًا، فهم يفضلون بقاء حكومة الترك في الأحساء على أن يستولي عليها ابن سعود، فضلًا عن ما هو مشهور عن مطامعهم في الأحساء. ولكن ابن سعود جعلهم أمام أمر واقع، فدبر إبعادهم عن منطقة الأحساء، وانقض عليها انقضاض العقاب على فريسته رحل من الخفس، ولم يعلم أحد أين يقصد. ولم يكن معه إلاّ أربعمائة من جنوده اختارهم، ونزل بالقرب من الأحساء يوم الأحد ٢٦ جمادى الأولى.

وأرسل سرًا إلى إبراهيم القصيبي، ويوسف بن عبد العزيز بن

سويلم، وإبراهيم بالغنيم، يخبرهم بمكانه، وأنه هاجم على البلد في هذه الليلة، ويأمرهم أن يجهزوا له الأسباب ما يمكنهم من تسلق السور، وأن يختاروا له المكان المناسب للهجوم. فأعلموه وأحضروا له ما يلزم له وجعلوه بالقرب من المحل المقصود خارج البلد.

فلما كان في الساعة السادسة من ليلة الاثنين ٢٨ جمادي الأولى، تسلقوا السلالم المعدة لهم، فتكامل عددهم نحو مائتين وخمسين، فسار كل فرقة منهم إلى موضعها الذي عينه لها عبد العزيز، وكان الحراس قد أحسوا بشيء من الضوضاء، ولكنهم لم يجسروا على تخطي أماكنهم، فصاروا يسألون: من أنتم ولم يجبهم أحد فأخذوا يرمون على غير هدي، ولم يجاوبهم أحد. فانتبه العسكر، فقاوموا مقاومة ضعيفة، فأخذهم الرعب عندما علموا أن المهاجم لهم ابن سعود.

أما عبد العزيز، فلم يستطع الصعود على السلم لعلو السور، ففتحوا له كوة في أسفل السور، فدخل منها وذهب توًا إلى بيت الشيخ عبد اللطيف الملا، وطلب مواجهته، فنبهوه وجاء، فسلم على عبد العزيز، وبقي عنده ومعه بعض أتباعه، وفي ذلك الوقت، كانت جنود عبد العزيز قد احتلت بعض الحصون من الجهة الشمالية الغربية والجنوبية، وبقية الحصون التي على أبواب المدينة والقصور: قصر إبراهيم، وقصر العبيد، لم تزل في يد الترك، وعدد العسكر نحو ألف ومائتي جندي، وعندهم من الأسلحة والذخيرة والمؤن والأطعمة ما يكفيهم مدة طويلة فيما لو حاصرهم ابن سعود ومع ذلك فقد أخذهم الرعب، واستسلموا المائتين وخمسين جنديًا، لا يملكون غير بنادقهم، وبضعًا من الخرطوش مع كل جندي.

تحصن العسكر والمتصرف وموظفيه في قصر إبراهيم، وبقي الحرس الذي في الحصون التي على أبواب المدينة محافظين على مراكزهم فأصبحت مدينة الكوت في حصار، وابن سعود في نفس البلد، وليس معه قوة تدفع عنه فيما لو هاجمه الترك وأنى لهم ذلك، وقد ملؤا رعبًا، ولم يكن عبد العزيز في كل مغامرته بأشد خطرًا مما هو فيه الآن إنها لجرأة غريبة خطرة، تفوق الروايات الخيالية.

مضت تلك الليلة واليوم الذي بعدها وعبد العزيز في المدينة، والمدينة مغلقة الأبواب والحصون التي على الأبواب لم تزل بيد الترك، والعسكر والمتصرف داخل قصر إبراهيم، ولم يحركوا ساكنًا ولم يمدوا أهل الحصون، ومع ذلك، فلم يتمكن عبد العزيز من التغلب عليهم، فكيف لو تحرك العسكر؟ لكانت العاقبة وخيمة، ولكن الله لطف.

أما أهل البلد وأهل القرى، فلم يتحرك منهم أحد، لا مع ابن سعود ولا ضده، أرسل عبد العزيز إلى أعيان البلد وأعيان أهل القبائل والرفعة يدعوهم للحضور فجاؤوا مع الفتحة التي أحدثت في السور، التي دخل منها عبد العزيز في السور، لأن الأبواب الشرقي والشمالي لم تزل بيد الترك فاجتمعوا في بيت الشيخ عبد اللطيف الملا، وطلب منهم أن يبايعوه، فبايعوه، ثم جاء محمد أفندي أحد موظفي الترك، وكان أمينًا للصندوق في حكومة الترك، فبايع ابن سعود، وسلم له المفاتيح، وكان بعد ذلك وكيلاً لابن سعود إلى أن توفي.

تفاوض الإمام عبد العزيز مع الشيخ عبد اللطيف الملا والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل مبارك، فاقتضى نظرهم أن يكتبوا كتابًا إلى

المتصرف، وقومندان العسكر، يدعوانهما إلى التسليم، ويبينا لهما عدم جدوى مقاومتهما لأن ابن سعود استولى على البلد وبايعه أهلها، وأرسلا الكتاب مع محمد أفندي، الآنف الذكر وسلم لهما الكتاب، وأخبرهم أن أعيان البلد قد بايعوا ابن سعود، ولم يبق فائدة للمقاومة بعد هذا. فجاء منهما القبول بالتسليم على شرطين:

أولاً: أن يكتب المشائخ وأعيان البلد أنهم لا يرغبون في بقاء العسكر، وأنهم يفضلون ولاية ابن سعود على ولاية الدولة.

ثانيًا: أن يبذل لهما ولمن معهما الأمان على أنفسهم، وأموالهم، وأهليهم، وجميع ما لديهم من الأسلحة والذخائر والمؤن الحربية التي للحكومة.

فقبل ابن سعود الشرط الأول، وعدل الشرط الثاني بأن يبذل لهم الأمان على أنفسهم، وأموالهم، وأهليهم، وأن يترك للعسكر، لكل نفر بندقية وما يتبعها، أما الأسلحة التي للحكومة من المدافع والذخائر وغيرها، فهي له فقبلا بذلك وسلموا، فاستلم الإمام دوائر الحكومة أولاً.

ثم أحضر بعض الجند ليستلم القصر بما فيه، فوقفوا عند بابه وأخذ العسكر يخرجون واحدًا واحدًا، كل منهم يحمل سلاحه. فلما تكامل خروجهم، احتل الجند القصر، وكان عدد العسكر ألف ومائتي جندي، فجهزهم وسيرهم إلى العقير، يخفرهم أحد رجال ابن سعود، حتى وصلوا العقير. وجهزهم بالسفن إلى البحرين. ولم يرجع أحمد بن ثنيان، حتى فارقت سفنهم العقير بطريقها إلى البحرين.

ولما فرغ من ترتيب شؤون الحساء، استعمل عليه عبد الله بن جلوي

أميرًا، وأرسل سرية إلى القطيف بقيادة عبد الرحمن بن عبد الله بن سويلم، فلم يجد له مقاومة؛ لأن الحامية التركية التي فيه هربت إلى البحرين، عندما علمت باستيلاء ابن سعود على الأحساء. واستعمل عبد الرحمن بن سويلم أميرًا في القطيف.

محاولة الترك استرجاع الأحساء

ذكرنا عبور العسكر الذين أجلاهم ابن سعود من الأحساء. وعندما وصلوا البحرين، كان قد وصلها قومانداناً جديدًا آتيًا من البصرة، فاتفقت بهم في البحرين. وكان فيه نزعة عسكرية، فحاول الهجوم على الأحساء واسترجاعها من ابن سعود. وكان في ميناء البحرين باخرة تجارية لآل عبد الله البسام، قاصدًا العقير لتحميل تمور منها، فاستأجرها القومانداذ الجديد، وعاد فيها إلى العقير. فنزل وعسكره من الجانب الجنوبي الغربي من ميناء العقير وكان بينهم وبين قصر العقير برج مبني لحماية الماء وهو الوحيد في العقير، وفيه حامية قليلة، أما قصر العقير فلا تزيد حاميته عن ثلاثين رجلاً. مشى العسكر يريدون العقير، واستولوا على الحصن الذي على الماء، وأقبلوا على القصر، فانضم إلى حاميته الموجودة فيه من أهل نجد، المقيمين والمسافرين، وكان أمير الحامية قد طير الخبر إلى ابن سعود في الأحساء، فركب ومعه بعض الجند، وقدم قبله كوكبة من الفرسان لتشجيع الحامية على الدفاع إلى أن يصلهم المدد، فوجدوا الحامية قد صدت هجوم مقدمة الترك، وأسرت منهم نحو ثلاثين جنديًا.

وفي تلك الساعة، وصل مقدم الخيل فما كان من الترك، إلاّ أن

انهزموا ليغتنموا السلامة قبل أن يحول ابن سعود بينهم وبين البحر فركبوا السفن، ورجعوا من حيث أتوا والحقهم ابن سعود من أسر منهم، بعد أن أخذ منهم سلاحهم، وقد ظن ابن سعود أن العسكر لم يرجع إلاَّ بتشجيع من أناس في البحرين فكتب إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين وإلى الوكيل السياسي فيها لحكومة الإنكليز، يقول: إنه لا يليق بكم أن تحرضوا علينا، ونحن أصدقاءكم فجاءه الجواب من كل منهما: على أن العسكر ركبوا في الباخرة على أنهم سائرون إلى البصرة، ولا علم لنا برجوعهم إلى العقير.

رجع ابن سعود إلى الأحساء وبعد أن رتب الأمور توجه إلى القطيف لتنظيم أموره، ولأجل النظر في قضايا كانت بين الأهالي، وبين بني خالد بخصوص أملاكهم، الذين يزعمون أن الأهالي تغلبوا عليها بواسطة حكومة الترك، فأقام فيها مدة، نظر في خلالها الدعاوى المرفوعة إليه من بني خالد، وحسمها، وطلب منه أهل القطيف النظر في رسوم الزكاة المفروضة على النخيل فأجابهم وخفض لهم خمس بارات عن كل نخلة واحدة من الرسوم التي كان الترك يتقاضونها.

أما عبد الحسين بن جمعة، فقد خص بتخفيض خاص، حيث جعل له عشر بارات عن كل نخلة، وكان في دفاتر حكومة الترك على عبد الحسين ألفا ليرة، ومائتي ليرة، وأربعون ليرة متأخرة عليه من الزكاة فطلبها منه، فتضرر من ذلك، وادعى أنه قد سدد الكثير منها. فطلب الإثبات لما يدعيه، فلم يأت بما يثبت دعواه فطلب من الإمام النظر في أمره، فوضع عنه سبعماية وأربعين ليرة، وطلب منه تسديد الباقي فادعى أن ليس لديه شيء الآن، وطلب إنظاره، فأجابه.

ولما فرغ من شؤون القطيف وترتيبه، رجع إلى الأحساء، ولم يلبث عبد الحسين بعد رجوع ابن سعود، حتى هرب إلى البحرين، ولم يسلم ما عليه من متخلفات الزكاة وقبل هربه، نظم مضبطة تحت إمضائه هو وأخذ إمضاءات عن بعض الأهالي، قدمها إلى حكومة البصرة، طعن فيها طعنًا مرًا في ابن سعود ويحث الحكومة التركية على استرجاع الأحساء والقطيف من أيدي هؤلاء الخوارج وقال: إنه مجرد وصول طابور واحد من الجنود المظفرة، يتعهد لهم بثورة الأهالي ضد ابن سعود، ويسلمها إلى مأموري الدولة العلية.

ولكن لحسن الحظ أن السيد طالب النقيب قد أخذ علمًا عن هذه المضبطة من كتب جاءته من القطيف فاقتنصها قبل أن تصل إلى المراجع المختصة وأرجعها إلى ابن سعود في شهر شوال. فعدها ابن سعود مع فراره من القطيف، مؤيدة لما قيل فيه، فأسر الأمر في نفسه.

وكان مقبل بن عبد الرحمن الذكير قد أراد أن يتوسط في أمر ابن جمعة لدى الإمام عبد العزيز، ويستعطفه ليأذن برجوع ابن جمعة وليسمع له، وكان ذلك قبل أن يعلموا بمساعيه لدى حكومة التركي وفعلاً كتب مقبل للإمام بهذا الخصوص، فجاءه الجواب مؤرخ ١٣ شعبان سنة ١٣٣١هـ، قال فيه: كتابكم وصل خصوصًا من طرف ابن جمعة، أخي حنا يوم ألفينا القطيف، وإذا الناس أهل غرض فيه، وأهنّا أنفسنا، ونزلنا عنده، وأجرينا معه من الإكرام والحشمة شيئًا ما يخفى على أحد. قصدنا كف الناس، إذا شافوا فعلنا به وصار لنا عليه ألفان ومئتان وأربعون ليرة بقايا، وألف وخمسماية ريال علينا سند من طرف الباج، وقام يعتذر أنه،

مظلـوم وأن النـاس أهـل غـرض فيـه، وسـامحنـاه، مـا خلينـا إلاّ ألـف وخمسماية ليرة ويوم طلبناها منه، فر إلى البحرين.

والحقيقة أنه لئيم وإلاّ كيف هذا فعلنا معه، وهذي مجازاته لنا؟ عاد أخي حنا ما لنا غرض في الناس إلاّ دورة الراحة والسكون وحنا كتبنا له خط، لا بد تشرف عليه عرفناه بما يلزم أن قبله، فالحمد لله، وهو آخر ما عندنا فإن أبى، فلا يتأسف إلا فاعل السوء إن شاء منه حذا أما لزم. انتهى.

أما كتـاب ابـن سعـود، فلـم أطلـع عليـه، ولا أعـرف مضمـونـه ولكن الذي نستنتج من عبارة ابن سعود أنه اشترط للإذن له بالرجوع أن يسلـم مـا عليه مـن متخلفات الزكـاة والباج كـاملاً، وألغي السماح الـذي كان منحه إياه. ولم يمتنع ابن جمعة من الرجوع خوفًا من تسليم ما عليه، وإنما امتنع انتظارًا لنتيجة المضبطة التي قدمها إلى حكومة العراق، ولم يعلـم أن السيد طـالب حال دون وصولها، ولمـا يئس من حكومة العراق بعد انتظار طويل، رأى أن إقامته في البحرين وتركه أملاكه وأعماله في القطيف غير مجدية. ولكن كيف السبيل، وقد أغضب ابن سعود بعدم قبول ما عرضه عليه.

وكان ابن سعود قد رجع إلى الرياض في أواخر شهر رمضـان، لهذا لم يجسر أن يتوجه إلى القطيف إلاّ بإذن من ابن سعود، فاقتضى رأيه أن يتوجه إلى الأحساء ويراجع الإمام عبد العزيز، وفعلاً سافر، ونزل بضيافة الأمير عبد الله بن جلوي، وأنزله بيتًا من بيوت الحكومة، وراجع الإمام بشأنه وكان السيد طالب قد أرسل للإمام عبد العزيز المضبطة التي أرسلها

عبد الحسين لحكومة التركي في العراق، فأصدر أمره للأمير عبد الله بن جلوي باعتقاله، فزجه بالسجن وصادر أملاكه في القطيف من النخيل والبيوت والسفن، وأدخلها بيت المال.

تابعنا حوادث القطيف ذكر هنا قطعيا، وحالت دون حوادث كانت قبلها.

وفي شهر شعبان، خرج العرايف بأمر من الشريف حسين، وأغاروا على بني عبد الله، وابن سعيان، وابن ضمته من يطردهم على نفي ـ القرية المعروفة في عالية نجد ـ وأخذوهم، ورجع العرايف إلى وادي سبيع.

الصلح بين ابن سعود والشريف حسين

وفي شهر شوال من هذه السنة، صار مناوضة بين الإمام عبد العزيز وأمير مكة الشريف حسين، وانعقد الصلح بينهما على أن لا يتعدى أحد منهما على حدود الآخر، ولا على رعاياه، تتوقف الحركات العدائية من الطرفين.

قتل آل عبيد وآل رخيص

وفي ٢٨ شعبان من هذه السنة، قتل ابن سبهان سبعة من أولاد آل عبيد بن رشيد، وأربعة من آل رخيص أخوال آل عبيد بحجة أنهم يريدون الفرار، وحبسوا جماعة من آل رخيص الذين وقعت عليهم التهمة أن لهم يدافع المقتولين، ونهبوا أكثر من ثلاثين بيتًا من بيوتهم، وبيوت أتباعهم نسأل الله الحماية من موجبات غضبه.

حوادث عامة

فتنة شقراء:

وفي أواخر هذه السنة، وصل عبد اللطيف المندبل، مندوبًا من قبل حكومة التركي من العراق، للتوسط في أمر الصلح بينها وبين ابن سعود. فقبل عبد العزيز الوساطة وأجل النظر في المسألة إلى الربيع، وسنذكر نتيجة ذلك في حوادث سنة ١٣٣٢هـ.

وفي ١٤ من شهر شعبان: توفي المرحوم الشيخ قاسم بن ثاني، شيخ قطر.

دخلت هذه السنة، والحالة بين ابن رشيد والشريف من جهة، وبين ابن سعود من جهة ثانية صالحة، وفي شهر[...][1] خرج الإمام عبد العزيز من الرياض إلى الحسا، لمقابلة الوكيل السياسي لحكومة بريطانيا في البحرين، فقابله في العقير فلم تسفر هذه المقابلة عن نتيجة. ثم عاد إلى الرياض فبلغه خبر دسيسه في القطيف وقد أسلفنا الكلام على خبر المضابط التي أرسلت إلى حكومة التركي في البصرة من أهل القطيف وأنها أرجعت إلى ابن سعود فخشي أن الأهالي استأنفوا عملهم، فخرج من الرياض في النصف من ربيع الثاني، ومعه أهل الرياض وغزوا أهل القصيم وغيرهم، فنزل الجبيل.

وكانت حكومة التركي بعد أن تولى ابن سعود الحسا والقطيف تفكر في أمر استرداد هذه البلاد، ولو أدى الأمر إلى الحرب، ولكن في هذا الوقت الذي نحن بصدده، قد تولى نظارة الحربية العثمانية أنور باشا.

---

(١) بياض في الأصل.

وكان برنامج سياسته اتحاد المسلمين تجاه الأخطار المحدقة بهم جميعًا، وليس عنده كما يقال عنه، روح النفاسة لقوة العرب ولهذا أخذ يرسل الأسلحة والعدد الحربية إلى ابن رشيد والإمام يحيى، قصد تقويتهما للدفاع عن أنفسهما، فيما لو وقعت حرب بين تركيا وإحدى الدول تحول دون إمدادهما.

فلهذا وجه نظره إلى ابن سعود، فأرسل وفدًا يرأسه ياور من ياوريه، ومن أعضائه: السيد طالب النقيب فقابلهم ابن سعود في الصبيحية الماء المعروف قرب الكويت فطلب الوفد أن يكون للدولة معتمدون في الأحساء والقطيف، فأبى ابن سعود وانتهى الأمر بالاتفاق على الاعتراف بإمارة ابن سعود على الأحساء والقطيف وسائر لواء نجد، والاعتراف بإمارته على ما كان في يده من قبل، وما دخل فيها من بعد على شرط أن يعترف هو بسيادة السلطان.

ثم جاءت برقية فيها التصديق على ما تقرر في مؤتمر الصبيحية، مقرونًا بالشكر (ابن سعود والإنعام عليه برتبة المشرية ولكنها قبل مفاوضة لابن سعود والإنعام عليه برتبة المشرية، والاتفاق معه بشهرين قد اتفق سليمان كمالي باشا والي البصرة يومئذ وزامل السبهان بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز الرشيد. وتم الاتفاق بينهما على أمور، لم نقف على فحواها. ولكنها قدمت إلى ابن رشيد عشرة آلاف بندقية، وكثيرًا من الذخائر، ومبلغًا من المال، ولم يعلم ابن سعود بهذا الاتفاق، والمساعدات التي قدمتها إلى ابن رشيد إلاَّ بعد رجوعه إلى الرياض، وفيما يقال: إن الحكومة التركية قد أمدت ابن رشيد بهذه القوات للغرض الذي أسلفنا ذكره، وهو أن يتمكن من الدفاع عن نفسه.

ولكن ابن رشيد قد جعله وسيلة للقضاء على ابن سعود، واسترجاع ما فقده من البلاد، كما سنقف عليه في حوادث السنة التالية.

قتل زامل السبهان الوصي على الإمارة

كان زامل السبهان قائمًا بشؤون الإمارة بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز، القاصر عن الاضطلاع بمهامها. فقام بها زامل خير قيام، واستردت الإمارة شيئًا من قوتها وهيبتها. وكان عاقلاً حكيمًا رأى أن الإمارة قد تخلخلت أركانها بتوالي الفتن والحروب ممن تولى شؤونها قبله فرأى أن الحكمة تقضي عليه بمسالمة ابن سعود، والاقتصار على إصلاح ما بقي بيده من إمارة حائل وما يتبعها من القرى والقبائل التي اعترف له ابن سعود فيها، ليتفرغ لتنظيم شؤونها، وتثبيت قواعد مركز الإمارة، وقد اتفق مع ابن سعود على ما يحفظ حقوقها، التي كانت قديمًا لآبائهم وأجدادهم. ولكن الجهل لا يدع المصلح يسير في طريقه، بل يقف حجر عثرة في سبيله. ولكن سعود الرشيد — كما قلنا — لم يزل قاصرًا عن درجة بلوغ الرشد، فاستولى على مشاعره أناس من طرازه بالعقل، لا بالسن، فما زالوا به حتى أوغروا صدره على من كان له الفضل عليه في تماسك أركان الإمارة، وحفظها له، فلما قفل راجعًا بعد مقابلة والي البصرة سليمان شفيق كمالي، واتفاقه معه، كان سعود قد صمم على الفتك بزامل.

ففي نهاية المرحلة الثانية بعد رجوعهم، رتب أمره بمساعدة سعود الصالح السبهان، الذي له اليد الطولى في حبك خيوط هذه الجريمة، وقتلوا زاملاً، وأخاه عبد الكريم، وعمهما سبهان العلي، وولد

عبيد الحمود الذي أخواله السبهان، وبعض من خدام زامل المقربين.

قتل زامل السبهان
الوصي على إمارة آل الرشيد

فلما دخل البلد قتل إبراهيم السبهان أخا زامل، وعبد من عبيده، وولد الضعيفي من أتباع زامل المقربين منه ونهب ما في بيوتهم، ثم استقل في شؤون الإمارة، وجعل سعود الصالح مستشارًا، فكتب إلى ابن سعود يخبره بالواقع، ويطلب منه تأييد ما بينهما من الاتفاق السابق.

وكان ابن سعود قد علم بالاتفاق مع حكومة الترك، وما أمدته به من الأسلحة والذخائر والنقود، فظن أن هذه الاتفاقية ضده، فكتب إليه ابن سعود على أي أساس يكون الاتفاق بيننا وبينك، وما بينك وبين الترك من الاتفاقية، فكتب إليه ابن رشيد: إني من رجال الدولة، والمصالحة بيننا وبينكم لا تكون إلا إذا وافقت عليه الحكومة العثمانية، فكتب إليه ابن سعود إذا كان الأمر كما تقول، فلا سبيل إلى الصلح، وفي هذه الأثناء، أخذ كل منهما حرية العمل ضد الآخر.

الأسباب التي دعت إلى قتل زامل السبهان

تضاربت الآراء في الأسباب التي دعت سعود ابن رشيد إلى الفتك بالسبهان أخواله، وأهل الفضل عليه في إرجاعه إلى الإمارة، حينما تغلب عليه آل عبيد، وطردوه، وشردوه إلى الحجاز.

ففريق من الناس: عزو هذه النكبة إلى دسائس سعود الصالح السبهان، الذي لا يزيد عمره عن عمر سعود بن عبد العزيز أكثر من خمس سنوات، فقد داخل سعود بن رشيد لتقاربهما بالسن، واستولى على

مشاعره. وكلاهما صنوان في الجهل، والغرور، وعدم إدراك عواقب الأمور، وإن الساعي قد أخذ مقابلة زامل لوالي البصرة ذريعة لتحكيم عقدة الوشا به، زاعمًا أن زاملاً قد استأثر بالحكم دونك. فهو الذي يعقد، ويبرم، وينقض بدون علمك، وأخذ يدلل على صحة ذلك بمقابلته مع شفيق كمالي، واتفاقه معه دون أن يرجع إليك في الأمر.

أما الفريق الثاني: فيزعمون أن شفيق كمالي باشا بعد مقابلته إياه حذَّره من آل سبهان، وأوضح له ممالئتهم مع الإنكليز، وميلهم إليهم ويستدلون على صحة ذلك أن ابن رشيد فتك بهم بعد يومين من هذه المقابلة فقط.

أما من يعرف حالة الأمير ابن رشيد بتلك الوقت، لا يستغرب وقوع هذا الأمر بسبب أو بدون سبب، فضلاً عما اشتهر به أهل هذا البيت من القطيعة، والسفك، والفتك في بعضهم، ونظرة بسيطة في تاريخ هذه العائلة، تؤيد ما ذكرنا.

العرايف

لما انعقد الصلح بين ابن سعود والشريف حسين على ما تقدم ذكره، كان العرايف في وادي سبيع يوالون الغارات على قبائل ابن سعود قبل الاتفاق، فلما تم الاتفاق، منعهم الشريف منه ذلك. فلم يلبثوا إلاَّ مدة قليلة، حتى بلغهم الاختلاف بين ابن سعود وابن رشيد، التحق سعود بن عبد العزيز بن سعود الفيصل ـ أحد العرايف ـ بابن رشيد، فأكرم وفادته، وفي هذه الأثناء قدم الذويبي ـ أحد رؤساء قبيلة حرب ـ إلى ابن رشيد، فأمره ابن رشيد أن ينضم تحت قيادة سعود العرافة، سار العرافة ومعه

الذويبي، فجهز معه قوة من حرب، وانضم إليهم آخرون. فقصدوا بعض القبائل الموالية لبني سعود، فأغاروا على ابن زريبة، وابن جبرين وأخلاط معهم، فانتذروا بهم، وصمدوا لحربهم، فصدوهم وانسحب سعود العرافة ومن معه من قبيلة حرب. فتسبقهم عتيبة، وأخذوا يعيثون فيهم طيلة يومهم، حتى حال بينهم الليل، فرجعوا عنهم.

وبعد مدة قليلة، رحل سعود العرافة من عند الذويبي قاصدًا عتيبة، ملتجئًا إليهم، فلم يتقبلوه، فرجع إلى ابن رشيد، وانضم إليه، وكانت العداوة قد استحكمت بين ابن سعود وابن رشيد على ما تقدم، إلا أنه لم يكن بينهما شيء حتى الآن، غير قطع العلاقات وعدم المواصلات بين الطرفين.

غير أن ابن سعود أغار على البيشان والغيادين[1] من قبيلة حرب الموالية لابن رشيد، وأخذهم وهم نازلون على غول الماء المعروف في عالية نجد ورجع إلى بلاده في أواخر شهر ذي القعدة.

[1] الغيادين

أما ابن رشيد، فقد خرج في أواخر هذه السنة من بلده، ونزل مع شمر، وأخذ بالاستعداد والتجهيز، فبلغ ابن سعود خبر تجهيز ابن رشيد، فقابله بالمثل، وأخذ بالتجهيز والاستعداد، وأمر القبائل أن يوافوه على الخفس ــ الماء المعروف قرب سدير ــ وسيأتي تكميل هذه الحوادث بأخبار السنة الجديدة.

أخبار وحوادث عامة

في أواخر رمضان من هذه السنة، ثار الحرب بين النمسا وألمانيا من جهة، وبين الإنكليز وفرنسا وروسيا من جهة ثانية. وفي شهر الحجة من

هذه السنة، دخلت تركيا الحرب منضمة إلى جانب ألمانيا، وتتابعت الدول بالانضمام إلى أحد الجانبين بالتدريج. وهذه مقدمة الحرب العظمى التي استمرت إلى صفر سنة ١٣٣٧هـ، وهذه أسماء الدول المحاربة، ومن انضم إليها:

الفريق الأول: ألمانيا، النمسا، تركيا، بلغاريا.

الفريق الثاني: إنكلترا، الصرب، فرنسا، روسيا، ثم انضم إليها: إيطاليا، وأميركا، واليونان، ورومانيا، والبلجيكا. وثار الشريف الحسين على تركيا، وانضم إليهم.

وبالرغم من تفوق هؤلاء على خصمائهم بالعدد والعدد، فإن الحرب استمرت من رمضان سنة ١٣٣٢هـ إلى صفر سنة ١٣٣٧هـ. وانتهى الأمر بهزيمة ألمانيا وحلفائها، وانهيار دولة النمسا وتقسيمها، وتقسيم تركيا التي فقدت القسم الأكبر من أملاكها. ولولا أن قيض الله لها مصطفى كمال ورفاقه الذين استرجعوا بعض بلدانهم، لما بقي لها أثر في الوجود.

دخلت تركيا الحرب في شهر الحجة من هذه السنة، وأرسلت حكومة الترك في العراق السيد طالب النقيب، ((والسيد محمود إلى ابن سعود الآلوسي))[1] فاجتمعا به في القصيم فردهما ردًا حسنًا، وقال لهما: إنه لا يمكنني مقاومة الإنكليز، بعد احتلالهم البصرة، فرجعا دون نتيجة. أما الوفد التركي الذي خرج من المدينة ومعه ١٠٠٠٠، فقد رجع منه قبله.

وكان ابن سعود قد أرسل للشريف كتابًا على أثر نشوب الحرب العظمى، كما أرسل إلى غيره من أمراء العرب، يطلب الاجتماع للمذاكرة، للنظر في ما يقتضي لنا عمله إزاء الحالة الحاضرة، لصون

(١) ما بين قوسين صحته «والسيد محمود الآلوسي إلى ابن سعود»

حقوقنا، وتعزيز مصالحنا فأرسل الشريف ولده عبد الله للنظر في هذه المسألة، فاجتمع بوفد ابن سعود على الحدود، وافترقا دون أن يتفقا على شيء. وذلك أن الشريف كان قد عقد النية على ما أقدم عليه، مما ستراه بحوادث سنة ١٣٣٤هـ.

حوادث سنة ١٣٣٤هـ

دخلت هذه السنة والعالم في أتون من نار، لوقوع الحرب بين الدول الكبرى. وذكرنا ما كان من دخول حكومة التركي في هذا الحرب بجانب ألمانيا. وفي شهر محرم من هذه السنة، استولى الإنكليز على البصرة.

وفي شهر صفر، نزل ابن هديب ومن معه من قبيلة حرب في غميس عنيزة في مراعي أدباشهم، فأرسل إليه الأمير عبد العزيز العبد الله بن سليم، يأمره أن يرتحل عن مراعي البلاد، فلم يأبه لذلك، فكرر عليه الإنذار، وقال: إن لك متسعًا عن مضايقة أهل البلاد في مراعي سوامهم فلم يقبل، بل أقام مراغمة واستخفافًا، فخرج إليه الأمير بقوة من أهل البلد، ونزلوا حياله وأرسلوا إليه يناشدونه أن يرتحل، ولا يحوجهم إلى استعمال القوة.

فما كان منه إلاّ أن قابلهم بالسلاح، فلم يسعهم إلاّ مقابلته، فاشتبك القتال بينهم. فانهزمت حرب بعد أن قتل رئيسهم علي بن هديب وأربعة من جماعته، وقتل من أهل عنيزة إبراهيم بن سعد الحماد، وصوب منهم خمسة. واستولى أهل عنيزة على كثير من الإبل والغنم، ورجعوا إلى بلادهم، فجاء وفد من حرب للأمير عبد العزيز يستعطفونه لرد ما أخذ

منهم قبل أن يرتحلوا، فأرجع عليهم ما كان لهم، وارتحلوا عن حمى البلد.

وقعة جراب

ذكرنا في حوادث السنة الماضية انتقاض الصلح بين ابن سعود وبين ابن رشيد، وذلك أن ابن رشيد بعدما أمدته الحكومة العثمانية بالسلاح والذخيرة، التي قدمنا ذكره، اشتد ساعده ورأى أن يستعمل هذه القوة لخفض شوكة ابن سعود، فأخذ يستعد ويجهز. وفي أول هذه السنة، استلحق قبائله من حرب وهتيم، وانضموا إلى شمر. أما ابن سعود لما بلغه استعداد ابن رشيد، أمر على أهل القصيم والوشم وسدير وأهل الجنوب أن يجهزوا غزوهم، ويوافوه في الخفس ــ الماء المعروف في القرب من سدير ــ وأرسل إلى القبائل الموالية، فوافاه منهم بعض من سبيع والسهول وقحطان، وبعض من قبيلة حرب والعجمان، وبلغه أن ابن رشيد قد نزل قبة ــ الماء المعروف بسفح عروق الأسياح من الشرق ــ فأقبل ابن سعود بجنوده، وأقبل ابن رشيد بجنوده.

فالتقى الفريقان بين شعيب الأرطاوي وبين جراب ــ الماء المعروف ــ في اليوم الثامن من ربيع الأول، فالتحم القتال بين الفريقين، وكان ابن رشيد على تعبئة تامة، فجعل معظم قوته تجاه راية ابن سعود وأهل الرياض. فلما اشتد القتال، وحمي وطيسه، أغاروا شمر على جيش ابن سعود، وأخذوا قسمًا منه. وأغاروا العجمان وبعض من حرب ممن كان مع ابن سعود، وأخذوا البقية، أما مطير، فلم يصلوا إلا بعد اشتباك القتال، فأغاروا على جيش ابن رشيد، وأخذوه فصارت الغنيمة للبادية من الطرفين.

جرت هذه الأمور والحضر في ساحة القتال، إلاّ أن شمرًا بعد أن غنمت جيش ابن سعود، رجعت إلى ساحة القتال، فأسندت ابن رشيد بعد أن بدأ التضعضع في صفوفه. أما قبائل ابن سعود الخائنة، فإنها انهزمت بغنيمتها. وصارت الأمور فوضى في جيش ابن سعود، فأخذت القبائل الموالية والمعادية، كل منهما ينهب من قبله. فعمت الهزيمة جيش ابن سعود، وانسحب ابن رشيد متماسكًا، ونزل قبة.

أما ابن سعود، فقد نزل الأرطاوية، وتلاحق عليه فلول جيشه. أما القتلى من الطرفين، فيقدر بين الثلاثمائة والأربعمائة، المشهور منهم: محمد بن عبد الله بن جلوي، وصالح الزامل السليم ــ أمير غزو عنيزة، وولي عهد الإمارة ــ ومحمد بن شريد من وجهاء أهل بريدة، ورجالهم المشهورين رحمهم الله تعالى.

أما ابن رشيد، فقد رحل من قبة، ونزل الأسياح بطرف القصيم من الشمال الشرقي، وكان قصده ينزل القصيم، حيث بلغه أن ابن سعود رجع إلى الرياض. ولكن ابن سعود قد سبقه، ونزل بريدة. فرحل ابن رشيد قاصدًا الشمال، ثم كر راجعًا، وأغار على فريق من العبيّات من مطير، ولكنهم صدوه، فرجع من حيث أتى.

وقد فاتنا أن نذكر من بين القتلى: شكسبير الإنكليزي، الذي كان وقتئذٍ عند ابن سعود موفدًا من قبل حكومته، فنصحه الإمام عبد العزيز أن يعتزل ساحة القتال، ويذهب إلى القصيم، ينتظره هنالك، إلى أن يفرغ من أمر ابن رشيد، فأبى، فقال له الإمام: إني لا أتحمل مسؤولية بقائك في ساحة القتال، فأعطاه شكسبير ورقة بخطه وإمضاءه أن بقاءه رغبة منه، وأن

يسقط كل حق له، أو لورثته، أو لحكومته في إلقاء المسؤولية على ابن سعود.

فلما وقع القتال، جلس برابية مرتفعة خلف صفوف القتال، وبيده آلة التصوير ليأخذ بها مشاهد القتال من البداية إلى النهاية. ولكن جاءته رصاصة عاثرة، كان فيها حتفه.

أما ابن سعود بعد أن نزل بريدة أمر على أهل القصيم أن يجهزوا غزوهم، وأرسل إلى قبائل عتيبة وبني عبد الله من مطير، أمرهم أن يوافوه بالقصيم. وكان قد فقد كل ما معه من الجيش والراحلة، والأمتعة تقريبًا في وقعة جراب. ويحتاج لمبلغ من المال ليستعيد به ما فقد منه، وهذا المال لا يمكن حصوله إلاّ بوضع ضريبة جديدة على أهل القصيم، كان يتحاشاها، لما أصابهم أيضًا من الخسائر.

وفي هذه الأثناء، قدم صالح بن عذل من المدينة، ومعه عشرة آلاف ليرة تركية من الحكومة العثمانية، لتستميل بها ابن سعود أو على الأقل تأمن جانبه. وكانت قد دخلت الحرب مع الألمان، كما قدمنا، فاستعاد بها ما كان ينقصه من المعدات. فرحل من القصيم في النصف من ربيع الثاني قاصدًا قبائل ابن رشيد، وأغار على ابن صميحر والقريان من حرب، وابن سعيد من شمر، وهم على الكهف ـ قرية على حدود ابن رشيد ـ فزبنوا كثيرًا من حلالهم، وأخذ ما بقي منها، ورجع إلى بريدة.

رجوع العرايف إلى ابن عمهم

تقدم الكلام عن خروج العرايف من الحجاز، والتحاقهم بابن رشيد، فلم يزالوا معه إلى هذا الوقت. ولكنهم لم يجدوا من ابن رشيد

المعاملة التي ترضيهم، فلم يروا أجدى من الالتحاق بابن عمهم، فركب فيصل بن سعد، وقدم على الإمام عبد العزيز بالقصيم، فأكرمه، وعفى عنه، فطلب منه العفو عن سعود بن عبد العزيز السعود، فأجابه لذلك، فأرسل ابنه تركي بن عبد العزيز إلى سعود، وهو عند عتيبة، فأتى به، وأكرمه الإمام. أما فهد بن سعد، فقد التحق بالعجمان.

وأما سلمان بن محمد، فقد التحق بعمان، وقصد آل زايد، وغيرهم من أمراء عمان فاجتمع لديه مبلغ من المال والسلاح، ثم قصد سلطان الحمادي حاكم لنجد، فأعطاه نحو أربعة آلاف ربية، ومائة بندقية، ثم جاء إلى البحرين، ونزل عند الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، فأكرم وفادته، وأقام عنده، وأعطاه نحو اثني عشر ألف ربية، ومائة بندقية. وذلك في أواخر حرب العجمان في الأحساء الآتي ذكره.

وعبر سلمان بن محمد جهة قطر، وأرسل ما تحصل معه من الدراهم والسلاح مع ثلاثة من خدامة من العجمان، وأوعدهم بمكان معلوم بين قطر والأحساء، يوافيهم إليه، نعبروا من البحرين، وكان عبد الرحمن بن سويلم أمير القطيف قد وضع لهم الأرصاد، فلما فارقوا حدود البحرين، ودخلوا حدود ابن سعود، هجمت عليهم السفينة المشحونة بالجنود من ابن سويلم، فحجزوها، وأخذوا ما فيها، وأسروا خدام سلمان، وأرسلوا الجميع إلى ابن سعود في الأحساء. وذلك أثناء هزيمة العجمان الآتي بيانها. ولكنا كرهنا قطع سياق الكلام.

مقدمات حرب العجمان في الأحساء

تقدم الكلام على خيانة العجمان، ونهبهم جيش ابن سعود أثناء

وقعة جراب، المتقدم ذكرها، فهربوا بغنيمتهم، وعلموا أن ابن سعود لا يغتفر لهم هذا العمل، وأبطنوا العداء، ونزلوا في أمواه التربية والنعيرية، وملج، ونطاع، وكثرت اعتداءاتهم على رعية ابن صباح، وابن سعود على السواء، فقد أغارت سرية منهم على محمد العبد المحسن الشملان من أهل عنيزة، ومعه خيل للتجارة قاصدًا بها الكويت، وقتلوا منهم رجلاً، وركب الباقون ظهور خيلهم، فنجوا بأنفسهم، وأخذ العجمان رحلهم وأمتعتهم. وبعدها بأيام، أغارت سرية منهم وأخذت ثمانين بعيرًا، لسليمان ابن غملاس من أهل الزبير، وكثر اعتداء هم على أطراف الكويت، حتى كاد يقف الطريق لعدم الأمنية.

محاصرة العجمان للأحساء

جهز ابن صباح سرية يرأسها علي بن خليفة الصباح، ونزل بأطراف الكويت للمحافظة على أموال رعايا الكويت، ولتأمين الطريق عن اعتداءات القبائل. وأرسل ابن صباح إلى ضيدان بن خالد بن حثلين — رئيس قبيلة العجمان — يطلب إرجاع المنهوبات التي أخذوها، فلم يجيبوه إلى ذلك فكتب إلى ابن سعود يقول: إن العجمان قد كثرت اعتداءاتهم، ونهبهم أموال أهل الكويت، وهم من رعيتك، فيجب أن تأمرهم بتأدية أموال أهل الكويت فكتب إليه ابن سعود: أن العجمان قد عملوا معي ما قد علمتم، وضربوني من ظهري أثناء وقعة جراب، ونهبوا جيشي أثناء القتال، فصبرت وتحملت خيانتهم. ونحن الآن في وقت القيظ، ولا نتمكن من شدته أن نسير إلى ديرة العجمان، والأولى تأخير المسألة إلى فصل الربيع.

وفي شهر جمادى، خرج ابن سعود من بريدة، ونزل بالقرب من الزلفى. ثم أرسل إلى القبائل فجاءه بعض من عتيبة، وبني عبد الله، وبريه من مطير، وسار إلى الشمال، قاصدًا ابن رشيد وشمر. فبينما هو في الطريق، بلغه أن ابن رشيد دخل بلاده، وأن شمرًا قصدوا إلى العراق، فرجع ودخل بلاده في العشرين من جمادى الأول. وبعد وصوله الرياض، قدم إليه وفد من ابن رشيد يطلب الصلح، فتم بينهما. وجددت المعاهدة السابقة، وتوقفت الغزوات بين الطرفين.

ويقال: إن حكومة التركي هي التي أوحت إليه بمسالمة ابن سعود، وأنه ليس من صالحه مقاومة ابن سعود، لتعده للأمر الذي هي تريد. وجعلت عنده بعد ذلك البكباشي عزيز بك الكردي معتمدًا، ثم أرسلت الشيخ صالح التونسي بمأمورية، ثم جعلت عبد الحميد بك بن إبراهيم باشا سعيد المصري، فبقي عند ابن رشيد أكثر سني الحرب، ليمنع الدسائس الأجنبية من التأثير على ابن رشيد، لا سيما وقد اشتهر عندهم ممالأة السبهان للإنكليز باطنًا. فبقي سعود معتصمًا بحبل حكومة التركي وشد أزرها حتى دارت الدائرة عليها، ففقد النصير.

رجوعًا إلى ابن صباح والعجمان

ألحّ ابن صباح على ابن سعود بوجوب استرجاع المنهوبات من العجمان ولو بالقوة، وتعهد بمساعدة ابن سعود ماديًا وعسكريًا. ولكن ابن سعود لم يكن على ثقة من مبارك، لكثرة تقلُّباته. وبالرغم من ذلك، فقد أجابه بعد أن أضاف شرطًا ثالثًا، فهو فضلاً عن مساعدته المادية والعسكرية، يجب أن لا يسلك بسياسته نحوهم سياسة غير سياسة ابن

سعود، وأن لا يستقبلهم إذا لجأوا إليه، ولا يتوسط بالصلح بينه وبينهم. فأجابه لذلك، وعاهده عليه.

أما العجمان، فلم يعملوا مع ابن سعود ما عملوا، إلا وهم مصممون على تنفيذ خطة، طالما منوا أنفسهم بها، منذ أن تولى ابن سعود الأحساء والقطيف. ورأوا أن الفرصة سانحة لتنفيذها، فأجمعوا أمرهم، وتعاقدوا على ذلك. ولم يتخلف منهم أحد. وساروا إلى الأحساء، ونزلوا بالقرب منه، وأخذوا يشنّون الغارات على أطراف البلاد، وبما أنه ليس في الأحساء قوة كافية لصدّهم، أخذوا يعيثون في القرى.

ثم رحلوا، ونزلوا بالشمال الشرقي من النخيل هم وأدباشهم. وكان الوقت قيض، وقد أينع أول الثمار، فحصل منهم أضرار جسيمة على البساتين والثمار. وحصروا أهل البلاد، وحالوا بينهم وبين بساتينهم. طير الخبر الأمير عبد الله بن جلوي إلى الإمام عبد العزيز على أول إقبالهم، فخف الإمام عبد العزيز بقوة ضئيلة من الحضر، وقليل من البادية، وانضم إليه بنو هاجر. وأبقى أخيه محمدًا في الرياض ليتبعه بغزوان أهل نجد، وكان قد أمر عليهم بالتجهيز.

ولكن العجمان قد تغلغلوا في قرى الأحساء، وتحصنوا في البساتين، وكثرت اعتداءاتهم على الأهالي. فلم ينتظر عبد العزيز وصول النجدات من نجد، فجهّز جيشًا من أهل البلاد، وزحف بهم على العجمان. وكانوا بموضع يسمى كنزان، بالشمال الشرقي من النخيل.

وبما أن الوقت قيظًا، والبلاد شديدة الحر في النهار، فقد اختار أن يكون الهجوم ليلاً، فأسرى بهم. فبلغ العجمان خبرهم، وارتفعوا عن

منازلهم، وتركوها خالية. فلما قارب الجيش الأحسائي ــ الموضع المذكور ــ ، رأوا كثرة الأشجار، فظنوها القوم. وأخذوا يطلقون الرصاص على غير هدى، وأسرفوا في ذلك، وليس عندهم أحد. فتركهم العجمان يستنفدون ذخيرتهم، ثم خرجوا عليهم من مكامنهم، وهاجموهم، فالتحم القتال بقية تلك الليلة. ثم انهزم أهل الأحساء، وتبعهم بقية جنود ابن سعود. وأسر من أهل الحسا خلق كثير، افتدوا أنفسهم بمبالغ من الدراهم، تزيد وتنقص تبعًا لحالة الأسير ومركزه. وكان العجمان يعرفونهم تمام المعرفة، لكثرة اختلاطهم معهم.

أما القتلى فعددهم غير قليل. وقد قتل في تلك الليلة سعد بن عبد الرحمن الفيصل، جاءه سهم عاثر، فأصابه، وجرح الإمام عبد العزيز.

رحل العجمان بعد هذه الوقعة، ونزلوا بالبساتين، وكثر عيثهم، وصاروا يتجولون في النخيل، ويخربون الأثمار، ويعلفون أدباشهم من الثمار. ولم يزل ذلك دأبهم ثلاثة أشهر القيظ.

جاء محمد بن عبد الرحمن الفيصل بعد هذه الوقعة، ومعه قوة من أهل نجد. وجاء فيصل الدويش، ومعه غزو أهل الأرطاوية. وكذلك جاءت غذوان(1) بعض الهجر الجديدة، التي كانت قد تأسست، واجتمع عند ابن سعود قوة لا بأس بها. وأخذ يبث السرايا لمباجمة العجمان، وطردهم من النخيل. وأخذت المناوشات يوميًا، إلا أنهم لم يستطيعوا زحزحة العجمان من مراكزهم.

وكان الإمام عبد العزيز قد استنجد مبارك الصباح، حسب تعهده

(1) غزوان

بذلك. ولكن المذكور تباطأ في إرسال النجدة، فكتب إليه ابن سعود يستحثّه، فأرسل ابنه سالمًا ومعه مائة وخمسون من الحضر، ومثلهم من البدو. فجاءوا إلى الأحساء، وانضموا إلى جيش ابن سعود. وبالرغم من اجتماع هذه القوات، قد ظل الأمر على ما هو عليه في الأشهر الثلاثة: شعبان، ورمضان، وشوال، لتحصُّن العجمان في النخيل. فلما أينعت الثمرة، امتارت البوادي المعادية والموالية من الأثمار.

ثم رحلوا العجمان، ونزلوا صويدرة ــ الموضع المعروف قرب قرية الكلابية ــ ، فخرج إليهم ابن سعود، وقسم جنوده فرقتين: فرقة يرأسها محمد بن عبد الرحمن، ومعه سالم ابن صباح. وزحف عبد العزيز بالفرقة الثانية، ومعه بضعة مدافع إلى القارة، إحدى قرى الأحساء الشرقية، ونصب المدفع فوق جبل القارة، وأمر أخاه محمدًا وسالمًا بمطاردة العجمان، فيما لو انهزموا. وشرع هو بضربهم بالمدفع. ولم يكن يظن أنه يفيد، وإنما قصده الإرهاب فقط. ولكن بواسطة ارتفاع الوضع الذي يوضع فيه المدفع أثّر فيهم أثرًا بليغًا واضطرهم إلى الرحيل من موضعهم.

فلما ارتحلوا، تبعهم محمد بن عبد الرحمن وابن صباح، وأراد مهاجمتهم، حسب التعليمات. ولكن ابن صباح أبى أن يساعده، زاعمًا أنه جاء مراقبًا لا مقاتلاً.

أرسل محمد يخبر أخاه بانقلاب سالم وميله إلى العجمان. فجاء الأمر بتركه وشأنه. أما العجمان، فقد رحلوا مطمئنين بصداقة ابن صباح، إذ كانوا قد علموا بخطته تجاههم من كتاب وقع بأيديهم من مبارك لابنه، يأمره أن لا يساعد ابن سعود على العجمان، ولعله عمل الأسباب لوقوع

هذا الكتاب بأيدي العجمان، فكتموا خبر هذا الكتاب، ورحلوا مسرورين ملتجئين إلى حماية صديقهم السري فجعلوا طريقهم إلى العقير ليمتاروا ما يلزمهم من العيش في العقير، بعد أن أخذوا ميرتهم من التمر.

ولكن الحامية التي في التصر ردتهم على أعقابهم، فانقلبوا قاصدين الكويت، لعلمهم أن ابن سعود لا يستطيع أن يتبعهم، لأنه قد أرسل جيشه إلى نجد لقلة المرعى في أطراف الأحساء. فواصلوا سيرهم، وكان معهم فهد بن سعود العرافة الذي أسلفنا ذكره، فأغاروا على بني خالد بأطراف الجبيل، فهزمهم الخوالد وطردوهم. وقتل في هذه الوقعة فهد ابن سعد العراف(١). ولم يبق من العرايف خارج من الطاعة إلا سلمان بن محمد في قطر، وعبر منها إلى أبو ظبي. وقد ذكرنا قصته في أول حوادث الحسا.

(١) العرافه

وقد تابعنا خبر حرب العجمان خوفًا من انقطاعه، ولم نراع سرد الحوادث على حسب وقوعها، كما يتطلبه سياق التاريخ. وإلا قد وقع حوادث في نجد أثناء هذه الحوادث، أخرناها. والآن قد آن لنا أن نلحقها.

تقدم الكلام عن الصلح الذي تمّ بين ابن سعود وابن رشيد بعد وقعة جراب. ولكن ابن رشيد ليس من الذين يحترمون الاتفاقيات. فما كاد يبلغه خبر وقعة كنزان، واشتغال ابن سعود في قمع حركة العجمان، حتى كشف عن أنياب الغدر، وخرج غازيًا في أول شهر رمضان. وكان أهل القصيم مطمئنين للصلح الذي بينه وبين ابن سعود، فأغار على الصريف، القرية المعروفة بقرب بريدة، وأخذ اثنا عشر رعية من الإبل. ثم أغار على

الهدية، القرية المعروفة عند بريدة، وأخذ ستة رعايا من الإبل، وأربع فرق من الغنم. وأغار على الشوايا على الدويحرة، وأخذ منهم بعضًا من الإبل، وشيئًا من الأمتعة، والجميع لأهل بريدة. وكان أميرها يومئذٍ فهد بن معمر.

رجع ابن رشيد، ونزل الطرفية، قرية تبعد نصف رحلة عن بريدة، وأشاع أن ابن سعود قتل، وهزم العجمان جنوده. وكتب إلى أمير بريدة وأمير عنيزة بهذا الخبر، ويدعوهم إلى الطاعة، ويعدهم ويمنيهم. فجاءه الجواب بما لا يحب، فأخذ يعيث في أطراف بريدة وقراها. فكتب ابن معمر يخبر الإمام بعمل ابن رشيد، وكتب إلى أهل عنيزة يستنجدهم. ثم خرج ابن معمر بقوة من أهل بريدة، وانضم إليهم مئتا مقاتل من أهل عنيزة، رئيسهم عبد الله الخالد السليم، أمير عنيزة الحالي. فهاجموا ابن رشيد، وهزموه، حتى أبعدوه عن القرى. فرجع إلى الطرفية، وقتل من مشاهير قومه: ابن خشمان، وجرح سعود الصالح السبهان.

وفي هذه الأثناء، وصل سعود بن عبد العزيز العرافة في قوة من أهل الجنوب، ونزل عنيزة، فلما بلغ ابن رشيد قدوم سعود، رحل من الطرفية ونزل الجعلة، ثم رحل قاصدًا الشمال. أما سعود العرافة، فقد نزل بريدة. وفي ١٥ شوال، خرج من بريدة وقصد قبائل ابن رشيد وأغار على شمر وهتيم، وهم على الخفاصر،(١) الماء المعروف، وأخذ منهم حتى ملأ يديه، وعاد إلى بريدة في آخر الشهر.

ثم خرج في الثامن من ذي القعدة، ومعه ثمانمائة هجان، وثلاثمائة من الخيل، قاصدًا شمر. ولكنهم انتذروا به، وانهزموا من وجهه، فرجع.

(١) الخناصر

وصادف في رجوعه قافلة لشمر نحو مائة جمل، فأخذها، وعاد إلى بريدة. وأقام فيها إلى آخر ذي القعدة، ثم قفل إلى الرياض.

رجوعًا إلى العجمان

قد أسلفنا الكلام في مبتدىء الكلام على عصيان العجمان: أن ابن صباح طلب من ابن سعود تأديبهم، وتعهد له أن يمده ماديًا وعسكريًا، وعاهده أن لا يقبلهم إذا التجأوا إليه، ولا يتوسط في أمرهم بالصلح. أعدنا ذكر هذه التعهدات، لئلا يضطر القارىء إلى مراجعتها. فماذا كان؟ كتب ابن سعود إلى مبارك، يشكو إليه عمل سالم في عدم موافقته على القضاء على العجمان، فنسي حضرة الوالد تعهُّداته، وجاء منه الجواب، يقول: إني لم أقل لك حارب العجمان، وأبعدهم عن ديارهم.

حل العجمان ضيوفًا كرامًا عند ابن صباح، وفتح لهم قلبه وخزائنه. وكان قبل ذلك قد أصلح مع ابن رشيد. ولكن لحسن الحظ أنه لم يبق بعد هذه الأعمال، إلا أيامًا يسيرة، حيث وافاه أجله المحتوم في ١٧ محرم سنة ١٣٣٤هـ، فطويت صحيفته.

الشريف الحسين

وفي شهر شوال، خرج الشريف حسين بن علي، أمير مكة المكرمة، ومعه الشلاوي والبقوم، واجتاز ديار عتيبة دون أن يعترضه أو يتبعه أحد. ثم أغار على الدياحين ذوي ميزان من مطير، وهم على الرشاوية، الماء المعروف في العالية، فملأ يديه غنائم من أموالهم، ونزل الشعرى. ثم قفل راجعًا إلى مكة.

وكان الشريف يزعم أن غزوته هذه مساعدة لابن سعود، عندما هجم

ابن رشيد على القصيم، بالوقت الذي كان ابن سعود مشغولاً بحربه مع العجمان. ولما بلغه رجوع ابن رشيد عن بريدة، قفل هو راجعًا.

حوادث عامّة

في شهر شوال من هذه السنة، وصل إلى قطر بارجتان إنكليزيتان، وأخرجتا الحامية التركية التي في قطر. وهربت الحامية، وضربت البوارج القلعة، وهدمتها، واستولت على ما فيها من السلاح والذخيرة، وعادت البوارج إلى البحرين.

وفاة الشيخ مبارك الصباح

في ٢٥ محرم سنة ١٣٣٤هـ: توفي مبارك ابن صباح حاكم الكويت، وتولى بعده ابنه جابر.

وسنأتي على ترجمة مبارك وأعماله وسياسته في ختام حوادث هذه السنة. وبما أنه أصبح في ذمة التاريخ، فسنوفيه حقه. وإن تغاضينا عن بعض سيئاته، فلا نتغاضى عنه ما نعلم من حسناته رحمه الله.

ذكر في حوادث السنة الماضية ما كان من الصلح بين مبارك الصباح، وبين سعود بن رشيد. وذكرنا التجاء العجمان إلى الكويت، وبسط مبارك حمايته عليهم، غير عابىء بما في ذلك من التحدي لابن سعود. أما ابن سعود، فقد خرج من الرياض قبل أن يبلغه خبر وفاة مبارك الصباح، قصده تعقُّب العجمان. فبلغه الخبر، وهو بمنتصف الطريق، فعدل عن ذلك، ليرى ما يكون من سياسة خلفه.

وفي هذه الأثناء جاءه رسول من السير برسي كوكس، ممثل دولة

بريطانيا في الخليج العربي، يرجوه أن يوافيه إلى القطيف للمفاوضة في أمور هامة. وكان هم بريطانيا يومئذ أن تخرج الدولة التركية من البلاد العربية، وتؤمّن لبواخرها وجنودها في الخليج العربي وفي البحر الأحمر، فاتفقت مع الإدرسي في ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٣هـ اتفاق مصالح، وهو: أن يعلن الحرب على تركيا، ويمده الإنكليز بالأموال والسلاح، دون أن يتقيد الإدرسي بما يخل باستقلاله، أو يمكّن الإنكليز من التدخل في بلاده، لا أثناء الحرب، ولا بعدها. بل إنها تعهّدت له أن تصد الاعتداء عليه من الخارج أثناء الحرب فقط. فكان في هذه الاتفاقية أبعد نظرًا وأشد تحرزًا، وأعلم بسياسات الدول وبواطنها من ابن سعود، في الاتفاقية الآتي ذكرها.

جاء ابن سعود إلى القطيف إجابة لدعوة السربرسي كوكس، فوافاه هذا في جزيرة دارين، وجرت المفاوضة بينهما، وتمّ الاتّفاق، وأُمضيت المعاهدة، وهي التي تُعرف باتفاقية دارين. تحتوي على سبع مواد، كلها مجحفة بحقوق ابن سعود، ومن يخلفه. بل كل حرف منها قيد في عنق ابن سعود، فأدخل نفسه تحت الحماية البريطانية، وقيدته وورثاءه وخلفاءه عن أي تصرُّف دون علم بريطانيا وإذنها. حتى وليّ عهده يجب أن يكون من الموالين لإنكلترا. ومنعته من الاتصال بأي دولة أجنبية دون علمها، كما منعته أن لا يمنح ولا يعطي أي شبر، ولا يتفق مع أي شركة اقتصادية دون علم بريطانيا.

ولسنا بصدد تفنيد هذه المعاهدة، لأنها غل من الأغلال. ولكن ابن سعود بذلك الوقت لم يدرك ما فيها من الحيف، إلا بعدما فتح الحجاز، واحتك بالأجانب، وعلم دخائل سياسات الدول، علم خطأه الفاحش بعقد

هذه المعاهدة، التي يدرك ضررها أقل الناس إلمامًا بالسياسة. فكان أول عمل عمله إلغاء هذه المعاهدة، فأُلغيت بمعاهدة عُقدت سنة ١٣٤٤هـ، استكمل فيها حقوقه، وجعلها معاهدة الند للند.

بعد أن تمّ الاتّفاق على المعاهدة المشؤومة، رجع إلى الرياض في أول ربيع الأول، وكان قصده يتعقب العجمان لتأديبهم. ولكن السربرسى كوكس الذي كان يومئذ يتبع سياسة التقريب بين أمراء العرب تعهَّد له أن يتوسط لدى جابر المبارك، ويقنعه بوجوب إبعاد العجمان عن الكويت. وكذلك كان، فإن جابرًا أبعدهم إجابة لنصائح السربرسى كوكس، ورغبة في إرضاء ابن سعود.

العرايف

وفي هذه الأثناء، قدم سلمان بن محمد العرافة إلى الإمام عبد العزيز تائبًا، فقبله، وعفى عنه، وأكرمه. وهذا هو آخر من قدَّم خضوعه من العرايف. ولا يزالون حتى الآن عند الإمام عبد العزيز على بساط العز والكرامة، كبقية آل سعود. وقد غمرهم بإنعامه، ورتب لهم الرواتب الجزيلة، بعد معاهدة دارين، كتب الإمام عبد العزيز للشريف حسين يخبره باتفاقه والإنكليز، ولم يفك له صورة الاتفاقية. وعرض عليه المؤازرة في مساعدة الحلفاء، وأرسل الكتاب مع صالح بن عذل، وأرسل معه هدية من الخيل والجيش، فقبل الهدية.

وكان الشريف قد ابتدأ بمفاوضة الإنكليز، فعندما علم باتفاق ابن سعود والإنكليز، خشي أنه قد سبقه لطلب الزعامة التي كان الشريف يسعى لها، فبادر إلى الاتفاق مع الإنكليز، وقبل البنود الخمسة، التي دعاها فيما

بعد بقرارات النهضة، وتم هذا الاتفاق في شهر جماد، أي بعد اتفاق ابن سعود والإنكليز بشهرين فقط ولكن لم يعلن الثورة إلاّ بعد الاتفاق بأربعة أشهر، أي في ١٠ شعبان من هذه السنة.

ولكن الوالي في مكة غالب باشا قد أحس ببعض ما يبطنه الشريف، وعلم أن حكومته لا تستطيع أن تمده وهو بدون ذلك لا يستطيع المحافظة على ما بيده، ففضل أن يسلم البلاد إلى ابن سعود، نكاية بالشريف أو على الأقل إيجاد الخلاف بين ابن سعود، والشريف، ففاوض ابن سعود في الأمر، ولئلا يسيء الظن الشريف، جعل إرسال الرسول والكتاب والهدية بواسطة، مدعيًا أنه إنما يريد بهذه الهدية مهادنة ابن سعود خوفًا من تحريكاته على الحجاز.

ولكن الشريف أبقى الهدية عنده، وأرسل الكتاب إلى ابن سعود، وفيه يخبره بأعمال الشريف ومفاوضة الإنكليز لتسليمهم البلاد المقدسة، وجعلها تحت حمايتهم، ويدعوه إلى القدوم ليسلم إليه البلد الحرام، لحفظها وصيانتها من أعداء الإسلام. وقد فعل فخري باشا في المدينة مثل ذلك. ولكن ابن سعود رفض الدعوتين لأمرين:

الأول: أنه لا يريد مثل هذا الأمر بمثل هذه الطريقة، ويرى أن الوقت غير مناسب.

الثاني: أنه يعلم ما وراء ذلك من الصعوبات، أهمها: التحدي للإنكليز، الذي هو في أشد الحاجة إلى مصادقتهم.

أما الحكومة التركية، فقد أخذت تدرك ما يحاوله الشريف، وأرادت تعزيز قواتها في الحجاز، فأرسلت قوة لا تقل عن ثلاثة آلاف مقاتل،

بحجة إرسالها إلى اليمن، فبقيت في المدينة المنورة، وانضمت إلى القوة التي فيها تحت قيادة فخري باشا، وكان الشريف فيصل إذ ذاك في الشام عند جمال باشا السفاح ثم غادر فيصل الشام بحجة قيادة القوة، التي ألفها أبوه لمهاجمة القناة. فأرسل جمال باشا إلى المدينة فخري باشا قائدًا عسكريًا بقوات المدينة، زاعمًا أنه، يتوقع ثورة الشريف.

وكان الأمر كما ظن، فإنه ما كاد يصل الشريف فيصل إلى المدينة حتى انضم إلى أخيه علي، قائد القوات المرابطة في القرب من المدينة، وأعلنت الثورة، وقسم أولاد الشريف قواتهم التي تحت قيادة علي بن الشريف حسين إلى ثلاث كتائب أرسلها إلى جهات مختلفة، إحداها هاجمت السكة الحديدية شمال المدينة، تحاول قطع المواصلات بين المدينة وسوريا.

أما الشريف الحسين، فقد أمضى الأربعة الأشهر التي تقدمت الثورة، والتي تلي اتفاقيته مع الإنكليز بالمفاوضة مع حكومة الترك، ليجد الوسيلة التي يتذرع بها لتبرير ثورته، فطلب من حكومة الأستانة الاعتراف باستقلاله في سائر الحجاز، وجعل إمارته وراثية في ذريته، وأن تعدل الحكومة عن محاكمة أحرار العرب المتهمين الذين قبض عليهم جمال باشا ــ جمال المشانق ــ، وإعلان العفو العام في سورية والعراق، فلما لم تجر الحكومة التركية هذه المطالب أعلن ثورته في مكة يوم ٩ شعبان وهو اليوم الذي قرره لإشعال الثورة في أنحاء الحجاز، فاستولى على قوات الترك في مكة.

وبالتالي استولى على جدة، وحاصر ابنه عبد الله الطائف حتى

استسلمت يوم ٢٦ ذي القعدة، وأسر قائدها غالب باشا، وأركان حربه وجنوده، وسلم أبوه جنود الترك إلى الإنكليز كعربون للصداقة والإخلاص، وأسس حكومته في مكة في ٤ ذي الحجة من هذه السنة، وتقلد ابنه عبد الله وكالة الخارجية، فأرسل البلاغات الرسمية إلى الدول الأوروبية والشرقية بإنشاء الحكومة الهاشمية الجديدة في الحجاز، فسارعت حليفته بريطانيا وفرنسا بالاعتراف به ملكًا على الحجاز فقط. ذلك لأن ابن سعود قد اشترط على الإنكليز أن لا يتكلم الشريف حسين عن العرب، وقبل شرطه.

أما المدينة، فقد حاصرها ابناه علي وعبد الله، ولم يتمكّنا من الاستيلاء عليها إلاَّ في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ.

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، جاء الأمر لفخري باشا من حكومته بإخلائها فجاءه الأمر المشدد بوجوب إخلاءها، فسلمها إلى أولاد الشريف.

أما بقية حوادث الحجاز، فقد ضربنا عنها صفحًا لأنه خارج عن موضوعنا؛ ولأن له كتبه المختصة، إلاَّ ما يأتي عرضًا مما له مساس في حوادث نجد.

حوادث نجد

وفي شهر صفر من هذه السنة، خرج ابن رشيد من حايل قاصدًا عنيزة لخلاف بينه وبينهم، فصمدوا له فوقع بينهم مناوشات عديدة، واستمرَّ القتال مدة أيام دون أن يدرك منهم نتيجة فرحل عنهم، وقصد أطراف العراق، وأقام هناك إلى شهر شعبان. فأرسل الإمام عبد العزيز ابنه

تركي إلى القصيم ومعه قوة من الحضر والبادية لمراقبة بادية الشمال. فخرج من بريدة وأغار على شمر في الشعيبة وأخذهم وعاد إلى بريدة.

أما الإمام عبد العزيز، فقد خرج من الرياض، وقصد بادية النقرة وأغار على آل مرة مجتمعين: آل فهيدة ورئيسهم لاهوم بن شريم، وآل جابر على رئيسهم المرضف وابن هماج، وآل بحيج على رئيسهم متعب الصعاق، وآل عذبة على رئيسهم سعود بن نقادان، وآل غفران على رئيسهم صالح بوليلة، ومن التف معهم من العجمان الذين لم يلتحقوا بجماعتهم، وهم: ابن خرصان، والقريني، فأخذ الجميع، ورجع إلى الحسا. فوقف عليه رؤساء آل مرة، وطلبوا العفو، فاشترط عليهم أداء جميع المنهوبات، التي أخذوها من بني هاجر وغيرهم، فأجابوه لذلك فعفى عنهم، ودخل هو إلى الحسا، بعد أن أرخص لمن معه من البادية بالرجوع إلى أهليهم.

العجمان

قد ذكرنا أن العجمان ساروا إلى جهة الشمال، وتخلف عنهم فرق ضعيفة، دخلوا مع آل مرة. وتخلف عنهم الدامر أيضًا، أقام مع آل مرة، ثم بدا له أن يلتحق بنجران، ويلجأ إلى بني عمه من يام. وفي مسيره حصل منه تعديات على رعايا ابن سعود، فأرسل ابن سعود خلفه سرية، يرأسها عبد العزيز بن عبد الله بن تركي ــ أبو ذعار ــ. فلما وصل وادي الدواسر، فانضم إليه قوة منهم، وساروا يطلبون الدامر، فأدركوه على حدود نجران، ففتكوا به وبمن معه، وأخذوا ما معهم ورجعوا في ١٥ رمضان.

ابن رشيد

وفي شهر شعبان، رجع ابن رشيد إلى حايل، فبلغه أن حملة خارجة من المدينة لأهل القصيم، فاعترضها وأخذها. وكانت الأموال التي مع الحملة لأهل المدينة.

ثم عطف على[...][1]، وأخذ إبلاً لابن سعدي، وأخذها وقفل إلى حايل، ودخلها في النصف من رمضان.

استدراك

عندما ثار الشريف على حكومة الترك وتدفق عليه ذهب الإنكليز، أخذ ينثره يمينًا وشمالاً ليستميل به الأمراء والقبائل، فأرسل لابن سعود دفعتين مجموعها نحو من عشرين ألف جنيه دون أن يكتب له عنها. فاستراب من هذه الهدايا، ولم يعلم ما هو المقصود منها، وكان ابن سعود قد رخص لمن أراد أن يلتحق بالشريف من أهل نجد. فأراد أن يسبر غور الشريف، ويعلم ما يرمي إليه من هذه الهدايا فكتب إليه كتابًا رقيقًا، أوضح له أنه على استعداد لإرسال قوة لمساعدتهم تحت قيادة أحد إخوتي أو أولادي، وأنه مستعد لإزالة ما حصل سابقًا من سوء التفاهم، إذا حددت الحدود بيننا وبينكم.

ولكن حضرته وهو في زهوة الأمل، لم يستطع هضم هذه الجملة نعم إن ابن سعود إما أن يكون سكران، أو مجنون عندما كتب هذه الجملة كما نقله عنه الريحاني في كتابه ولولا أنه متصف بإحدى هذه الخلال، لما

---

(١) بياض في الأصل.

تجاسران بطلب تحديد الحدود، هي ضمن حدود قد اتفق عليها وحليفته العظمى.

أما أمين سعيد، فيقول في كتابه «ملوك المسلمين وأمراؤهم المعاصرون»: أن الشريف أجابه بقوله: كل ما أنت عليه، فهو لك. ونحن نرجح الجواب الأول، لأنه ينطبق على ما هو معروف عن الشريف، ولأن الريحاني قد نقل هذه العبارة من كتاب الشريف نفسه، فما كان ابن سعود ليسمح للريحاني أن ينقل عنه خلاف الحقيقة. ولكن ابن سعود بلعها، كما بلع غيرها منه، ومن زميله صاحب الكويت، عفى الله عنهما.

افتتحت هذه السنة، واختتمت بهدوء وسكون تامَّين في نجد إلاَّ بعض حوادث تافهة، اتخذت لتأديب بعض المشاغبين من البادية. لأن الحرب الدولية العظمى شغلت الأعداء عن المشاغبات، فالشريف الحسين، شغلته ثورته على الترك، وانضمامه بجانب الحلفاء الذين ملؤا مخيلته من الآمال المذهّبة، وملؤا يديه من السلاح والذخائر والصناديق الذهبية، التي أخذ يبعثرها بغير حساب، ليستميل القبائل، ويجند بها الجنود لتأسيس إمبراطوريته المنتظرة.

أما ابن رشيد، فقد ركن إلى السكون، ولعل أن حكومة الأستانة أوحت إليه أن يحسن علاقاته مع ابن سعود، إما تقديرًا منها لعمله ووقوفه على الحياد إزاءها، وعدم انضمامه إلى حركة الشريف. أو أنها ترشح ابن رشيد للقضاء على حركة الشريف بمساعدة جنودها، أو على الأقل يعرقل حركاته. وهذا لا يتم إلاَّ إذا كان على صلح وابن سعود. وكان ابن رشيد لم يزل يتبع إرشاداتها، ويستمد معونتها التي لا زالت تفيض عليه بسخاء كبير.

وبينما العالم في الشرق والغرب في بركان ثائر كانت نجد في خفض من العيش رغبة، ونعمة من الأمن، لم تتمتع به منذ زمان بعيد، بفضل السياسة الحكيمة التي اتبعها الإمام عبد العزيز فانصرفت الرعية إلى أعمالهم الزراعية والتجارية، واتسع نطاق التجارة وتأسست الروابط التجارية بين أهل نجد والبلاد المجاورة، وعلى الخصوص مع أهل الكويت، وازدهرت الأعمال ازدهارًا لم يكن مثله فيما سبق ولا أظن أن يعود مثله فيما يأتي.

ذلك لأن خمسين في المائة من أهل نجد أخذ يتعاطى التجارة، ويجلبون الأموال من البلاد المجاورة، كالبحرين، والكويت، ويصدرونها إلى سوريا من طريق البادية، الذين فرضوا لأنفسهم ضرائب فادحة على الأموال، لقاء السماح لهم باجتياز بلادهم، وهكذا يفعل من يليهم إلى أن يصلوا حدود سوريا، فلا يصل التاجر إلاَّ وقد سلم على ماله ضعفي قيمة المال، أو ثلاثة أضعافه.

وبالرغم من هذه الضرائب الفادحة، فلا يكادون يصلون حدود سوريا، حتى يجدون عملاءهم ينتظرونهم، فيبتاعون منهم الإبل بأحمالها، فيسأل المشتري عن أصناف البضاعة التي معه، فيخبره، ثم يسألهم عن القيمة والمصاريف، فيقول: كان معي مثلاً ألف جنيه ذهبًا، اشتريت منها هذه البضاعة بجمالها، وأصرف البقية في طريقي فيتفق معه على ضعفي المبلغ أو ثلاثة أضعافه حسب أهمية البضاعة ورواجها، على أنها لا تقل عن ضعفي رأس المال بحال من الأحوال، فينقده الثمن، ويرجع كل منهما من حيث أتى فيتكرر هذا العمل بالسنة ثلاثة مرات، أو أكثر واستمر ذلك إلى أن سقطت سوريا بيد

الإنكليز، بالرغم من كل التدابير التي اتخذها الإنكليز لمنع ذلك في البنادر، أو في البادية.

أما الذين يجلبون على معسكرات أولاد الشريف، فهؤلاء غالبًا لا تزيد أرباحهم عن ٥٠ لقرب المسافة والأنية، وعدم وجود ضرايب وهذه أرباح لا تغري بمثل ذاك الوقت لأنها تعتبر أرباحًا عادية، قد يحصلون على مثلها أهل المدن.

كان السيربرسي كوكس ممثل دولة بريطانيا في الخليج الفارسي قد دعا الإمام عبد العزيز إلى زيارة البصرة على أثر اجتماع العقير، فأجابه.

وفي ٢٠ محرم من هذه السنة، وصل البحرين بطريقه إلى البصرة، ونزل بضيافة الشيخ عيسى ابن علي آل خليفة حاكم البحرين، وأقام عنده يومين، وغادرها على بارجة حربية إنكليزية، وعرج في طريقه على الكويت، لتعزية جابر المبارك بأبيه. ثم غادرها إلى البصرة، فلقي هناك حفاوة بالغة، وعناية زائدة من الشعب العراقي على الأخص ومن الحكومة. وأقام فيها أيامًا قليلة، طاف فيها على المعسكرات ومحلات المؤن والذخائر، وما يتعلق بذلك، ثم رجع إلى القطيف، وكان قد رمي عنده وكيل بيت المال يوسف بن عبد العزيز بن سويلم، فاعتقله واستأصل ما عنده وضبط ما لديه من الدفاتر والمكاتيب، وأخذ يتتبع ماله في الديون فاستحصلها، ثم أفرج عنه. وأضاف وكالة بيت المال إلى عهدة ضامني الجمارك علي بن منصور بن أخوان وعلي بن حسين بن فارس من أهل القطيف. وبيت المال هنا لا يعني بيت المال بالمعنى المفهوم، وإنما هي وكالة على أملاك بيت المال من النخيل المستغلات فقط.

وفاة جابر بن مبارك الصباح

وفي شهر ربيع الثاني توفي الشيخ جابر بن مبارك الصباح فكانت ولايته سنة وشهرين رحمه الله، وتجد ترجمته في آخر حوادث هذه السنة. وتولى بعده أخوه سالم بن مبارك الصباح.

لما رجع الإمام عبد العزيز إلى الرياض أرسل ابنه تركي إلى القصيم ليراقب شؤون القبائل الشمالية التي لا زالت تقلق راحة الرعايا كلما لاحت لها الفرصة. قام مدة قليلة ثم خرج من بريدة وأغار على ابن عجل من شمر، وابن نحيت والحنابة من حرب ومخلط معهم وأخذهم على (الشرته) ماء من موارد حايل وقفل راجعًا إلى القصيم وعلى أثر هذا التحق قسم من شمر بابن سعود، وطلبوا منه أن يعيّن لهم منازل يسكنونها أسوة بغيرهم من أهل الهجر فأجابهم وعين لهم بعض الأمواه ونزلوها وعمروها واستقروا بها ونزل بعضهم في الأرطاوية فبذلك انقسم شمر شطرين بادية، وحاضرة فأما البادية فبقيت على ولائها لابن رشيد، وأما الذين دينوا وتحضروا فقد دخلوا برعوية ابن سعود.

حوادث عامة

وفي شهر رجب من هذه السنة تنازل الأمير عبد العزيز العبد الله السليم عن إمارة عنيزة لابن أخيه عبد الله الخالد السليم وذلك رغبة منه بالركون إلى الراحة مراعاة لصحته. والأمر الثاني أن يتمرن عبد الله معاناة منصبه تحت إشراف عمّه والحقيقة أنه وإن كان عبد الله هو الأمير فإن روح الإمارة لعمه لأنه هو العقل المفكر والقلب النابض، فلا يصدر أمر ويتم عمل إلا بإرشاده.

الحج في هذا العام

قد مضى سنوات ثلاث أو أربع لم يحج من نجد بسبب تعنت الشريف، وبعد مراجعات عديدة أذن لأهل نجد بالحج، ففي هذه السنة حج محمد بن عبد الرحمن الفيصل وحج معه خلق كثير من جميع نواحي نجد لا يقل عددهم عن خمسين ألفًا وقد أخبرني صالح المنصور أبا الخيل وكان قد حج في هذه السنة فقال: إن الشريف الحسين زار محمد بن عبد الرحمن ثلاث مرات في أيام منى وكان كثير المجاملة والملاطفة في محادثاته مع محمد ومما قاله في أحد أحاديثه أنه أدرك في إمارته ثلاثًا لم يدركهن أحد من الأشراف قبله.

الأولى: استقلال العرب وتوحيد كلمتهم.

«وكان ذلك بعد ثورته بسنة والحرب على أشده بين الدول وهو في زهوة الأمل شديد الثقة بوفاء حليفته. ولما يتذوق مرارة غدرهم ونكثهم بعهودهم له».

الثانية: أنه لم يحج أحد من أمراء العرب الكبار إلاَّ في زمنه هو «لعله يشير إلى محمد بن عبد الرحمن» وإلى الخديوي عباس حلمي الثاني.

الثالثة: قال صالح في خبره: لما كان يوم النزول من منى أرسل محمد بن عبد الرحمن إلى جميع أمراء حجاج أهل نجد وأمرهم أن يتدموا أثقالهم وأمتعتهم ومن معهم من النساء إلى مكة وأن يحضروا أهل الجيش من كل بلد على بيرتهم «أي علمهم» فانضم إليه نحو من ستين لواء[1] يبلغ هجانتهم عشرة آلاف تقريبًا فلما تكاملوا سار لوار محمد بن عبد الرحمن

(١) لواء

بالمقدمة وحفت به ألوية أهل نجد ومشوا كردوسًا واحدًا، فكان لهم نظر بديع لفت إليه أنظار سائر الحجاج وأهل مكة على الخصوص فضاقت الطرق ونوافذ البيوت من المتفرجين على حسن منظر ونظام هذا الجمع الزاخر الذي لم يروا مثله فيما سبق.

وفاة الشيخ جابر المبارك الصباح أمير الكويت

دخلت هذه السنة والحرب الدولية على أشدها والفوز فيها حليف الألمان وحلفائهم في الميادين الغربية حيث تمزقت روسيا بثورة أهلية وقام فيها دولة بلشفية انفصلت عن الدول الحلفاء وأصلحت مع دول الوسط الألمان وحلفائها: ودالت دولة القياصرة بعبع الأتراك أما في الميدان الشرقي فقد اندحرت تركيا، وتقدم الإنكليز في العراق واحتلوه، ولا زالوا يتقدمون في الميادين الشمالية نحو سوريا بمساعدة الشريف وأبنائه.

أما حملتها على القنال فقد دحرها الإنكليز واشتد نشاط الإنكليز لحصار تركيا في سوريا من جهة البر كما أنها قد ضيقت عليها الخناق وحصرتها من البحر وعملت لهذا الغرض وسائل شتى فوضعوا لذلك حراسة خط يمتد من الكويت إلى الناصرة فلم يجد نفعًا فارتبطوا مع بعض رؤساء العشائر وبذلوا لهم أموالاً طائلة على أن يصادروا ما يجتازهم من الأموال فالتزموا لهم بذلك فلم يجد هذا العمل نفعًا أيضًا، لأن المهربين أخذوا يبذلون الأموال لرؤساء العشائر بسخاء عظيم فاضطر الإنكليز أن يحددوا وارد الكويت على مقدار ما كانت عليه قبل الحرب ولكنَّ هذا التدبير جاء متأخرًا حيث انتهت الحرب بعد ذلك بأشهر قليلة على أنه

بالرغم من ضابط الحصار الذي أقام في الكويت لمراقبة التهريب، فإن ذلك لم يمنع تسرب الأموال بل استمر على ما كان عليه إلى أن سقطت سوريا بيد فيصل الشريف والإنكليز.

وكانت الحكومة الإنكليزية قد أرسلت مستر فلبى، وأقام عند ابن سعود بمهمة من حكومته وهي مراقبة ما يحدث في نجد، وخوفًا من أن يتصل أحد من أعدائها في ابن سعود وحذرًا من أن ابن سعود يعرقل حركات الشريف كما أن حكومة الترك قد جعلت عند ابن رشيد عبد الحميد بك بن إبراهيم باشا سعيد المصري ليمنع الدسائس الأجنبية من التأثير على ابن رشيد، ولأنها ترشحه للقضاء على حركة الشريف. فلما رأت تقدم الشريف فيصل استدعت ابن رشيد وعهدت إليه مهاجمة أولاد الشريف فكانت ثقتها فيه بغير محلها لبى طلبها ولكن شمر لم يجيبوه للقيام بهذه المهمة، فرحل بقوة ضعيفة من أهل حايل وبعض من البادية، ونزل الحجر وأقام فيه ستة أشهر دون أن يعمل عملاً يذكر.

وفي هذه الأثناء خرج ابن سعود قاصدًا شمر فلما قارب أماكنهم وفد إليه رؤساؤهم مقدمين الطاعة فقبل منهم بعد أن تعيدوا له أنه إذ لم يتفق معك ابن رشيد بعد رجوعه أن يفارقوه ويلحقوا برعية ابن سعود فرجع عنهم وبلغ الخبر ابن رشيد من كتب أرسلها له رؤساء شمر ينصحونه إن اتفاقك مع ابن سعود أجدى عليك من عملك مع الترك وأحفظ لكيانك وكياننا. ولكن ابن رشيد رفض هذه النصيحة وأقام بموضعه إلى أن رأى مقدمات انهيار الدولة التركية فرجع في شهر القعدة أي قبل الهدنة بشهر لأن الترك سلموا قبل الألمان بنحو شهر.

وقعة ياطب

ولما بلغ ابن سعود رجوع ابن رشيد من الحجر جهز عليه وخرج في أوائل شهر الحج من الرياض قاصدًا قبائل ابن رشيد، فلما وصل الأجفر الماء المعروف أرسل سريتان أحدهما رئيسها ابن معمر وأمره أن يكشف من ياطب إلى حايل والثانية رئيسها فيصل بن حشر رئيس قحطان وأمره أن يكشف ما بين السبعان إلى حائل فسار لمهمتهما وسار ابن سعود على أثرهما ونزل الصدر ماء معروف بأطراف حايل فجاء رسول من ابن حشر يقول: إن ابن شريم [...][1] ومعه خلط من شمر بالقرب من السبعان ثم جاءه رسول من ابن معمر على أن شمر حايلين دون حايل وأن منازلهم من ضبيع إلى عكاش إلى السفيلن أماكن كلها لا تبعد عن حايل أكثر من ثلاث ساعات فسار من الصدر وصل ياطب الساعة السابعة ليلاً ولما وصل عكاش صلّى صلاة الفجر وعبى جيشه.

واختار منهم ثلاثمائة فارس وأربعمائة هجان عليها ثمانمائة مقاتل وأمرهم أن يغيروا على بني يعرف وهم الذين معهم جيش ابن رشيد وبقي هو ومن معه من الجند ردأ لهم فأغارت السرية صباحًا وأخذوا ما عندهم من الحلال عدى جيش ابن رشيد لأنه لم يكن مع العرب يومئذٍ ثم أغاروا على العرب الذين على السفيلين، وأخذوهم، ورجع ابن سعود بالغنائم، ونزل الصدر الساعة الحادية عشر من النهار.

أما ابن رشيد لما بلغه الخبر خرج فازعًا بأهل حايل وبعض البادية الذين أخذوا وأمر أن يتبعه بعض المعدات التي لم يتمكن من أخذها معه

---

(١) بني شريم رئيس قبيلة في شمر.

من الذخيرة والفشك ولحق ابن سعود وهو على الصدر وكأنه تهيب مصادمة ابن سعود قبل أن يتلاحق عليه بقية جنده وذخيرته فسبقه ونزل أعيوج بقعا، ودخل بين الضلع والقصر وتحصن فيه وعقل جيشه، وتمركز في جبل أعيوج بقعا. وبلغ ابن سعود خبره، فأراد أن يهاجمه فرأى أنه لا سبيل إليه وهو في موضعه هذا، فعدل عن ذلك ورحل في الصدر وهو على جزر ونزل بين الصدر ورحيبه، وأحاط الجيش بمراكز استكشافيه خوفًا من أن يهاجمهم ابن رشيد ليلاً، فلم يكن شيء من ذلك، لأن ابن رشيد رجع إلى بلاده، فرحل ابن سعود من وضعه ونزل الأجفر، ثم رحل منه ونزل قصيبًا، ثم رجع إلى بلاده في أواخر الحج من هذه السنة.

طرد ابن صباح تجار أهل نجد من الكويت

وفي هذه السنة طرد سالم الصباح تجار أهل نجد المقيمين في الكويت بحجة أن ابن سعود هو الذي أشار على الانكليز بتحديد وارد الكويت لما كان عليه قبل الحرب، ووضع ضابط الحصار، ولكنه تبين خطأ رأيه فسمح برجوعهم بعد مدة.

الخلاف بين الشريف خالد بن منصور لؤي وبين الشريف عبد الله بن الحسين!

وفي هذه السنة وقع خلاف بين الشريف عبد الله وخالد بن لؤي، وأسباب ذلك أنه وقع خصام بين خالد بن لؤي وبين فاجر بن شليويح من رؤساء الروقة من عتيبة وفارس من فرسانها المشهورين. فلطم هذا خالدًا فاعتقله الشريف عبد الله بضعة أيام، ثم أطلقه فلم يقنع خالدًا بهذه العقوبة على فاجر فأسرها في نفسه. فلما مضى أيام استأذن في الرحيل إلى بلدة،

فأجابه الشريف عبد الله بالرغم من تحذير بعض الأشراف له، فشرط عليه أن يمر بمكة ويزور الملك حسين بطريقه إلى بلدة.

وذلك أن الشريف عبد الله قد كتب إلى والده بمسألة خالد، وأبدى تخوّفه من انتفاضه، وأراد أن يكون لوالده ما يرى من التدبير ولكن خالدًا لم يغب عن باله ما يدبره له الشريف، فرجع توًا إلى بلدة الخرمة فجمع رجاله فيها، وأخبرهم بما كان بينه وبين الشريف، وأخبرهم بما عزم عليه من الخلاف للشريف، فوافقوه على ما أراد، وكاتب الإمام عبد العزيز وأخبره ما كان من أمره مع الشريف، وما اعتزم عليه وأنشأ معه علاقات ودية ثم وفد على ابن سعود في آخر هذه السنة فأكرم الإمام وفادته، واستقبله استقبالاً يليق بمقامه، وأغدق عليهما الانعامات الكبيرة. ذلك لأن خالدًا وآباءه وأجداده على صلة حسنة مع آل سعود قديمًا، وكان آل سعود يحفظون لهم هذا الولاء ويعرفونه لهم، فرجع إلى الخرمة مزودًا بالصلات ومشبعًا من الآمال.

وبعد رجوع خالد من الرياض خامرت الشكوك الملك حسين من نوايا خالد، فكتب إليه يأمره بالحضور لديه. فاعتذر بأسباب تقضي ببقائه فكرر الطلب، فكرر خالد الرفض فأصدر الملك حسين أمرًا بعزله، وعيّن أحد ابني عمه في مكانه، وهو شريف من أهل الخرمة فلم يعارض خالد بذلك، فوصل الأمير الجديد ولكن لم يبق له نفوذ ولا وجاهة، فلم يطق الأمير الجديد البقاء طويلاً، بل كتب إلى الملك حسين يستعفيه ويقول إن خالدًا لم يبق لي كلمة مسموعة، فعلم الملك حين لا يفيد من مثل هذه الأساليب، لجأ إلى القوة فجهز حملة بقيادة الشريف حمود بن زيد بن فواز، ومعها مدافع رشاشة ومدفع جبلي فبلغ خبرها خالدًا، فخرج بقوة

وكمن لهم في بطن نخل قرب الخرمة، فلما وصلت حملة الشريف وقعت في الكمين، فوضع السيف فيها وفتك برجالها، وغنم ما معهم من سلاح ومعدات، فكبر ذلك على الملك حسين، وجهز حملة ثانية ضعفي الحملة الأولى في عددها وعداها، فلما اقتربت هذه الحملة من الخرمة استعد لها خالد بمن عنده، واستنجد بعض البوادي التي حوله، فلما كان قبل الفجر هجدهم في منزلهم، فأبادهم وغنم ما معهم وأصيب قائد الحملة في فخذه، وكان لانتصارات خالد وقع عظيم في البادية، فالتف عليه كثير من البوادي التي حوله.

أما الملك حسين فقد اضطرب من هذا الخذلان الجديد الذي أصابه من هذه الشرذمة القليلة وساءه، وهو ملك العرب الأكران يتجاوز عن هذه الإهانات المتكررة فأمر بإعداد حملة ثالثة، عقد لواءها للشريف شاكر بن زيد، وعهد إليه بالتنكيل بهذه العصابة الخارجة عن الطاعة.

سافر الشريف شاكر بقوة يتفاوت عددها بين الثلاثة والأربعة آلاف، ومع قسم من قبيلة عتيبة، فبلغ خالدًا مسير هذه لحملة فلم يشأ أن يمهليا حتى تصل حدود بلاده، بل قصر الطريق عليها وهاجمها بعد مبارحتها وإن ما كادت المعركة تبدأ حتى انهزم جيش الشريف وتركوا ما معهم غنيمة لعدوهم، ورجعوا إلى مكة بعد أن ضاعوا جميع ما معهم، فأضاع الملك حسين صوابه وأراد معاندة الأقدار التي حالفت عدوه وأبى إلاّ أن المضي في هوسه حتى ينتقم من خصمه أفظع انتقام فجهز على الأثر حملة رابعة جمعها من بوادي الحجاز من بني سفيان، وهذيل وثقيف وبني سعود حرب الحجازية، وعسكر من أهل بيته، وكان عدد الجميع يتراوح بين الخمسة والستة آلاف وولى القيادة صهره الشريف عبد الله بن محمد الشريف

شاكر بن زيد، فسارت هذه الحملة، فلما وصلت (حضن) تلقت أمرًا من الملك حسين بالتزام موقفها وعدم إجراء حركة قبل وصول الشريف عبد الله بن الحسين الذي جعلت له القيادة العامة، فأقامت بموضعها نحو شهرين، فانتشرت الحمى بين رجالها، ومات منهم عدد كبير، وأصبح الباقون في حالة لا تساعد على الأعمال العسكرية.

هذا آخر ما وجدناه من مسودة تاريخ مقبل بن عبد العزيز الذكير بخطه بيده، ويظهر أنه لم يكمل حيث إن حادثة تربه لم ينهها وقد استعرت الكتاب من الشيخ سليمان بن عبيد رئيس المحكمة الكبرى بمكة وقد جاءه من محمد الحمد القاضي والمذكور وصل إليه من المؤلف نفسه وقد انتهى نسخه بأمري في سنة ١٣٨٤/٤/٢٢هـ بمكة المكرمة.

❊ ❊ ❊

